أوراق مؤتمر الدوحة الثامن لحوار الأديان

مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان
Doha International Center for Interfaith Dialogue

دور الأديان فى تنشئة الأجيال

19 إلى 21 أكتوبر 2010

الدوحة-قطر

منشورات مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان
1432 ه-2011م

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة مركز الدوحة الدولي لحوار الاديان

إلى الافاضل من المشايخ واصحاب النيافة والعلماء والاساتذة والباحثون وطلاب العلم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،،

إن ما يدعو إلى البهجة والسرور تواجدكم معنا ومشاركتكم لنا هذا التجمع السنوي المميز والذي يلتقي فيه قيادات المجتمع العالمي والشخصيات الشهيرة من رموز وقادة أتباع الديانات السماوية الثلاث، ومن المهتمين بقضايا ترسيخ القيم الانسانية النبيلة التي تسعى جاهدة وبخطى حثيثة نحو تعزيز التعايش السلمي بين سكان المعمورة.

ويسعدنا ويثلج صدورنا أن نقدم لكم هذا الكتاب الذي يحتوي على الاوراق العلمية والبحوث الاصيلة والرصينة التي قُدمت خلال جلسات **"مؤتمر الدوحة الثامن لحوار الاديان"** الذي عقد في الفترة 26-28 أكتوبر 2010 مكتوباً باللغتين العربية والانجليزية مع ملخصات عنها بكلتا اللغتين.

إن ما يميز مؤتمر الدوحة السنوي لحوار الاديان هو تنوع مواضيعه وملامستها لأرض الواقع الذي نعيشه، ففي مؤتمر الدوحة السابع لحوار الاديان الذي عقد في العام الماضي (2009) ناقشنا على مدى يومين موضوعاً هاماً ألا وهو " **التضامن الانساني"** حيث عرض المشاركون رؤاهم حول السبل الممكنة لدعم التعاون بين أتباع الاديان المختلفة بهدف الوصول لمجتمع بشري قائم على المساواة وتحسين حياة المجتمع البشري وترسيخ المبادىء الدينية التي تحث على التعاون والتكاتف والتضامن.

وفي هذا العام إخترنا عنواناً لمؤتمرنا الثامن لحوار الاديان وهو " **دور الاديان في تنشئة الاجيال"**. ومن خلال جلسات المؤتمر استعرضنا العديد من القضايا التي تؤثر على تنشئة الابناء ومنها دور الاسرة وتاثير التربية الاسرية واثر التفكك الاسري على القيم الدينية والاخلاقية لدى الابناء ثم عرجنا على دور المؤسسات التعليمية والتربوية والاجتماعية والاعلامية في هذا الأمر، وركز المشاركون على دور المدرسة وأهمية المناهج الدراسية في غرس القيم الدينية السوية، وتحديث منظومة التعليم لبناء مجتمع عالمي متوازن دينياً. واستعرض المشاركون عدد من التجارب الناجحة في تأثير الاعلام وتكنولوجيا الاتصالات الحديثة في التنشئة السليمة للنشء، وأخيراً ناقش المجتمعون عدداً من الاوراق التي تحدثت عن دُور العبادة (المسجد والكنيسة والمعبد وغيرها) ودورها الفاعل في تربية الاجيال

وترسيخ المبادىء الدينية السليمة. كما استمع المشاركون إلى عدد من الشباب الذين قدموا رؤاهم حول أهمية حوار الاديان في هذا العصر ودور الاديان في تنشئة الاجيال.

إن الدور الرئيسي **لمركز الدوحة الدولي لحوار الاديان** هو أن يكون بمثابة وسيلة للتأثير في قيام حوار بناء بين أتباع مختلف الاديان السماوية من أجل تحسين حياة المجتمع البشري، وتنشئة الاجيال على قبول الاخر واحترامه مع بناء الشخصية السوية للطفل وتربيته دينياً وثقافياً وإجتماعياً في عالم يتأثر بصورة تصاعدية بقيم دخيلة أثرت سلباً على كيان بعض المجتمعات.

قبل الختام، فإن مركز الدوحة الدولي لحوار الاديان يعرب عن شكره الجزيل وإمتنانه للجهود الرائعة والمشاركات القيمة التي قدمها المشاركون من داخل دولة قطر وخارجها خلال جلسات هذا المؤتمر. ونخص بالشكر سعادة الدكتور غيث الكواري وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الذي قدم محاضرة قيمة في ختام المؤتمر. كما يشكر المركزالقائمون على لجنة تنظيم المؤتمرات بوزارة الخارجية وعلى راسهم سعادة محمد بن عبدالله الرميحي رئيس اللجنة ومساعده سعادة السفير عبدالله فخرو وفريق العمل باللجنة على جهودهم البارزة ومساندتهم لنا في تنظيم هذا المؤتمر، كما نتوجه بالشكر لكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة قطر وعميدتها الاستاذة الدكتورة عائشة المناعي على دعمهم ومشاركتهم البناءة في هذا المؤتمر وجميع المؤتمرات السابقة لحوار الاديان. وأعرب عن إمتناني العميق للمجلس الاستشاري العالمي للمركز، ولزملائي في مجلس إدارة المركز الذين تبادلوا الافكار والاراء بصورة مستمرة قبل وأثناء المؤتمر، والشكر الجزيل لفريق العمل في المركز الذي عمل بلا كلل ولا ملل لساعات طويلة لتحضير كل المواد والوثائق لهذا التجمع العلمي العالمي السنوي.

أتمنى أن تستمتعوا بقراءة محتويات كتيب المؤتمر والذي كان بلا شك ثرياً بالموضوعات والمشاركات العلمية والدينية المتخصصة والرصينة، وعلامة بارزة لجهود المهتمين بالحوار بين أتباع الديانات السماوية الثلاث.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وجزا الله الجميع كل خير على عملهم الدؤوب.

" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"

أ.د. إبراهيم بن صالح النعيمي

رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الاديان

المحتويات

الجلسة الافتتاحية

الجلسات اللاحقة للمؤتمر

الجلسة الإفتتاحية

حسن بن عبدالله الغانم - وزير عدل قطر

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أنبيائه ورسله أجمعين ...أما بعد،،،

أصحاب السعادة ،، الحضور الكرام ،، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

باسم دولة قطر أميرا وحكومة وشعبا أرحب بكم في مدينة الدوحة – دوحة الحوار فأهلا وسهلا بكم جميعاً.

الحضور الكرام ،، إن إحدى القواعد الأساسية التي تنطلق منها حوار بين أتباع الأديان تتجسد بالعدل والعدالة، فالعدل اسم من أسماء الله الحسنى، وصفة من صفاته سبحانه وتعالى، فكان وصية البارئ عز وجل إلى أنبياءه حين استخلفهم القضاء في الأرض، فقال تعالى: **"لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ"**.

وفي ضوء هذا التصور الشامل للعدالة فإننا نرى أن الإنسان مستخلف في الأرض لعمارتها، وهنا تقع علينا جميعاً واجبات محددة ومسؤوليات مشتركة لتحقيق علاقة بين الجميع تقوم على أسس من حسن التعامل والاحترام المتبادل التي تحد من تأثيرات السلبيات.

ولا شك في أن كل حوار داخل إطار ديني يتسم بحساسية خاصة. ونرى كرجال القانون بأن العدل هو واحدة من القيم التي تنبثق من عقيدة الانسان في مجتمعه، فالعدل هو ميزان الله على الأرض، به يؤخذ للضعيف حقه وينصف المظلوم ممن ظلمه، قال الله عز وجل في الحديث القدسي: **"يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا"**.

ونحن في دولة قطر تحت القيادة الراشدة لحضرة صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير البلاد المفدى نؤمن إيماناً يقيناً بهذه المفاهيم والقيم. فتنظر قطر إلى الحوار بين الأديان على أنه يعني قبل كل شيء التواصل ومعرفة الآخر، وحوار عملي وواقعي يهدف إلى التعايش بين الناس بكرامة وعدل وأمن وسلام.

ونؤكد أن العلاقة بين المسلمين وأتباع الاديان الأخرى لا ينبغي أن تقوم على الصراع والإساءات وإنما على الفهم المتبادل والتعايش السلمي، و نرى بأن القوانين تحمي حرية التعبير ما لم تشكل عدواناً على الآخرين.

أصحاب السعادة ،، ضيوفنا الكرام ،، إن جدول أعمال مؤتمركم هذا في غاية الأهمية وهو: **"دور الأديان في تنشئة الأجيال"**، فإن التعليم الإنسان وتحسين وضعه ثقافيا وفكريا وعمليا هو القضية الرئيسية وغاية الحياة. وينبغي أن ينعكس هذا على المؤسسات التعليمية، والاجتماعية والقانونية.

ونأمل أن المناقشات التي ستدور في جلسات المؤتمر سوف تسهم في دراسة هذه القضايا العلمية المحددة.

و أدعو حضراتكم وخاصة الذين حضروا المؤتمرات السابقة إلى دراسة الكيفية المثلى لمتابعة تنفيذ التوصيات التي صدرت عن تلك المؤتمرات وما سيصدر عن هذا المؤتمر ليتحقق الهدف الذي من أجله تنعقد هذه اللقاءات وهذا الحوار.

وأخيراً يسعدني أن أعلن باسم الله افتتاح مؤتمر الدوحة الثامن لحوار الأديان داعيا أن يكون همزة وصل في سلسلة من المؤتمرات يتحقق من خلالها الهدف السامي في فتح آفاق التفاهم ورؤى التعاون ليعم السلام والاحترام المتبادل أرجاء المعمورة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

أ.د. إبراهيـم بن صالح النعيـمي

رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الاديان

والصلاة والسلام على الانبياء والمرسلين
سعادة السيد/ حسن بن عبد الله الغانم وزير العدل
أصحاب السعادة والفضيلة والنيافة
العلماء الأجلاء
أيها الحفل الكريم
أحييكم بتحية الإسلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

ها نحن نلتقي بعد عام من مؤتمرنا السابع لنناقش ونتباحث في موضع هام آخر يعني بسلامة الإنسانية والحفاظ على ثرواتها الا وهى ثروة البشر.

لقد قدمتم أهلاً وحللتم سهلاً ايها المشاركون الأفاضل في هذا الحدث العالمي السنوي لنلتقي معا ونستمع ونحلل ونستقرأ مستقبل الجيل الجديد، وما هى وجهته، وما هي أدورانا كعلماء دين وأكاديميين ومسؤليين عن تربية هذا النشأ.

إن موضوع مؤتمرنا هذا العام: " **دور الأديان في تنشئة الأجيال**"، لم يأت من فراغ، فجميعنا يعلم مدى ما يتعرض له ابناء هذا الجيل من تيارات وثقافات وأفكار منها ما هو نافع ومنها ما هو غير ذلك.

لذا حاولنا من خلال "**مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان**" أن نطرح هذا الموضوع على أصحاب الرأي والدين والثقافة والمختصون من أبناء الأديان السماوية الثلاث لعرض أفكارهم ورؤاهم حول تأثير العوامل المختلفة على تنشئة هذا الجيل.

وقد اخترنا أربعة عناصر ارتأينا أنها عوامل رئيسية لتشكيل ابناء هذا الجيل:

العامل الأول: **"دور الأسرة في تنشئة الجيل الجديد من منظور ديني" .** نحن نرى ان تأثير الأسرة بقيادة الوالدين يعتبر صاحبة التأثير الأول والأكبر والأكثر استمراراً. إن تنشئة الطفل على الإعتزاز بالهوية وعلى الشعور بالإنتماء الحضاري والإنساني مع التسلح بثقافة التآخي والتسامح وإحترام الآخرين والإنفتاح على المجتمعات الأخرى هو خير ما يمكن ان ينشأ به الانسان في هذا العصر.

يقول الله تعالى: " وقضى ربك إلا تعبدوا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما، وخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل ربي أرحمهما كما ربياني صغيرا" فتربية الوالدين لا تعادلها تربية ، إذ احسنا ذلك.

ويقول الرسول الكريم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته".

ثم اخترنا العامل الثاني ***"دور المدرسة في تنشئة الطفل وقبول الآخر"*** ، وحاولنا تقييم دور المؤسسات التعليمية (المدرسة والكلية والجامعة) في زرع القيم والأخلاق النبيلة لدى النشء، وهل تقوم فعلا بهذا الدور وتعتبره دورا رئيسيا في تربية وتعليم هؤلاء النشء أو تعتبره ثانويا وتركز على المهارات والآليات والتخصصات وتهمل ما دون ذلك.

أما العامل الثالث والذي أعتبره من أهم العوامل في هذا الوقت، الا وهو " **تأثير الإعلام المرئي والمسموع والمشاهد والمقرؤ على تنشئة هذا الجيل**". فلا يخفى على الجميع دور وتأثير الإعلام الإجتماعي مثل الفيس بوك والتويتر بالإضافة إلى الإنترنت واليوتيوب، في تشكيل ثقافات أبناء الجيل الحالي.

والسؤال المطروح كذلك هو هل ما يقدم وينقل لإبناءنا إعلامياً يعزز من القيم والثوابت والمعتقدات التي نشأوا عليها أم انها مغايرة لها؟ وما تأثير ذلك على هذا الجيل؟

أما المحور الرابع فهو "***دور دُور العبادة من مساجد وكنائس ومعابد في غرس قيم هذه الاديان السماوية*** في عقول وتفكير هذا النشء. وهل هذه المؤسسات الدينية ما زالت تقوم بهذا الدور كما كانت تقوم به في السابق؟

أن رسلنا صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً، قدموا لنا رسالات ، علينا نحن اتباع هذه الرسالات ان نحملها ونحرص علي نقلها للأجيال التالية محافظين على أسسها التي تحث على الأخلاق الكريمة والمحبة وحسن المعاملة.

أعزائي الحضور الكرام:

إن رسالة "***مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان***" والذي أنشأ في عام 2007 هي السعي إلى تكريس الحوار البناء بين أتباع الأديان من أجل فهم أفضل للمبادئ والتعاليم الدينية لتسخيرها لخدمة الإنسانية جمعاء، انطلاقاً من الإحترام المتبادل والإعتراف بالإختلافات، وذلك بالتعاون مع الأفراد والمؤسسات ذات الصلة.
وقد بذلنا الجهد الحثيث خلال الأعوام الماضية للقيام بدور كبير وفعال في هذا المجال.

وما كان هذا العمل ليتحقق لولا وجود "**مجلس إدارة المركز**" ، وحرصه الدائم على إختيار الموضوعات الهامة لمثل هذه المؤتمرات العالمية التي يحشد لها جل علماء الدين من الديانات السماوية الثلاث: ***الإسلامية، والمسيحية واليهودية***. كما ان دور ***"المجلس الإستشاري العالمي"*** للمركز هام وكبير في إختيار المتحدثين والمشاركين.

ان حرص دولة قطر بقيادة صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، أمير البلاد المفدى، وولي عهده الأمين، على رعاية جميع الملتقيات التي تهتم بحوار الأديان وتحالف الحضارات لهو دليلاً قاطعاً بأن دولة قطر ماضية في طريق الإنفتاح على العالم بجميع ثقافاته ودياناته، والقيام بكل ما من شأنه جعل هذا العالم مكاناً يملؤه الأمن والآمان والإستقرار والحياة الكريمة والشريفة لكل من يعيش فيه.

ان المركز قد وضع نصب عينيه أن يقدم من خلال المؤتمرات والندوات والطاولات المستديرة والرحلات الطلابية ومن خلال المجلة العلمية، من خلال كل هذه الوسائل مجتمعة نعمل على نشر ثقافة التعايش السلمي والحوار مع الآخرين للوصول إلى الهدف الاسمى وهو الحياة الكريمة لبني البشر، يقول الله تعالى " ولقد كرمنا بنى آدم".

لذا فإننا سوف نعقد مباشرة بعد مؤتمرنا هذا ندوة محلية للجالية الهندية في قطر بجميع طوائفها ودياناتها بالتعاون مع مركز الأصدقاء الثقافي ، تحت عنوان: " من التعارف إلى التقارب "

ومع نهاية هذا الشهر سوف نعقد ندوة في جمهورية مصر العربية مع "برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات " بجامعة القاهرة ، حول "***دور المرأة في الحوار***" وسيشارك في الندوة نخبة من المختصين والمختصات في حوار الأديان والثقافات والحضارات.

أيها الجمع الكريم،

اود في هذه المناسبة ان اتوجه بالشكر الجزيل لرئيس الوزراء وزير الخارجية معالي الشيخ / حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني لدعمه المستمر لـ "***مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان***" والشكر موصول للجنة المؤتمرات بوزارة الخارجية ، وعلى رأسها سعادة محمد بن عبد الله الرميحي مساعد وزير الخارجية لشؤون المتابعة ورئيس اللجنة الدائمة لتنظيم المؤتمرات، ومساعده سعادة السفير عبد الله فخرو وجميع العاملين باللجنة ولزملائي وإخواني وأخواتي أعضاء مجلس إدارة "***مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان***" والإداريين بالمركز وجميع المتطوعين، اشكرهم جميعا على العمل الدؤوب الذي قاموا ويقومون به ليظهر مؤتمرنا بالصورة التي ترونها أمامكم.

الحضور الكرام، نتمنى أن يتاح لنا في مؤتمرنا هذا الخروج بأفكار ومقترحات و توصيات مؤثرة لننقلها للجهات المختصة ذات الصلة بموضوع مؤتمرنا لنترك أثراً فعالاً في مسيرة الإنسانية .

كما أشكركم ايها الضيوف الكرام من خارج قطر على تجشمكم عناء السفر وقبول دعوتنا للمشاركة في أعمال مؤتمرنا، متمنياً لكم طيب الاقامة في مدينة "***الدوحة. دوحة المحبة والسلام***".

ولكم منا جميعا جزيل الشكر وعظيم الإمتنان.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الشيخ تيسير رجب التميمي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، كما أصلي وأسلم على سائر الأنبياء والمرسلين .

... ، أصحاب المعالي والسعادة ... ، الحضور الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بداية يطيب لي أن أتقدم بعظيم الشكر وفائق التقدير إلى دولة قطر الشقيقة لاحتضانها فكرة الحوار بين أتباع الديانات ، وإلى مركز الدوحة لحوار الأديان ممثلاً برئيسه الدكتور إبراهيم النعيمي ، والأخت ناديا الأشقر منسقة المؤتمر على الدعوة الكريمة لحضور مؤتمر الدوحة الثامن لحوار الأديان والمشاركة فيه ، وعلى ما غمرنا به من كرم الضيافة وحسن الاستقبال .

الحضور الكريم :

الحوار ضرورة بشرية لتحقيق السعادة والأمن والاستقرار بين الناس على اختلاف أجناسهم وثقافاتهم وأديانهم وعقائدهم ، قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } **الحجرات 13** .

ولا يمكن تحقيق هذه الدعوة الإلهية للتعارف بين الناس إلا بالحوار وتبادل المعارف والعلوم والمعلومات والخبرات لتحقيق السعادة بين البشر والتنمية ومواجهة الكوارث والأزمات والحروب والقضاء على الفقر والجوع والمرض ومواجهة الكوارث في العالم ، فالحوار هو الوسيلة الأمثل والوحيدة لحل النزاعات والقضايا ومواجهة التحديات الخطيرة في العالم في هذا العصر وفي كل العصور ، لأن البديل عن الحوار هو العنف وسفك الدماء والحروب الطاحنة .

لهذا لا بد لي في البداية من التعبير عن تقديري وإعجابي بدولة قطر لاهتمامها بقضايا الحوار ومحاولاتها الحثيثة لرأب الصدع وفض النزاعات وحل الأزمات وبذلها جهود التوفيق بين المتخاصمين ؛ بما يسجل لها ولقادتها وعلى رأسهم أمير البلاد سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني بحروف من نور من إنجازات في التوفيق بين الفرقاء المتخاصمين في العديد من الدول : لبنان والسودان وفلسطين وغيرها من الدول ، وإغاثة الملهوف بسبب الكوارث التي ألمت بالإنسانية مؤخراً

يؤكد القرآن الكريم أن التعاون الحقيقي عبر الحوار الهادف البناء الذي يعتمد الاعتراف بالآخر وتثمين ما عنده على قاعدة احترام التعددية الدينية والثقافية والسياسية ، والرأي المخالف للوصول إلى أفضل الوسائل والسبل لاستبدال ثقافة الحرب بثقافة السلم ومواجهة الكوارث الإنسانية والمناخية والفقر والمرض والجوع .

يعتبر عنوان مؤتمر الدوحة الثامن لهذا العام حول **" دور الأديان في تنشئة الأجيال "** من المواضيع الهامة التي تناولها هذا المؤتمر ، فالدين هو أساس متين لترسيخ كل القيم لعمارة وإصلاح الكون وذلك عبر نشر هذه القيم الإنسانية والدينية بالتعليم والتربية الصالحة ، فإن للتعليم دوراً أساسياً في تحقيق السعادة للبشرية جمعاء من خلال تأصيل القواعد الدينية والأخلاقية والتعبدية والعقدية وفي علاقات الأفراد والجماعات والدول لتحقيق الأمن والاستقرار والتنمية وتعزيز لغة الحوار والتسامح والسلام ونبذ الخلافات والحروب وسفك الدماء ، قال تعالى { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ } **قريش 3-4** .

وهذا يقتضي أن يخرج هذا المؤتمر بتوصيات للارتقاء بالتعليم الديني لتحقيق التقارب بين الشعوب وأتباع الديانات المختلفة من خلال نشر الثقافات والقيم والفضائل المشتركة في الأديان ، ولتعزيز الروابط الأسرية للحفاظ على تماسك الأسرة للحفاظ عليها وحمايتها من التفكك والانهيار مما يؤدي إلى إضعاف القيم الدينية والأخلاقية عند الأبناء ، فقد كان للأسرة دور هام في حياة الأبناء في كل العصور ، فهي التي توفر لهم أسباب الحياة والاستقرار والتربية الصالحة ، وهي التي تشكل ملامح شخصياتهم بتعزيز ثقتهم بأنفسهم وبتوجيههم نحو القيم الدينية التي تؤدي إلى ارتقائهم الفكري والثقافي والعلمي ، وهذا يقتضي أن يكون دور المعاهد العلمية والمدارس ووسائل الإعلام المختلفة معززاً لدور الأسرة في تنشئة الأجيال ، وبالأخص مع ما شهده العالم من تطور في التكنولوجيا ووسائل الاتصال بانتشار الفضائيات ومواقع الإنترنت التي أصبح لها الدور الأكبر في تشكيل شخصية الأبناء بما تفرزه من أفكار وسلوكيات وثقافات بعيدة عن القيم التي دعت إليها الأديان ، وهذا الأمر من أخطر التحديات التي تواجه النسيج الاجتماعي للشعوب في كل مكان في العالم

وفي ختام كلمتي أرجو أن تسمحوا لي وأنا القادم من القدس أن أنقل إلى هذا المؤتمر الذي يضم هذه النخبة من أتباع الديانات المختلفة رسالة القدس ؛ أرض النبوات ومهد الحضارات ومهبط الرسالات ، مدينة السلام التي تفتقر إلى السلام :

* يواجه الحوار بين أتباع الديانات تحدياً خطيراً بما تتعرض له مدينة القدس ومكانتها الدينية والإنسانية والتاريخية ، **فنجاح هذا الحوار يرتبط ارتباطاً محورياً بحمايتها والحفاظ على مكانتها** ، أما تجاهل انتهاكات الاحتلال الخطيرة لكل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية التي تجري فيها فيضع فكرة الحوار بين

أتباع الديانات الثلاثة : الإسلامية والمسيحية واليهودية على المحك ، فالاحتلال ينتهك كل ما دعت إليه الشرائع الإلهية والاتفاقيات والمواثيق الدولية بالاعتداء على حقوق الإنسان الفلسطيني فيها بشكل خطير ، فمثلاً حرية العبادة مصادرة ، إذ إننا نمنع دخول مدينة القدس للصلاة في المسجد الأقصى المبارك وكنيسة القيامة ، حتى المقدسيين تحدد سلطات الاحتلال أعمار من يسمح لهم بالصلاة ، فيمنع الصغار والشباب من الصلاة ونحن نبحث دور الأديان في تنشئة الأجيال .

* هناك جيل كامل من الشعب الفلسطيني **لا يعرف القدس إلا عبر شاشات التلفاز** ، فقد عزلتها سلطات الاحتلال الإسرائيلي عزلاً كاملاً عن محيطها الفلسطيني بجدار الفصل العنصري الذي يحيط بها من جهاتها الشرقية والجنوبية والشمالية ، ووضعت على مداخلها الحواجز العسكرية ، فأصبح وصول المسلم مكة المكرمة ووصول المسيحي الفاتيكان للصلاة أسهل عليهما من وصول القدس .

* هذا بالإضافة إلى **تهويد وطمس كل معالم المدينة المقدسة** العربية والإسلامية والمسيحية بهدم عمائرها ومبانيها التاريخية والأثرية وإقامة الكنس اليهودية على نطاق واسع ، والاستيلاء على بيوت أهلها وإسكان الغرباء فيها وهدم الآلاف منها ومصادرة أراضيهم لإقامة المستوطنات عليها ومنعهم حق البناء لاستيعاب الزيادة الطبيعية بهدف التضييق عليهم لتهجيرهم منها وسحب هوياتهم ومحاربتهم في أرزاقهم بمنعهم من العمل وفرض الضرائب الباهظة عليهم ، وتتعرض القدس أيضاً لتهويد التعليم فيها ، وذلك بفرض مناهج تعليمية وتربوية مختلفة عن قيم وثقافة أبنائها العرب ، وهناك تشجيع على الاتجار بالمخدرات وتعاطيها ،

* **المخططات الإسرائيلية لتهويد القدس** كما صادقت عليها حكومة إسرائيل وتقوم بتنفيذها :

1- **مشروع 2020** ، الذي يسعى إلى توسيع حدود بلدية القدس وضم جميع الكتل الاستيطانية حولها لتبلغ مساحتها أكثر من مائة كيلو متر مربع ، وليصل عدد سكانها من المستوطنين بحلول عام 2020 إلى مليون مستوطن بحيث يصبح العرب فيها أقلية لا تزيد عن عشرة بالمائة من سكانها .

2- مخطط **"القدس أولاً"** الذي صادقت عليه الحكومة الإسرائيلية ، وشرعت في تنفيذه من خلال إقامة مشاريع في البلدة القديمة من القدس (الحوض المقدس) لطمس لمعالمها العربية الإسلامية والمسيحية بهدم عمائرها ومبانيها التاريخية وسرقة آثارها وإقامة الكنس اليهودية على نطاق واسع في محيط المسجد الأقصى المبارك ، واستمرار الحفريات تحت أساساته بقصد هدمه ، وأكبر دليل على ذلك الانهيارات في ساحاته والتصدعات في أعمدته ، وما يجري الآن من تهويد لساحة البراق ومنطقة سلوان جنوب المسجد الأقصى المبارك على حساب الحضارة والتراث الإنساني العربي والإسلامي في القدس لتحويلها إلى مدينة يهودية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

أ.د. عائشة يوسف المناعي

والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله ، وعلى إخوته سائر الأنبياء والمرسلين ..

سعادة السيد/ حسن بن عبدالله الغانم

وزير العدل بدولة قطر.

فضيلة الشيخ الدكتور تيسير التميمي

قاضي القضاة سابقاً بفلسطين،

غبطة الأب/ بيير لويجي شيلاتا

أمين سر المجلس البابوي للحوار بين الأديان ورئيس أسقفة الفاتيكان.

سعادة الحاخام / هيرشل غلوك

مدير ومؤسس المنتدى الإسلامي اليهودي ببريطانيا.

السيدات والسادة:

أصحاب السعادة والمعالي والفضيلة والنيافة .. الوزراء .. والسفراء .. وضيوف قطر .. الحضور الكريم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

ومرحباً بكم ، وبتجمعكم المبارك ، الذي أتمنى من الله تعالى أن تغشاه الرحمة .. وأن يُظله السلام .. وأن تتخلله العدالة والنظرة الموضوعية لبعضنا البعض ..

المتدينون يعلمون أهمية الدين للحصانة والصيانة الروحية والسلوكية للإنسان بجميع فئاته ومراحل حياته .. وتأتي مرحلة الطفولة والمراهقة والتي يتشكل فيها الفرد بتعليمه وتربيته ، .. فيصنع فيها صُنعاً حسب إرادة مُربيه ومعلمه ..

ومن هنا وبناء على ما تقرره الأديان ، وما تُقره اتفاقية الأمم المتحدة من حقوق للطفل وحقوق للشباب .. نُقر نحن معهم أن من أجلَّ وأعظم الحقوق تنشئة الأجيال على القيم والأخلاق وتربيتهم على احترام الدين ؛ الذي يخرج الإنسان من التمركز حول ذاته إلى سعة قبول الآخرين المختلفين عنه، فيعترف بهم ويتعاون معهم ، ويشعر بأنه وإياهم إخوة في الإنسانية ، وأن ربهم وخالقهم وموحدهم واحد كما قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم :

(أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

من هنا كان اهتمام الأديان بالتنشئة الاجتماعية بدءاً من الأسرة والحضانة والمدرسة .. إضافة إلى توجهات واضعي مناهج التربية والتعليم ، التي يفترض فيها أنها لا تغفل نشر ثقافة الحوار، والتربية على حقوق الإنسان .. واحترام عقائد وأنبياء ومقدسات الآخرين وعدم الإساءة إليهم فيما يؤمنون ويعتقدون .

لكل هذه الأهداف ، ولكل هذه المعاني ينعقد مؤتمر الدوحة الثامن لحوار الأديان بمحاوره الهادفة والبناءة ..

فمرحباً بكم مرة أخرى ، ومرحباً بتحاوركم ..

الجلسات اللاحقة للمؤتمر

سبل الارتقاء بالتّعليم الديني لتحقيق التّقارب بين الشّعوب :قراءة في تجربة إصلاح التّعليم الدّيني بتونس

أ.د سـالم بويحـي

عرفت نظم التّربية والتّعليم أزمة حادّة طوال عصور الانحطاط والتّراجع الحضاري التي مرّ بها العالم العربي الإسلامي. ورغم المحاولات المتكرّرة لإصلاحها منذ أواخر القرن التّاسع عشر، فقد وجّهت إليها انتقادات عديدة متّهمة إيّاها بالقصور والجمود والتّقوقع. وقد عمّقت العولمة من أزمة التّعليم عامّة والتّعليم الدّيني على وجه الخصوص، وفرضت تحدّيات جديدة وطرحت تساؤلات كثيرة حول ملامح الإنسان الذي سيكوّنه التّعليم، والقيم التي يجب أن يتحلّى بها، وسبل الارتقاء بالتّعليم الدّيني شكلا ومضمونا. يتناول هذا البحث بالدّرس بعض الإشكاليات التي يعاني منها قطاع التّربية والتّعليم في العالم العربي الإسلامي وسبل الارتقاء بمؤسّساته وضمان جودته. كما تضمّن محاولة للتّعريف بتجربة إصلاح التّعليم الدّيني في تونس وخصوصيّتها، وهي تجربة عريقة وجديرة بالدّرس والتّقييم؛ إذ أنّ أحد أهداف المراجعة المستمرّة لمناهج تدريس الدّين بمؤسّسات التّربية والتّعليم المختلفة في تونس هو السّعي إلى ترسيخ قيم التّسامح والوسطيّة والاعتدال، وإلى مزيد تفعيل الحوار بين الأديان ودفعه نحو آفاق أرحب من الانفتاح والتّعاون المثمر في سبيل التّقارب البشري والسّلام الدّولي.

يسعدني أن أشارك في أعمال هذا المؤتمر الهام حول "دور الأديان في تنشئة الأجيال" ببحث بعنوان: سبل الارتقاء بالتّعليم الدّيني لتحقيق التّقارب بين الشّعوب (قراءة في تجربة إصلاح التّعليم الدّيني بتونس).

1) أسس الارتقـاء والتّحديـث:

لقد عبّر رجال الإصلاح منذ القرن التاسع عشر عن رغبتهم الجامحة في تغيير الواقع العربي الإسلامي بعد الاحتكاك بحضارة الغرب الناهضة التي حسمت أمرها في العديد من القضايا، وقدّمت للعالم مشاريع متكاملة أنتجت مؤسسات رائدة في مجالي العلوم والتقنية، وفي مستوى الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الأمر الذي جعلها تتفوّق على مختلف الأصعدة.

وإذا كان الاحتكاك بحضارة الغرب أكبر حافز للدعوة الإصلاحية العربية والإسلامية مشرقا ومغربا، فإنّ ما شهده الفكر العربي الإسلامي من مراجعة وإصلاح بدا أمرا ملاحظا تدريجيّا عبر النظر في مسيرة الإصلاح الداخلـي ومن خلال مزيد الانفتاح على مشاريع التنوير ومنـاهج البحث في العلوم الإنسانيّـة.
إنّ عمليّة التقدّم المنشـود التي تقوم على الإبداع العلمي والمبـادرة والريادة في جميع المجالات لابدّ أن تمرّ عبر النّقد الهادف لما ترسّب في الأذهان وما ترسّخ في العقول من أشكال تراثيّة ما زالت تحيا بيننا إلى اليوم وتعيد إلى أذهاننا ملامح الشخصيّة التي تشكلت في عصور الانحطاط والتي ما زلنا نعاني من رواسبها ومن تبعات ممارساتها لأنها كانت قد نحتت صورة العجز والتقوقع والتراجع الحضاري في عديد الميادين، وخاصة في ميدان التربية والتعليم حيث يحتاج هذا المجال - باستمرار - إلى المراجعة والتقييم.
فكيف نحقق المطمح المنشود في الإصلاح والمواكبة والتحديث مع المحافظة على الخصوصيات واحترام الذات والآخر؟
لقد فرضت العولمة تحديات اقتصادية واجتماعية جديدة وطرحت التساؤلات التّالية حول النّظم التّربويّة عموما، والتّعليم الدّيني خاصّة: ما هي ملامح الإنسان الذي سيكوّنه التعليم؟ وما هي القيم التي يجب أن يتحلّى بها؟ وما هي الحاجة من إصلاح التعليم عموما والتعليم الديني بوجه الخصوص؟ وكيف يمكن الارتقاء بالتعليم الديني شكلا ومضمونا؟

أ) مركزية المسألة الدينية في الفكر الإنسـاني:

إنّ المسألة الدينيّة تبدو على قدر كبير من الأهمية لأن الدين هو المنزع الأكثر عمقا في الإنسان فردا وجماعة. وإذا كانت ماهيّته شديدة التّركيب والتّعقيد[1]، فإنّ ماهيةً على هذا النسق من التركيب تستحقّ أن تكون موضوعا للعلم ومجالا للمعرفة.
ومن خلال مشهد العصر يمكن القول أنّ العلاقات بين الشعوب والثّقافات والدّول أصبحت مرتبطة إلى حدّ بعيد بالمسألة الدينية حيث بدا الدين عنصرا فاعلا في العلاقات الدوليّة، فترتّبت عنه كثير من المواقف.

ب) دور الأديـان في الارتقـاء بالتّعليم:

لقد اضطلع زرادشت[2] منذ القديم بدور المعلّم، فكان يُبَلِّغُ لأتباعه وحْي السماء. وقامت تعاليمه على "الديالكتيك الحي"[3] القائم بين الخير والشّر. كما اضطلعت معابد المجوس الزرادشتيه بهذه المهمّة بعد غياب

[1]) السّواح، فراس، دين الإنسان: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، دار علاء الدين، دمشق، ط 4، 2002، ص 22- 29.

الحكيم زرادشت. كما كان نظام "ثيرافادا" (Theravada) البوذي يُوظّفُ الأديرة لتعليم الرهبان إجادة القراءة والكتابة، ويمكّنهم من مهارات تتعلّق بالتدريب على فنّ العمل ويُؤَمِّنَ لهم تعلّم " التقاليد الأدبيّة"[4]؛ وهي الشبيهة بما يعرف في الأدب الديني الصيني بـ"اللّباقات الصينيّة"[5] المعبّرة عن آداب التعامل مع الآخرين. ومن المعلوم أيضا أنّ اليهوديّة كانت تجبر معتنقيها "على قراءة النصوص المقدّسة"[6]. وتكوّنت مؤسسة " المدراس" اليهوديّة التي انشغلت بإيجاد ظروف تؤمّن الحصول على مؤهّلات تعليميّة عالية. وقد شجّع اليهود تعليم الذكور وامتلاك المهارات العقليّة المطلوبة لتفسير الشّريعة[7]. كما أن الكنائس المسيحيّة كان لها دور هام في تشجيع التعليم، وكمثال على ذلك نذكر الدّور الذي قامت به الكنيسة البروتستانتيه حين فرضت على المسيحي المعرفة الشخصيّة بالإنجيل وباللّغة الوطنيّة. وعلى إثر النّجاح الّذي حققته حركة الإصلاح المسيحيّة "أصبحت المجتمعات البروتستانتيه وخُصُوصا الكلفينيه[8] ذات مقدرة تعليميّة عاليه، الأمر الذي ساعدها بأن تكون رائدة للنمو الاقتصادي في شمال أوروبا"[9].

ولمّا جاء الإسلام بعد هذه الأديان كانت كلمة البدء فيه "اِقْرَأْ"، وكان مقياس المفاضلة بين مدارك الأفهام "العلم". جاء في سورة الزّمر "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ". وقد استوعب الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الوعي فطلب الزيادة منه "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا"[10]؛ وجلس صلى الله عليه وسلم في مسجده يُعلّم أصحابه الدّين ويحثّهم على حفظ القرآن وتدوينه[11]. ثم تمثّلت أمّته من بعده ثقافة العلم فتمّت المواءمة بين مستوى التعبّد ومستوى التّعليم. ولا تصحّ عبادة تؤسّس على الجهل. واتّضح نظام التلقي

---

[2]) زرادشت: هو مؤسّس الديانة الزرادشتية، عاش في الربع الأخير من الألف الثاني، ق م، وقد سادت ديانته في الإمبراطوريات الفارسية إلى القرن السابع ميلادي. لمزيد التعرّف على زرادشت وديانته أنظر: أ، س، ميغولفسكي، أسرار الآلهة والديانات، ترجمة، حسان ميخائيل إسحاق، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط 2، 2006، ص 73-86.

[3]) م.ن، ص 74.

[4]) دافيد، سوفير، م.ن، ص 71.

[5]) يتعلّم الصّبي الكونفشيوسي منذ ميلاده الالتزام الصارم باللّباقات. أنظر: ميغولفسكي، م. ن، ص 296.

[6]) دافيد، سوفير، م. ن، ص 71.

[7]) م.ن، ص. ن.

[8]) نسبة إلى جون كالفن، (1509- 1564) أحد رواد حركة الإصلاح التي عرفتها المسيحيّة والذي يعتبر المنظم الفعلي للكنيسة الانجيليّة ألبروتستانتيه. أنظر: رقيّه، العلواني وآخرون، مفهوم الآخر في اليهوديّة والمسيحيّة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 1، 2008، ص، 191– 199. وانظر زيغور علي، المسيحيّة، الموسوعة الفلسفيّة العربيّة، المدارس والمذاهب، والاتجاهات والتيارات، معهد الإنماء الغربي، المجلّد الثّاني، ط 1، 1988، ص 1262.

[9]) دافيد، سوفير، م .ن، ص 71.

[10]) طه، 111.

[11]) ابن عاشور، محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط 1، 2006، ص 24.

وتوزّع ما يُقدّم للطلبة من معارف على مراحل، حيث أصبح التّعليم على ثلاث درجات: ابتدائي ومتوسّط وعالي[12].

ولنا أن نتساءل: في أيّ سياق يمكن الارتقاء بالدرس الديني؟ وأيّ تواصل يحدثه الدّرس الدّيني مع إنسان القرن الحادي والعشرين ومشاغله؟

2) سبل الارتقاء بالتّعليم الدّيني:

أ) احترام الإنسان:

إنّ أي درس ديني يُغْفِلُ قيمة احترام الإنسان، هو درس لا يمكنُ الثقة به. وإنّ الخطاب الدّيني الذي يُحقّرُ من الإنسان هو خطاب لا يمكن أن يُنمّي التواصل بين البشر على مقتضى الاحترام. إنّ جميع الأديان ترفض هذا المنطق. وقد عبّر القرآن عن نقاء هذا الأصل الدّيني وصفائه بقوله: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً" [13].

إنّ هذا التوجيه القرآني يحصّننا ضدَّ أنْ يعود الدّين إلى الساحة العالمية في صورة المكبوت المنتقم. إنّ المتدّين الصادق هو الذي يتمثّل بصدق، ويعيش بكلّ حضور قول القرآن " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ "[14]. وهو الذي يتفاعل مع ما جاء في إنجيل يوحنّا من حديث "عن بيت الله ذي المنازل المتعدّدة"[15].

إنّ احترام الإنسان هو السّبيل إلى احترام فكر الآخر ودينه لأنّ أوّل مقاصد الدّرس الدّيني يتمثّل في أنّه يوقظ في وعي الإنسان النفور من كل ما يسبّب الأذى للآخرين. وقد استرشد نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلّم "هذا المبدأ مثلما فعل المسيح قبله (...) إذن لم تكن المهمّة تقوم في الإيمان وحسب، إنما في إحداث تغيير جدّي في نمط العيش برمّته وفي اتخاذ موقف آخر تجاه العالَم المحيط وتجاه الآخر، ففي هذه بالذات كان يقوم جوهر الإيمان، ولهذا بالذات يعدّ الإيمان والدّين المرتكز الروحي للمجتمع" [16].

ب) ترقية الجانب الاجتماعي:

إنّ الإنسان الذي صَدَقَ باحترام غيره يكون قد تهيّأ لرُوح الاجتماع. وهي روح تثمّنها الأديان جميعًا وتدعو إليها، وتعمل على ترسيخها في وعي الإنسان. ففي صميم كلّ دين حنوّ خاص على الإنسان وتواصل معه

---

[12]) م. ن، ص 87.
[13]) الإسراء، 70.
[14]) الأنبياء، 106.
[15]) يوحنّا، 14/2.
[16]) ميغولفسكى، م. ن، ص 526.

"تواصُلاً رمزيا منتظِمًا عبر الشّعائر والمعتقدات"[17]. والّذي ترَجّح لدينا بعد استقراء نصوص تأسيسية لأديان عديدة يُبينُ عن كون الأديان ترغب في مخاطبة الجمع وتنوّه بالجماعة. فهي - الأديان - تدعو إلى الاجتماع في المعابد للصّلاة وترغّبُ في الطّقوس الجماعية وتُعْلِي من شأنها وتجعلها أكثر بركة وصدقا وأعظم أجرًا عند الله وأنفع للنّاس. كما سنّت الأديان الاحتفالات الدينية الموسمية والسنوية، والحاصل أنّ مقصد الأديان من كلّ هذا هو تنمية الرّوح الاجتماعية في الإنسان.

إنّ الوازع الديني يتماهى مع ما هو اجتماعي بسرعة فائقة حيث يُسهّل نجاح أيّ نشاط اجتماعي تُديره الجماعة وترغبُ في تحقيقه، ويكون التبرّع أو الإيثار أو التّعاون أكثر فاعليّة عندما يصدر عن وازع ديني. إنّ الدين بحسب هذه الاعتبارات والدّلالات سَيُلغي الاستعلاء والتمييز ولكنّه لن يلغي الاختلاف[18]. وقد عبّر جون ديون (John Dunne) عن هذا المعنى بقوله: "إنّ رجل الدّين في زماننا لا يشبه (...) المسيح أو محمد في قدرته على تأسيس دين عالمي ولكنّه يشبه شخصا مثل غاندي ينتقل من دينه إلى أديان الآخرين عبر التفهّم والتعاطف ثم يعود وقد اكتسب رؤية جديدة لدينه وهكذا يبدو أن الذهاب إلى الأديان الأخرى والعودة هو مغامرة هذا العصر الرّوحية"[19].

وجملة القول فإن معنى "النحن" يعود في النهاية إلى المعنى الذي عبّر عنه القرآن بمصطلح النّاس. كما يعود معنى "النحن" أيضا إلى ما ذكره "مارتن لوثركينغ"، عندما تحدّث عن العالم كبيت كبير ورثناه جميعا و"علينا أن نعيش فيه معا بيضًا وسودًا، شرقيين وغربيين، يهودا وأحبارا، كاثوليكيين وبروتستانت، مسلمين وهندوس"[20].

ج) التمسّك بالأخلاق:

إنّ الأديان تدعو إلى تنقية وعي الإنسان من الأفكار السّيئة الرديئة، وإلى تحرير سلوكه من الأعمال المرذولة القبيحة. وإذا وجدْتَ نَصّا دينيا فيه خطاب يناقض الفضيلة تصريحًا أو تلميحًا فاجزم أنّه من فِعْلِ كتبة محرِّفين أو من فِعْلِ كهنة مزيّفين مهووسين. أو هو نصّ منحول مدسوس بفعل يد السياسة. إنّ المشهد الدّاخلي لنصوص الأديان مفعم بالموعظة الأخلاقية، لأن الأخلاق هي الجوهر الذي به وعلى أساسه يكون

---

[17]) ويليام، جان بول، الأديان في علم الاجتماع، ترجمة بسمة بدران، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2001، ص 185.

[18]) السبحاني، جعفر، اتجاهات العقلانية في الكلام الإسلامي، ص 30.

[19]) دافيد، س، سكوت، دور الخيال في التعددية الدينية، كتاب الحياة الطيبة، عدد 5، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 177.

[20]) م.ن، ص 174، نقلا عن:

- Martin Luther King, Jr,… Where do we go from here : Chaos or community? Boston, Bacon Press, 1967, p. 167.

معنى الآدمية أو معنى الإنسانية. إذ لا تتصوّر هويّة الإنسان من دون أخلاق. فالإنسان كائن أخلاقي، حتى أنّ "الذي يسبق إلى الذهن من استعمال هذا اللفظ - (إنسان) - ليس معنى امتلاك الكائن البشري للقوّة العقلية وإنّما معنى امتلاك الكائن البشري للقوّة الخُلقيّة بحيث يحصل له منَ الإنسانية بقدْرِ ما يحْصُلُ لهُ من صالح الأخلاق"[21]. ذلك أنّ الفعل العقلي – التعقل - يعود إلى صميم الأخلاق ومنه تسمية العقل بالنّهي لأنّه ينهى عن القبيح من الفعل[22]. "وقد قيل أنّ العقل يعقِلُ النّفسَ عن متابعة الهوى كما يمنعُ العِقَالَ الدّابّة من مرتعها ومرْعاها"[23]. إنّ التعقّل إذن - لا سيما في سياق الفكر الإسلامي - موصول بالأخلاق مرتهن بها لا ينفكّ عنها. وإنّ الفعل العقلي قيمة خلقية أو لا يكون. إنّ ميزة الإنسان الأخلاقية هي الأقدر "من غيرها على صنع هوّية الكائن البشري"[24] أينما كان زمانًا ومكانًا.

د) البعد العملـي للأخـلاق :

يستطيع أيّ قارئ لنصوص الكتب المقدّسة، أن يعرف بأن الأديان حرّمت القتل والاعتداء والعنف والغصب والسّرقة والزّنا. كما حرّمت الحسد والحقد، والمكر السيئ والخداع والنفاق والكذب والظنّ الخبيث والكلمة المؤذية. ولكنّها أوجبت برّ الوالدين وحسن الجوار واحترام كبار السّن ورعاية الأطفال، ورغّبت في التعاون والتضامن والعطف، فنوّهت بالتواصل الإيجابي مع الضّعفاء والمحتاجين كالأرامل والفقراء واليتامى.

كما يستطيع المتأمّل في النصوص الدينية أن يلاحظ أنّ هذه الأوامر والنواهي والمواعظ الأخلاقية، يجمعها خيطٌ ناظمٌ يتمثّل في نهي الأديان عن "الشرّ". قال المسيح عليه السلام " لا تقاوموا الشّر"[25]؛ بمعنى لا تقاوموا الشّر بالشّر فإنّ ذلك سبيل إلى تكثيره وتضخيمه بل "أحبّوا أعداءكم وباركُوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم وصلّوا لأجل الذين يسيؤون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء<< أبيكم>> الذي في السّماوات فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصّالحين، ويُمْطِرُ على الأبرارِ والظالمين"[26].

وفي نفس هذا السّياق جاء في القرآن الكريم ما يُدعّمُ هذه الرّوح، وما يُؤكّدُ هذا التّوجيه. قال تعالى " وَلاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ

[21]) عبد الرحمان، طه، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، ط 2، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 147. أنظر أيضا: الرازي، محمد ابن أبي بكر، مختار الصّحاح، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، د. ت، ص 35.
[22]) الرازي، م.ن، ص 56.
[23]) الترمذي، الحكيم، بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللّب، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1958، ص 76.
[24]) م.ن، ص 157.
[25]) متّى، 39/5.
[26]) متّى، 5/ 44 - 45.

الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ"[27]. إنّها أخلاق الإحسان وهي صعبة على النفس التي لمْ تكتمل تربيتها الرّوحية. إنّ هذا المقام يحتاجُ إلى ترسيخ قوّة الرّوح. لأنّ نكران الذّات أو ما سمّته الأديان بالإحسان أو الإيثار، إنّما هو قيمة "تتعلّق بدرجة نموّ الروح والإنسان القاصر روحيّا"[28] لا يستطيع الإيثار.

هـ) تحقيق الوفـاق مع الآخـر:

إنّ القناعة التربويّة تحتاج إلى تربية روحيّة تؤصِّلُ في الذات العارفة مهارة عمليّة تنبع من القلب، وتؤمن بجوهر "ثقافة الإنسان" بحيث يستمع المُخْتَلِفُونَ إلى بعضهم بصدق إنساني. أي بأُذن واعية وعقل يقظ واحترام كامل. فمبدأ الاستماع إلى الآخر ليس مجاملة عابرة أو لباقة "ديبلوماسيّة" أو مناورة نفاق. بل هو مهارة نابعة من القلب تنبذ التكبّر وترفض استعمال "تقنيات التحقير"[29]. فالمسألة هنا لا تحتاج إلى الذكاء فقط بل تحتاج أيضا إلى القيم. أما الضابط العلمي المنهجي فيحتاج إلى نسق إجرائي عملي به يتسنّى لدارس الدّين أن يكون قادرا على تفعيل سياق الزوايا المتعدّدة. ذلك أنّه " إذا كان الإنسان قادرا على النظر من زاويته الخاصّة. وفي نفس الوقت النظر من زاوية أخرى فانّه يحصل على رؤية كاملة وعلى فهم واضـح"[30]. ولقد طبّق الرّسـول محمّد صلّى الله عليه وسلّم هذا المنهج مع الآخـر حيث أنّه لم يلغ زاويـة النّظر الأخرى لمّا قال لقريـش "لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ "[31]. أو حين كتب في بداية صحيفة صلح الحديبية باسمك اللهم متنازلا عن كتابة بسم الله الرحمن الرحيم احتراما لعقيدة غير المسلم آنذاك. إنّ فرض دين معيّن على شخص ما، هو غرور واستكبار وهو تحقير لمقام الإنسان العاقل.

إنّ من مقتضيات الضابط المنهجي أن تصبح الاختلافات بين الأديان وسيلتنا لمزيد البحث العلمي ولمزيد المقارنة ولمزيد التأمل الفلسفي. فلعلّ ذلك يساعدنا على الاقتراب من بعضنا البعض وعلى فهم بعضنا البعض بشكل أوضح وأعمق. أمّا عندما تصبح الأديان مجرّد مؤسّسات طائفيّة أو وسائل لأغراض ما، أو أشكال ظاهريّة، فإنّها ستبتعد عن المعنى العميق للدّين وستصبح دوافع إقصاء ومجـالات تعصّب، والتعصّـب يحول دون المعـرفة ويغتال الوفاق.

---

[27]) فصّلت، 33 - 34.

[28]) م.ن، ص 88.

[29]) كونانك، توما دو، (Thomas de Konink)، الجهل الجديد ومشكلة الثقافة، ترجمة منصور القاضي، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2004، ص 255.

[30]) خان، حضرة عنايات، م. ن، ص 280.

[31]) الكافرون، 6.

3) **تجربـة إصـلاح التعليم الدينـي بتونس:**

إنّ للنظام التّربوي التّونسي مميّزات نابعة من عدّة معطيات: دينيّة وتاريخيّة، وثقافيّة وحضاريّة، منذ محمد بن سحنون، وأبي الحسن القابسي مرورا بعبد الرحمان بن خلدون وصولا إلى روّاد الفكرين الإصلاحي والتحديثي وهو ما يحيل على عراقة حركات الإصلاح منذ القرن التّاسع عشر. فقد استفاد هذا النّظام من القديم ولم يحدث قطيعة معه وسعى إلى بناء منظومة تعليم عصريّ عبر تمثّل أنماط تربويّة مختلفة الرّوافد، والقيام بنقدها من خلال المقارنة والتقييم بغاية إثراء التّجربة الذّاتيّة والمحافظة على الخصوصيّة.

وقد شعر هذا النّظام في إصلاحاته الأخيرة بتحدّيات العولمة، وبالتغيّرات الكبيرة التي شهدها العالم في المرحلة الأخيرة، وبالتغيّرات التي يمكن أن يشهدها في المستقبل القريب، فاعتبر انفتاح المقاربة التربويّة شرطا من شروط نجاحها واستمرارها، واعتبر التكوين المستمرّ ضرورة ملحّة لجميع أطراف العمليّة التعليمية التعلّمية، خاصّة المدرّسين وإطار الإشراف الإداري والبيداغوجي، وذلك بغاية الوصول إلى مرحلة الاحتراف، مستفيدا من المقاربة التي ترى أن الفرد فـي أي جماعة مدرك لارتباط نشاطه بنشاط غيره وهو يسعى - بحكم طبيعته - إلـى تكييف هذا النشـاط تبعـا لمـا ارتضته الجماعة لنفسها من أهداف ومـقاييس ومُثل حتى يحقق رضا الجماعـة عنه وتقديرها له كعضو نافع[32]؛ على اعتبار أنّ بيئة الفرد التي يحيا فيها تمدّه بمقومات الحياة والـدوام والبقاء، وهي كذلك تركز دور الإنسان باعتباره كائنا مثقفا وتمدّ جسور التـرابط بين التربية والمجتمع والنجاعة في الحياة.[33]

لقد أجريت إصلاحات هامة على نظام التعليم في تونس منذ عدّة عقود، وتعدّ مسألة تنسيب المعرفة الدينية من المسائل الضرورية والهامة لتغيير العقليات وتجاوز العديد من الصعوبات. وقد قامت عملية إصلاح التعليم الديني في تونس على مراعاة الجوانب التالية :

أ) **تأصيـل عمليّـة الانفتـاح:**

لا شكّ أنّ فكرة الانفتاح فكرة إسلامية أصيلة بالنظر إلى ما ورد في القرآن والسنة من نصوص تدعو إلى التعامل مع الآخر إذا لم يصدر عنه ما يسيء إلى الإسلام والمسلمين. جاء في القرآن الكريم: "لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الذِينَ لَمْ يُقَاتِلوُكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ

[32]) عفيفي، محمد الهادي، التربية والتغيير الثقافي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط 5، 1980، ص 4.

[33]) اعتمد الإصلاح التربوي التونسي الأخير على المقارنة بأنظمة تربوية عرفت بكفاءة مردودها وبكونها مرجعا لجميع النظم التربوية في العالم .

وزارة التّربية والتّكوين، الخطة التنفيذية لمدرسة الغد، المطبعة الرسميّة، تونس، 2002، ص 37 – 43 .

المُقْسِطِينَ"[34]. فالملاحظ أن موادعة غير المسلم داخلة في مقصد من مقاصد العبادة كما ألمع إليه الإمام فخر الدين الرازي حين عرّف العبادة[35]. ونرى أنّ الجدل والحوارَ اللذين نادى بهما القرآن، وحدّد ضوابطهما الأخلاقية هما من أهم الحوافز للتعامل مع الآخر والسعي إلى تبادل المنـافع والخبرات المنهجية والعلمية معه. وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك في الآيتين الكريمتيـن: "وَجَادِلْهُمْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ"[36]، "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[37].

ب) اعتبار نظـام المعرفة الدينيّـة نظامـا منفتحـا:

إنّ المدخل الأساسي لفهم خلفيات انفتاح العلوم الدينية على بقية العلوم نظرة الإسلام إلى العقل، وإقراره لمبدإ الاستنباط والاجتهاد عبر مباشرة النص الديني. وانطلاقا من أن العلوم الدينية علوم نشأت عبر التفاعل مع بقية العلوم التي ينتجها الفكر البشري ليقارب النص القرآني بمعرفة متنامية سبيلها العلم والإيمان، فإنه لا مانع من الاستفادة من إنتاج العقل البشري ضمن أطر الثقافة الإسلامية التي تعدّ الفضاء الأمثل للتلاقح الفكري. ومن ينظر في العلوم التي نشأت حول نصوص القرآن والسنة يلاحظ أن جانب الاجتهاد والإضافة في الفروع أمرلم يتحرّج منه علماء الإسلام بل إنّ علم الكلام مثلا - الذي قام على خلفيّة الحِجاج - لم يَعْدِمْ البحث في الأصول وفي تعدّد التأويلات التي قامت حولها.

ج) رصد عمليّة الإصلاح في إطار الغايـات النهائيـة :

لا يمكن أن تكون عملية الإصلاح بمعزل عن حاجات المجتمع ومطالب العصر وهو ما سيساعد على مواكبة عصر العولمة بوعي وقدرة على الحضور والفعل والتكيف الإيجابي مع المحافظة على الخصوصيات والدفاع عن مصالح الأمة. ولا يتحقق ذلك إلا بما يلي :

- ربط مناهج التعليم بحاجات التنمية الشاملة.
- ربط محتويات المناهج بمطالب العصر.
- انفتاح المؤسسة التعليمية على البيئة والمحيط.
- تطوير الطرق التعليمية والمناهج الدراسية باستمرار.
- إبراز الطرق الذاتية والإبداعية والتفاعلية.

---

[34]) الممتحنة، 8.
[35]) الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1981،1 م.
[36]) النّحل، 125.
[37]) الحجرات، 13.

د) الإفـادة من العلوم الإنسانيّـة:

لمّا كان القرآن صارما في اعتبار الإنسان قيمة عليا في هذا الوجود، كان من الطبيعي ربط هذا الكائن المكرّم بعملية التقدم عبر الاستخلاف الهادف الفاعل، فتصبح العلوم التي مدارها الإنسان ونشاطه ذات شأن في بلورة تصوّر عميق للحقيقة البشرية، وتنسيب المسائل المرتبطة بالإنسان وفكره بما يمكّن من تجاوز التعصب والانغلاق والتقليد الأعمى ويحدّ من غلواء الطائفية والمذهبية. إنّ تدريس العلوم الإنسانية بالتوازي مع العلوم الدينية يجعل الاختلاف سمة بشرية نسبية ينظر إليها بموضوعية تفتح الطريق أمام التعديل والإضافة. إنّ الاستفادة من نظريات حقوق الإنسان وتطوير علم المقاصد الشرعية لبنتان ضروريتان في إعادة تشكيل الوعي الإسلامي المعاصر.

هـ) الإفـادة من الطّرق البيداغوجيّـة الحديثـة:

ليست التربية الحديثة بمعزل عن حاجات المجتمع لأن الفرد في أي جماعة مدرك لارتباط نشاطه بنشاط غيره وهو يسعى - بحكم طبيعته - إلى تكييف هذا النشاط تبعا لما ارتضته الجماعة لنفسها من أهداف ومقاييس [38]. وبناء على ذلك فإنّ شكل التربية القديمة ونمطها وأسلوبها في صبّ المعلومات وحشو الأدمغة بالمعارف الجاهزة لم تعد مواكبة للأوضاع المجتمعية الجديدة ولا لصورة الحياة ونمطها في العصر الحديث. ومن الملاحظ أن اعتماد الحفظ والتسميع والتكرار والنقل والتقليد دون غيرها من الطرق قد أدى إلى قتل روح الابتكار لدى المتعلمين فتحولوا إلى نوع سيء من المواطنين، ذلك النوع الذي لا يصلح إلا للائتمار والطاعة وتنفيذ الخطط الجاهزة، لأنهم لا يعيشون إلا على فتات أفكار الآخرين [39]، وهو ما يعيق التقدم المنشود.

وخلاصـــة القـول: إنّ تجربة إصلاح التعليم الديني بتونس تجربة جديرة بالبحث والدّراسة لأنها لم تأت من فراغ بل قامت على أسس علمية وموضوعية تأخذ بعين الاعتبار الثابت والمتحول في الثقافة الإسلامية وتتبنّى المضامين المشرقة في التراث الإسلامي مع ضرورة الانفتاح على التراث الإنساني والقيم الكونية.

---

[38]) عفيفي، محمد الهادي، م.ن، ص 4.

[39]) سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، سلسلة عالم المعرفة، عدد 198، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1995 م، ص 114.

متغير الإعلام في التنشئة على الحوار

الدكتور علي بن عبد الخالق القرني

إن تكوين شخصية الطفل وإعداده للحياة لم تعد مسؤولية المدرسة وحدها، فقد زاحمها وشاركها في ذلك العديد من المؤسسات الفاعلة المؤثرة التي أصبحت مصدراً لثقافة الأفراد وبناء وجدانهم ومعارفهم وتوجيه سلوكهم. ويأتي الإعلام بسطوته وقوته على قمة تلك العوامل المؤثرة في التربية والتنشئة والتوجيه وصار لزاماً على المؤسسة التعليمية أن تطور أداءها ليتناسب مع الواقع التربوي المعاصر الذي أصبح الإعلام فيه هو العامل الأكثر فاعلية في مخاطبة الناشئة في ظل التقنية المتطورة التي أحدثت ثورة هائلة في الاتصالات وجعلت الطفل قبل أن يبلغ الثمانية عشرة من عمره يمضي أمام شاشة التلفاز حوالي اثنتين وعشرين ألف ساعة، بينما يبقى في المدرسة حوالي أربع عشرة ألف ساعة. وحتى تتمكن المدرسة من أداء رسالتها في الإعداد لمواجهة الواقع والمستقبل فهي بحاجة ماسة إلى أن تسلح الطلبة بالمهارات الحياتية التي تجعلهم قادرين على مواجهة متطلبات الحياة المعاصرة والانفتاح على ثقافات الآخرين والتعايش معهم بإيجابية والتفاعل معهم بما يعود بالنفع على مجتمع القرية الكونية الواحدة. وإذا كانت المناهج الدراسية هي أداة لتمليك الناشئة تلك المهارات فإن الثقافة الإعلامية بمهاراتها وآلياتها صارت ضرورة لازمة لا غنى عنها حتى تحقق هذه المناهج أهدافها بما تعنيه من تنمية مهارات التفكير الناقد المبدع والقدرة على استخدام وسائل الإعلام وانتقاء المفيد من رسائلها والتعامل معها بوعي وإدراك وتوظيفها بالكفاءة في إطار السياق الاجتماعي والثقافي والقيمي . لقد فرضت الثقافة الإعلامية نفسها في كثير من دول العالم المتقدم واهتمت بها المنظمات الدولية وعلى رأسها اليونسكو وذلك لخطورة الرسائل الإعلامية التي يتعرض لها الأطفال وهي في معظمها مجهولة المصدر غير واضحة الهوية وغالباً ما يتعامل الطفل مع مضامينها على أنها حقائق في ظل عدم وعيه وإدراكه لأبعادها وآثارها. ومكتب التربية العربي لدول الخليج وهو يدرك أن البناء المتوازن للطفل وإعداده للحياة يتطلب جهوداً واعية متواصلة تكون المناهج الدراسية مدخلها والمعلمون ذوو الكفاية المتميزة هم القائمون على تنفيذها قد جعل الثقافة الإعلامية أحد مشروعاته المهمة التي يقوم على تنفيذها مستهدفاً تنمية التفكير الناقد لدى الطلبة لمضامين المواد الإعلامية وغرس مهارات الاستهلاك الواعي لها وتثقيف الطلبة بكيفية التعامل الإيجابي مع وسائل الاتصال والإعلام من تلفاز وإذاعة وصحافة وانترنت وإعلانات وغيرها. إن نشر الثقافة الإعلامية وتمكين مهاراتها لدى الطلبة هي المدخل الذي يوفر مناخاً فاعلاً ومواتياً لإقامة الحوار بين الأفراد والشعوب والجماعات وبين أتباع الديانات، في عالم يحتاج إلى أن تسوده سلوكيات التعاون والتقارب والتفاهم والسلام.

تقديم :

تمثل العقائد قوة فاعلة في فكر الأفراد وسلوكياتهم ومحركاً أساسياً لحياة البشر في هذه المعمورة، بما تحمله من هدي سماوي أنزله الله لصالح الناس في الدارين، وما يتضمنه من تعاليم تنظم حياة البشر وتضبط حركتهم وتضمن لهم السعادة والعيش الآمن المطمئن، وتقيم علاقات التعاون بينهم، وتهيء لهم فرص النمو والازدهار.

إن الأصل في أغلب الديانات أن مصدرها واحد وهو الخالق سبحانه وتعالى، العالم بما يصلح للناس في كل زمان ومكان، قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) المائدة: ٤٨ وقال : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) الشورى: ١٣ وقال : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً) النحل: ٣٦ وقال: (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) فاطر: ٢٤

ومع تعاقب الديانات وتباين طبائع البشر واختلاف مصالحهم صار من الواجب أن تكون العقائد مصدر توحيد وتقارب، وحافزاً للعلاقات القوية بين الشعوب، ومن هنا تأتي أهمية هذا المؤتمر الذي يسعى نحو إقامة حوار هادف بين أتباع الديانات بما يعود بالنفع على صالح الإنسانية.

وتهدف هذه الورقة إلى إلقاء الضوء على جانب مهم يرتبط بدور المدرسة في بناء شخصية الطفل من خلال المناهج الدراسية التي يجب أن تكون فاعلة ومؤثرة في تشكيل فكر الطفل وغرس السلوك القويم لديه وإعداده لمستقبل لا مكان فيه للعزلة أو التمحور حول الذات، ولن يتم ذلك إلاّ عبر فهم شامل للمؤثرات التي زاحمت المدرسة في التربية ومن أهمها الإعلام الذي يشكل الآن مدرسة جديدة أكثر جاذبية وأبقى أثراً في نفوس الناشئة، الأمر الذي يستوجب التركيز على مهارات جديدة ضمن منظومة مهارات القرن الواحد والعشرين تُمكن النشء من الاستهلاك الواعي للإعلام وتكسبه القدرة على فهم الرسائل الإعلامية ما ظهر منها وما بطن، وتنتظم تلك المهارات في موضوع الثقافة الإعلامية (Media Literacy) الذي يجب أن تركز عليه المناهج التعليمية في وقت يلعب فيه الإعلام - في جانبه السلبي - دوراً بالغ الخطورة في تشكيل مواقف البشر وتكوين الصور الذهنية وتنميط الانطباعات (Stercotyping) عن الآخر: ديانات كانت أو مجتمعات ويؤدي إلى العزلة والعنف.

حوار الأديان : ضرورة عصرية:

الحوار ضرورة من ضرورات الحياة فهو أحد وسائل الإنسان للتعبير عن حاجاته وميوله وأحاسيسه ومواقفه ومشكلاته وقضاياه، وهو أداة مهمة لتنمية فكره ووجدانه وتجاربه، وتحقيق التواصل مع الآخرين، وتوصيل ما يريده من أفكار إليهم، وتبادل المعرفة والفهم معهم بما يسهم في توفير مناخ يهيء لاكتساب المزيد من المعرفة والتقدم والتفاهم، وتقريب وجهات النظر والارتقاء بالمعايير الأخلاقية في التعامل بين البشر.

وإذا كان الحوار من الأساليب التي عرفها الإنسان من قديم الزمان فإن وتيرته قد ارتفعت في حياتنا وفي السنوات الأخيرة بفعل ما يواجهه العالم من مشكلات يمكن تلافيها عبر ما يُسمى بالتلاقح الفكري الذي يكون من نتيجته تبادل الرأي، والاحتكاك الإيجابي بين العقول، وتوليد أفكار جديدة، وإثراء الفكر وتنمية العلاقات وتقدم المسيرة البشرية.

ولقد أصبح من الراسخ في ميادين العمل الإنساني وعلى المستوى الدولي ذلك الأثر الكبير الذي ينتج عن تحاور أتباع الأديان في حفز العمل الإنساني والتقارب بين الشعوب، وتحقيق مناخ فاعل لتنمية العلاقات وتأكيد أهمية التضامن الإنساني لمواجهة التحديات التي تعترض البشرية من حروب وكوارث ونزاعات، وصار الحوار بين أبناء الديانات سمة تميز بدايات هذا القرن، حيث اشتدت الضرورة نحو تأكيد أهمية الأديان في تحقيق التقارب ونشر السلم والأمان بين البشر، والاستجابة لمتطلبات التعاون الإنساني عبر تأكيد قيم التسامح والعدالة والاحترام المتبادل والتفاهم واحترام قدسية الحياة، وهذه كلها قيم إنسانية لا غنى للبشرية عنها وهي تسعى نحو حياة آمنة، يتحقق فيها الهدف من استخلاف الإنسان في الأرض، قال تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) البقرة: ٣٠، وقال: (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) هود: ٦١.

ولما كان تحقيق الاستخلاف في الأرض بما يحمله من مضامين فكرية وعملية يحتاج إلى نهج تربوي قويم يتاح لنا من خلاله تربية النشء على سلوكيات العمل المنتج والتعاون والتسامح والتضامن والتعارف والتقارب بين الأفراد والشعوب، فإن الحوار بين أتباع الديانات يعد ضرورة تربوية تتطلبها طبيعة التعايش بين البشر لتعزيز ثقافة المحبة والتواضع والتعاون والتآلف بدلاً من ثقافة الكراهية والاستعلاء، ولعل هذا ما أشار إليه مؤتمر الدوحة السادس لحوار الأديان (مايو 2008م) عندما أكد على أن هذا الحوار يحقق الرباط المتين بين الأديان والتقارب بينها ومعرفة بعضها لبعض لكون الجهل يؤدي إلى الخوف واللامبالاة، وأن التعارف يؤدي إلى التآلف والتعاون وهو الوسيلة الوحيدة للتخلص من الفتن،

ويضمن السير على خطى الأنبياء لبناء حضارة إنسانية عالمية بعيداً عن أجواء القهر والظلم والهيمنة. كما أكد مؤتمر الدوحة السابع لحوار الأديان (2009م) على ضرورة الاهتمام بالجوانب السلوكية والفكرية التي يصبح الإنسان من خلالها واعياً بحقوقه وبحقوق جاره وحقوق الغريب عنه، وأكد على أن الإنسانية تحتاج إلى بعضها البعض للتغلب على العقبات التي تحول دون تحقيق السلام والعدل مما يستوجب استلهام التوجيه والهداية من تراث الأديان، كما أكدت المؤتمرات السابقة على دور الدين في بناء الحضارة وبناء الإنسان وعلى أهمية القيم الروحية في بناء الحضارة الإنسانية، التي تقوم على الأخوة الإنسانية والتعارف والتعاون بين البشر تحقيقاً لقوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) الحجرات: ١٣

دور التربية :

إن هذه التوجهات التي يؤكد عليها حوار أتباع الأديان عبر لقاءاتهم ومؤتمراتهم هي توجهات تربوية ومن واجب المؤسسات التربوية أن تسعى نحو تأكيدها في بناء الإنسان وإعداده للحياة، إذ إن الحوار لا يتم إلا في بيئة إيجابية قوامها الثقة والمحبة والسلام. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو عما إذا كان النشء يمتلكون الفكر الإيجابي الذي يعد ضرورة لديمومة الحوار وقبول الآخر، عوضاً عن أن يكون نزهات فكرية مؤقتة للنخب من المفكرين وكبار السن؟

إن تكون الفكر الإيجابي لدى النشء مرتبط بالجهود المبذولة في التنشئة على الحوار الهادف البناء والعناية بالطفل وإعداده إعداداً إيجابيا منذ سني حياته الأولى، حين يكون مغرماً بالتساؤل وحب الاستطلاع، وفي الوقت الذي يحتاج فيه إلى من ينير له المناطق المظلمة في بيئته المعرفية، وحين تكون الإجابات المناسبة أكبر عون على النمو الفكري السليم.

إن الرغبة الفطرية في التساؤل لدى الأطفال هي نوع من الحوار الذي إذا كُبت في الطفل أصبح عرضة للعزلة والسلبية في الكبر، والميل إلى عدم اتخاذ مواقف محددة، أو الدخول في مناقشات وحوارات، بل الشعور بالخوف والقلق من التفاعل مع الآخرين، كما أنَّ الحرص على الدخول في حوارات بسيطة مع الأطفال يتيح لهم فرصاً ثمينة للإثراء اللغوي الذي هو ركن أساسي للنمو العقلي والتطور الفكري، ومن ثم فكلما ازداد ثراء الطفل اللغوي كلما أعانه ذلك على مرونة التفكير وتنوعه.

وفي مرحلة البلوغ والمراهقة، يميل الناشيء نحو الرغبة في الاستقلال وتأكيد الذات، والحاجة إلى الاعتراف به وبآرائه وأفكاره، وبالتالي فإن أفكاره وتوجهاته تتشكل تبعاً لما يلقاه من تعامل في الأسرة

والمجتمع والمدرسة، فإما أن يكون عضواً إيجابياً في مجتمعه يُغلب الحب على الكره والثقة على الشك، وإما أن يكون سلبياً يميل إلى الانزواء وينزع إلى العنف والتسلط.

وهنا يبرز دور التربية في توفير المناخ الذي يضمن ديمومة الحوار عبر الأجيال بما تمتلكه من أدوات ووسائل التنشئة التي تغرس في نفوس الطلبة تقبل الآخر والتحاور معه مهما اختلف معهم لوناً أو لغةً أو عقيدةً، سعياً لإصلاح واقع المجتمع الإنساني على أساس من القيم النبيلة التي تحث عليها الأديان كالحق والعدل والخير والفضيلة والمروءة والتعاون.

غير أن السؤال التالي الذي يفرض نفسه هنا هو **هل تمتلك المدرسة اليوم فعلاً تلك الأدوات والوسائل؟.**

إنه بالإمكان التركيز على عوامل مدرسية معروفة لتأكيد دور المدرسة وتأثيرها، وهي العوامل التي تتضمنها مشروعات التطوير التربوي في كل مكان، إلا أن معطيات العصر تفرض تبني فكر جديد في التطوير التربوي ، حيث أضحت عمليتا التعليم والتعلم اليوم أكثر تعقيداً نتيجة لدخول مؤثرات جديدة تشكل شخصيات الشباب وأفكارهم،ولم تعد المدرسة وحدها في عالمنا المعاصر – هي صاحبة التأثير القوي في إعداد النشء وإكسابهم المعارف والمهارات والقيم، فقد اضمحل دورها بعد أن زاحمها في هذه العملية المركبة عدد من المؤسسات التي أصبحت مصدراً لثقافة الأفراد ومكوناً فاعلاً لوجدانهم ومعارفهم، بل ومولداً ومحركاً لسلوكياتهم بحيث أضحى ما يقدم في المدرسة لا يمثل سوى الجزء اليسير في عمليات تربية الأطفال وتنشئتهم، وصار من الظلم أن نشير بأصابع الاتهام إلى المدرسة عند ظهور أو مشاهدة أية بوادر انحراف أو انتكاسة في سلوك الناشئة.

وكما هو معروف فإن الطفل يأتي إلى المدرسة وقد تشكلت ملامح شخصيته في أسرته وتشرب منها الأخلاق والعادات والتقاليد، وعلى قدر اهتمام الأسرة بأبنائها وأدائها لواجباتها نحوهم تكون شخصية أطفالها، كما أن القدوة التي يشاهدها الطفل في الوالدين والإخوة الكبار داخل الأسرة لها من التأثير ما لا يمكن إنكار بصماته وآثاره في شخصية الطفل وفي اتجاهاته وسلوكياته المستقبلية.

غير أن الأسرة هي الأخرى فقدت الكثير من تأثيرها وأخذ دورها في التراجع بسبب التحولات الاجتماعية المعاصرة التي تشهدها مكونات المجتمع ووحداته حيث أصبحت الأسرة حريصة على تحسين مستوى المعيشة وملاحقة الحاجات المتزايدة للإنفاق وزيادة مصادر الدخل، فازدادت الساعات التي يقضيها الوالدان خارج المنزل وما ينتجه ذلك من آثار تربوية ونفسية تنعكس على سلوك الأطفال داخل الأسرة وخارجها.

إن التحدي الأكبر والأشد شراسة الذي تواجهه الأسرة ومعها المدرسة يتمثل في التطور السريع المطرد في تقنية المعلومات والاتصال والتي جعلت المعرفة أياً كانت تطرق الأذن دون استئذان، وتدهش البصر دون تحذير، وتثير الغرائز دون هوادة. لقد أضحى النشء محاصرين بمئات القنوات الفضائية وبالشبكة العنكبوتية وبوسائل اتصال متطور بشكل مذهل, وأصبح الحصول على آلاف المعلومات رهناً بأنامل الإنسان في أي وقت يشاء.

الإعلام .. المدرسة الجديدة:

يلتحق الطفل العربي بالمدرسة في سن السادسة من العمر غالباً حيث لا تزال مرحلة رياض الأطفال أملاً بعيد المنال على الكثيرين، على الرغم من أهميتها في تشكيل كيان الطفل وإعداده وتهيئته لمراحل التعليم التالية، وبذلك تصبح الساحة التربوية لمرحلة ما قبل التعليم الأساسي عرضة لموجات من المؤثرات التي تتقاذفها، ويلعب فيها الإعلام الدور الفاعل والبارز بما يمتلكه من أدوات التأثير ووسائل الإقناع وفنيات المخاطبة، في وقت تعقدت فيه متطلبات الحياة وضعف الدور الإشرافي في المنزل، ويتعاظم هذا التأثير في سنوات العمر اللاحقة، ولنا أن نتصور حجم هذا التأثير وخطورته إذا وضعنا في الاعتبار ما خلصت إليه دراسة أجرتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) حول معدلات تعرض الأطفال العرب للتلفزيون حيث تشير إلى أن الطفل قبل أن يبلغ الثامنة عشرة يكون قد أمضى أمام شاشة التلفزيون 22.000 ساعة، في حين يقضي 14.000 ساعة في قاعات المدرسة، كما أن نسبة الذين يشاهدون التلفزيون ما بين سن الثامنة والخامسة عشرة بلغت 99.9% وأن هؤلاء الأطفال يقضون جزءاً كبيراً في مشاهدة التلفزيون دون رفقة من أهلهم، وتشير الأرقام إلى أن أطفال اليوم حين يبلغون عامهم السبعين سيكونون قد قضوا سبعاً وعشرين سنة أمام شاشة التلفزيون، وتشير الإحصائيات أيضاً إلى أن الأطفال بين الثانية والسابعة من العمر يقضون أربع ساعات يومياً مع الإعلام وأدواته، وأنهم بين الثامنة والثامنة عشرة يقضون أكثر من سبع ساعات يومياً.

ونظراً لأن الكثيرين يستخدمون وسائط متعددة في الوقت نفسه، فإن عدد الساعات هذه يصل إلى عشر ساعات يومياً، ويتم كل ذلك في فضاء فسيح اللاعبون فيه سنوياً هم: أكثر من خمسين ألف محطة إذاعية. و 22 ألف محطة تلفزيونية. وحوالي 22 ألف صحيفة. و 80 ألف دورية. وحوالي بليون كتاب. إضافة إلى 40 ألف نشرة علمية. وصارت الصفحات المؤرشفة أكثر من سبعة بلايين صفحة. واحتوت فيه

الشبكة السطحية في الإنترنت حوالي ثلاثة بلايين وثيقة. في حين تحوي الشبكات العميقة أكثر من ترليون وثيقة.

وهكذا فإن الإعلام بأدواته وتقنياته المتعددة هو بالنسبة لجيل اليوم مدرسة جديدة أكثر جاذبية وتأثيراً، في وقت استمرت المدرسة فيه تؤدي دورها التقليدي كمصدر للمعرفة، وهي لم تعد كذلك في عصر الانفجار المعلوماتي الرهيب، حيث لم يعد الحصول على المعلومة هو المشكلة، وإنما أصبحت المشكلة تكمن – ربما – في كيفية تجنبها.

لقد ازدحم مناخ التربية والتعليم بتأثيرات لم تكن معهودة من قبل، وفتحت التقنية المتطورة المعاصرة أبواباً مخيفة في التواصل بين قاطني المعمورة، وازدادت الرسائل الإعلامية التي يتعرض لها الأطفال من كل جانب ولم يعد بالإمكان مواجهة آثارها بأساليب تقليدية، ولم يعد ممكناً أو مجدياً غلق الأبواب بعد أن صارت مفتوحة عنوةً أمام مختلف الرسائل الإعلامية وما تحمله من مضامين يتعارض الكثير منها مع رسالة المدرسة وأهدافها .

إننا اليوم - وأبناؤنا معنا - نتعرض عنوة لمد معلوماتي عبر وسائل الإعلام وتقنياته، يتضمن في جانبه السلبي رسائل فكرية موجهة ودعايات وإشاعات وتطرفاً وعنفاً، وتضليلاً وإغواء يمثل هجمة شرسة وقوية تبث على برامج الإنترنت،وشكلت الشبكات الاجتماعية مدرسة معلموها مجهولو الهوية يتولون تنميط أفكار الشباب والناشئة وإقناعهم بمواقف سلبية عن الآخر، وجرّهم إلى العنف والإرهاب.

المدرسة والأدوار الجديدة:

لقد أصبحت المدرسة في مفترق طرق تواجه تحديات متعددة، وبات لزاماً عليها أن تطور أداءها لتتكيف مع تلك التحديات التي تقف على قمتها معطيات التقنية المعاصرة وثورة الاتصالات التي أحدثت حالة من التواصل الفكري لم يكن معهوداً من قبل أو مُتخيلاً في المستقبل.

وبجانب ذلك فإن المدرسة مطالبة بمواجهة تحديات التطورات الاقتصادية والعالمية – في هذه القرية الكونية الصغيرة، والتي تتمثل في تناقص نسبة القوى البشرية العاملة في قطاعي الزراعة والصناعة وتزايد نسبة العاملين في قطاع الخدمات نتيجة التقدم التقني، إضافة إلى تسارع الأحداث الاقتصادية العالمية نحو تشكيل نظام اقتصادي عالمي يؤدي إلى تحطيم الحواجز الجمركية بين الدول وإلى حرية التجارة العالمية، مما يدعو لضرورة التهيؤ والاستعداد وإعداد الناشئة للتعامل مع هذه المؤثرات العالمية والانتفاع

بإمكاناتها ومخترعاتها، والحد من أخطارها وآثارها السلبية، ويتطلب ذلك إعادة النظر في وضع المدرسة وتطويرها بما يحافظ على الأصالة والقيم الثابتة في المجتمعات، والانفتاح على الثقافات والسعي نحو ترسيخ التعاون الإنساني وإقامة العلاقات المتبادلة السلمية بين أبناء الديانات والحضارات والانتفاع بالنواحي الإيجابية للتطورات العالمية.

إن تلك المستجدات التي فرضت نفسها على المدرسة قد صادفتها مناهج تم إعدادها لزمان غير هذا الزمان، ولم يكن في حسبان صانعيها التطورات المذهلة في عالمنا المعاصر، **ما جعل المدرسة تقف في مفترق طرق يصعب عليها تحديد مسارها أو تجاوزه من غير تطوير حقيقي يقوم على تطوير مناهجها ومعلميها** لتمليك الأطفال مهارات الحياة، والتعامل مع معطيات القرن الحادي والعشرين الذي أصبحت فيه **مصادر التعلم خارج أسوار المدرسة أكثر وأشمل وأعمق أثراً**، وأصبحت قدرة المدرسة على استعادة تأثيرها مرهونة باستحداث أدوات ومناهج لا تتحقق معها الرسالة المرجوة من المدرسة في ترسيخ القيم الإنسانية لدى النشء - ليكونوا مواطنين عالميين صالحين -مثل قيم التعامل مع الشعوب الأخرى والتسامح والتعاون ومشاركة المجتمع الدولي همومه وقضاياه في السلام والتعايش الآمن بين الشعوب وقضايا البيئة والأمن والتنمية البشرية للجميع.

إن التحدي كبير أمام مؤسسة التعليم للتحول إلى نمط جديد من التعليم والتعلم يقوم على إكساب المهارات لصياغة شخصية متعلم العصر الحديث، ويهمنا في هذا المجال مهارات التعامل الواعي مع وسائل الإعلام لخطورتها في صناعة الفكر والتأثير على سلوك الناشئة، أي أن الحاجة ماسة إلى ترسيخ وتجسيد ثقافة إعلامية يتم إكسابها للنشء بما تتضمنه من مهارات وقيم.

الثقافة الإعلامية: Media Literacy

يقتضي التعامل مع الإعلام وأدواته ووسائله وتقنياته قدراً مهماً من المهارات الذهنية التي تمكن النشء من الاختيار الواعي لتأكيد الجانب الإيجابي للرسائل الإعلامية المتنوعة والإفادة منها، وتجنب الجانب السلبي، وتتشكل ملامح المهارات التي يحتاجها النشء في هذا السياق من خلال الكم الهائل من القرارات التي يجب على أطفالنا وشبابنا اتخاذها يومياً بقبول أو رفض الرسائل الإعلامية، وهو الأمر الذي يتطلب إكسابهم الأدوات التي تعينهم على اتخاذ مثل تلك القرارات.

إن الحاجة ماسة جداً إلى إكساب الأطفال والشباب **مهارات مبنية على التفكير الناقد وعلى القدرات التحليلية والتقويم لانتقاء محتوى المادة الإعلامية وتوظيفها بكفاءة واقتدار في إطار السياق**

الاجتماعي والثقافي والقيمي للمجتمعات، وهذا هو المقصود بالثقافة الإعلامية(Media Literacy)، التي هي من الموضوعات المهمة المرتبطة بمهارات القرن الواحد والعشرين.

وتتحدد الثقافة الإعلامية بناءً على تعريف المنظمات الدولية ومنها اليونسكو بأنها " القدرة على الوصول إلى وسائل الإعلام، وفهم المحتوى الإعلامي وتقييمه بشكل ناقد، وبناء اتصال وتواصل من خلال سياقات متنوعة حيث إنها توفر إطاراً لإتاحة وتحليل وتقييم وبناء الرسائل الإعلامية بصور متعددة سواء مطبوعة أو مصورة أو مسموعة، وتعبر الثقافة الإعلامية عن المضامين الثقافية التي يتلقاها الأفراد والجماعة من المصادر الإعلامية المختلفة، وهي تسهم في تشكيل معتقداتهم وتصوراتهم ومفاهيمهم وقيمهم التي بدورها تؤثر في تكوين سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم وأنماط حياتهم.

وتشمل الثقافة الإعلامية مجالات ثقافية عديدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بها من بينها ثقافة الكمبيوتر والتعامل مع إمكاناته، وبالثقافة المعلوماتية بالحصول على المعلومات وتصنيفها وتبويبها وحسن توظيفها، إضافة إلى الثقافة الرقمية، الثقافة الاجتماعية، وثقافة توظيف المسموعات والمرئيات.

كما تشتمل الثقافة الإعلامية على مضامين التربية الإعلامية التي تعنى بإعداد الأطفال لمواجهة التحديات التي فرضتها التغيرات التقنية المعاصرة وتوظيفها في العملية التعليمية والتربوية، وهذا ما أكدته اليونسكو منذ عام 1982 حين طالبت بضرورة إعداد النشء للحياة في عالم يتميز بقوة الرسائل المصورة والمكتوبة والمسموعة. ومن هذا المنظور فإن هدف الثقافة الإعلامية هو تحويل استهلاك الرسائل الإعلامية إلى عملية نقدية نشطة، لمساعدة الأفراد على تكوين الوعي حول طبيعة تلك الرسائل وفهم دورها في بناء وجهات النظر حول الواقع الذي يعيشون فيه، والمستقبل الذي يتطلعون إليه.

وهكذا فإن الثقافة الإعلامية تشتمل على جوانب تتناول أهدافاً عملية تتمثل فيما يأتي:

- تنمية القدرة على قراءة وفهم الرسائل الاتصالية المبثوثة على وسائل الاتصال المختلفة والتعامل معها.
- تنمية القدرة على تطبيق التفكير النقدي والإبداعي على المواد الإعلامية المختلفة التي يتم التعامل معها يومياً في وسائل الاتصال المختلفة، ومن ثم فهمها وتحليلها.
- القدرة على طرح الأسئلة المناسبة عن كل ما يتعلق بمحتوى الرسائل الإعلامية.. عما هو موجود، عما هو غائب، وعما هو مغيب في الرسالة الإعلامية .. وعن أهداف ودوافع الرسالة.
- توظيف المعلومات المفيدة بما يعود بالنفع على المتلقي (الطفل) ويساعده في تطوير واقعه وتحسين مستقبله.

ولأهمية الثقافة الإعلامية فقد أصبحت تدرس للطلاب في كثير من دول العالم، مثل: الولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا وبعض دول أوروبا، حيث أدركت هذه الدول وغيرها أهمية إدخال الثقافة الإعلامية إلى المناهج لتسهم في تحقيق المهمة التربوية للمدرسة في تمكين الطلاب من التعامل مع وسائل الإعلام ومعطياتها وتوظيفها فيما يعود عليهم بالفائدة في ظل الظروف العالمية المتطورة.

إن مما يجعل من مهارات الثقافة الإعلامية مطلباً ملحاً في وقتنا الحاضر هو أن الأطفال والناشئة يعتقدون بأن كل ما ينشر في وسائل الإعلام لابد وأن يكون حقيقياً، فالأطفال ليست لديهم القدرة على التمييز بين الحقيقة والخيال، مما يجعل مرحلة تكوين الذات لديهم مشوبة بالوهم والخيال، وتجعلهم معرضين لاتخاذ قدوات يلمعها الإعلام في حين أنها في واقعها نماذج للانحطاط الخلقي والنفاق، إن شبابنا وأطفالنا يتواصلون عبر شبكات المعلومات مع شخصيات غير مرئية، تملك وسائل الإقناع فتؤثر على فكرهم وسلوكهم، وهو ما يحتم إكسابهم القدرة على فهم الجانب الخفي للرسالة الإعلامية (ما لم تقله الصورة أو الرسالة)، مما يؤثر في تشكيل شخصياتهم ويضعف انتماءهم لمحيطهم الثقافي والاجتماعي، وتتحقق هذه القدرة عن طريق تدريب الطفل على أدوات البحث عن المعلومات وتنظيمها وتحليلها وإصدار الأحكام الموضوعية حول مضامينها، بل والمشاركة بفاعلية في الإنتاج الإبداعي للمعلومات وتسويقها، ليخرج الطفل من حيز التلقي ويصبح مشاركاً في صناعة المعلومات.

إن الحاجة ماسة إلى تنفيذ برنامج للثقافة الإعلامية في مناهج التعليم العام لتحقيق الجوانب التربوية الآتية :

1 - **ترسيخ الاستهلاك الواعي لمصادر المعرفة والمعلومات وإكساب الطلاب القدرة على تلقي الأحكام عن الحياة من مصادرها الرصينة** مع التأكيد على أهمية التعدد والتنوع وضرورة التواصل والتعاون بين المجتمعات.

2 - **بناء التفكير الناقد للتعامل مع ما تنتجه وسائل الإعلام:** حيث إن لبَّ الثقافة الإعلامية هو بناء قدرات تفكير سليمة تدل الناشئة على التمييز بين النافع من الضار والصحيح من الخطأ، والصديق من العدو، حتى يصبح الطفل مستهلكاً واعياً للرسائل الإعلامية، وليس قطعة شطرنج تتحرك وفق مضمون الرسالة ومحتوياتها.

3 - **التربية السليمة ليكون الفرد فاهماً لدينه ومجتمعه وثقافته:** وهنا يجب توضيح الصورة الناصعة لما كان عليه النبي الكريم عليه الصلاة والسلام في حياته وسلوكه وتعامله مع الديانات الأخرى

واحترامه لها ولأتباعها وتحريم بل وتجريم من يفعل غير ذلك .. فالفهم الصحيح للدين ومقاصد الشريعة هي أهم ما يربى عليه التلاميذ من خلال المنهج الدراسي بما يحمله من أهداف ومضامين.

4 - **التربية على الموضوعية والوسطية** في التعامل مع الناس والأحداث: فقد برز لدينا ظواهر غريبة عن معتقداتنا وقيمنا الاجتماعية، تقصي الآخر المخالف، وتعنّف صاحب الرأي المختلف، ومن خلال المدرسة ونشر الثقافة الإعلامية نستطيع أن نربي على قيم التسامح والعدل والإنصاف والحوار واحترام الرأي الآخر، وتقدير المخالف، والتعايش السلمي الآمن للجميع الذي أكد عليه شرعنا الحنيف.

5 - **التربية على العالمية توازناً مع الوطنية:** فمنهجية الثقافة الإعلامية التي يعمل البرنامج في إطارها تقود لإعداد الفرد لأن يكون إنساناً أخاً لكل إنسان على هذه البسيطة، يحفظ له كافة حقوقه الأمنية والسياسية والبيئية، فلا يعتدي عليه ولا يظلمه ولا يحرمه حقه ولا يتسبب بإلحاق الأذى به (ما لم يكن مبادراً بالعداء) وفي الوقت ذاته هو مواطن لمجتمعه، ومُنتمٍ لبلده وأرضه وباذلاً الجهد في حماية وطنه وتنمية مجتمعه، معتزاً بهويته غير ناكرٍ لهوية الآخرين.

6 - **تربية التلاميذ على الاستخدام النافع للتقنية ومحتوياتها:** إن من أهم ما يسعى نحوه برنامج الثقافة الإعلامية هو أن يكون الفرد إيجابياً متفاعلاً بوعي مع التقنية، فهو في جانب يربَّى على الفرز السليم لما تصدره هذه التقنية الحديثة، وفي الوقت ذاته يشارك في إنتاج محتواها، فيجب أن يكون ما يضيفه لهذه المحتويات غير ضار ونافعاً للآخرين، وذلك عبر البريد الإلكتروني والمدونات والمواقع الشخصية والمنتديات، وهذه سوق رائجة وميدان فسيح للثقافة الإعلامية.

ويمكن تحديد الأهداف الخاصة لمثل هذا البرنامج المهم في الآتي:

1. تنمية التفكير الناقد لمضامين المواد الإعلامية لدى الطلاب .
2. غرس مهارات الاستهلاك الواعي للمعرفة وتوظيفها في إطار السياق الثقافي والقيمي للمجتمع .
3. بناء قدرات الطلاب على استيعاب الرسائل الإعلامية وتحليلها وانتقاء المفيد منها وتوظيفه في حياتهم.
4. تثقيف الطلاب بكيفية التعامل الإيجابي مع وسائل الاتصال الإعلامية من تلفزيون وإذاعة وصحافة وألعاب إلكترونية وإنترنت ولوحات إعلانات وغيرها .
5. تطوير ثقافة المدرسة في استخدام وسائل الاتصال والاستفادة من إمكاناتها في تطوير أداء المدرسة وتجويده .

ويستفيد من هذا البرنامج مدارس التعليم العام ، والمجتمع المحلي، والطلاب والمعلمون ومديرو المدارس والمرشدون والمشرفون التربويون، بما يوفره لهم من منتجات يحتاجون إليها.

الثقافة الإعلامية في برامج مكتب التربية العربي لدول الخليج (ABEGS)

انطلاقاً من أهمية تطوير برنامج يهدف إلى إدخال الثقافة الإعلامية بمهاراتها المختلفة ضمن المناهج التعليمية، وتحقيقاً لرسالة المكتب وأهدافه، يتعاون المكتب حالياً مع مؤسسة قطر (Q F) لتنفيذ هذا البرنامج الذي انبثق من مبادرة صاحبة السمو الشيخة موزة بنت ناصر المسند – رئيس مؤسسة قطر – إلى القمة الخليجية التي عقدت في الدوحة في ديسمبر 2007م، التي تضمنت التحذير من تأثير الفضائيات والإعلام عموماً على تشكيل مواقف الناشئة والشباب في المنطقة، وما تلى ذلك من توصيات " منتدى الفضائيات والتحدي القيمي الذي يواجه الشباب الخليجي"، ومن أهمها التوصية بضرورة ترسيخ الثقافة الإعلامية في المناهج التعليمية، وهي التوصية التي اعتمدها المجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية في دورته المنعقدة في مسقط (ديسمبر 2008م).

خاتمة:

وبعد،

فإن حوار الأديان – وهو ضرورة عصرية – في حاجة ماسة إلى تهيئة مناخ فاعل حافز على إنجاحه، وذلك بتربية الناشئة منذ الصغر على تقبل الآخر وعلى قيم التسامح والحوار والتعاون، ودون أن نركز على تشكيل شخصيات الشباب وأفكارهم وسلوكهم، فإن مبادرة حوار الأديان ستظل مبادرة نخبوية يلتف حولها النخب عاماً بعد عام في غياب المنفذين الحقيقيين للتحاور وهم المجتمعات التي يشكل الشباب فيها النسبة العظمى، وحتى يتحقق ذلك في عالم يموج بالتيارات الفكرية، فلا بد من الثقافة الإعلامية التي تسهم في بناء شخصية الطفل وتعويده السلوك الحياتي السليم، وكيفية العيش في هذا العالم الذي يطالعنا كل يوم بالمستجدات، حيث لم يعد في وسع القائمين على إعداد النشء، للمستقبل أن يغفلوا عن تربيتهم إعلامياً، وتمليكهم مهارات الثقافة الإعلامية ليضعوهم على الطريق الصحيح المتسم بالفكر الناقد، والوجدان المتزن والسلوك السليم الذي يتلاءم وعيشهم في قرية كونية واحدة، يتحركون في دروبها بأمن وسلام، ويتعاملون مع أبنائها بوعي وفهم وإدراك لحقائق الأمور، دون أن تجذبهم تيارات منحرفة، أو فكر مغالط، أو بريق إعلامٍ مضلل.

أهمية المناهج الدراسية في غرس القيم الدينية السوية

د. لمياء جوهر حياه

*المنهج الدراسي أين كان يجب أن يعد من قبل1) متخصصين في شتى مجالات المعرفة. تنقل علوم المنهج بواسطة 2)مدرسين 3) للمتلقين .الثلاث فئات المعطاة أعلاه ، أعمالها مرتبطة بتربيتها. والتربية مرتبطة بالوالدين (**وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا)**. تربية الوالدين معتمدة على نسبة المعرفة المطبقة على حسب النظم الاجتماعية والدينية السائدة.*

الوالدان إذن يمكن أن يحلا أي فئة من الفئات أعلاه1-3 من المراحل السنية للإنسان. ولما كان "العلم في الصغر كالنقش على الحجر".إذن يجب الاهتمام في المقام الأول بمناهج تعليم فئة الطفل : الشاملة لمرحلة الروضة والابتدائية أي من العمر 4 – 10 سنوات . تلك المناهج يفضل أن تكتب آخذة بالاعتبار نتائج دراسات إدراك عقلية ونفسية وقدرات الطفل الفطرية المتميزة لتوجيهه من خلال القيم الدينية ، التي أنزلت في الكتب السماوية، و المبنية على المحبة التي تبدد التفرقة بين الناس على أساس اختلاف الأديان والجنسية واللون والطبقة الاجتماعية ،و تحترم الطبيعة والبيئة بهوائها ومائها وأرضها وما تشمل من مخلوقات مرئية أم غير مرئية أعطاها الله الحق في العيش لأنها (أمم مثلكم) (أمثلة). تلك القيم تولد الثقة في نفسه وتعوده على حسن السلوك والمحافظة واحترام الطبيعة بما تحوي والاعتماد على النفس وكسب ثقة الآخرين واحترامهم له.

يفضل الاستعانة بالتطبيقات العملية في تعليم تلك المرحلة السنية قدر الإمكان و الوسائل السمعية والبصرية . سأتناول كلمة الماء باختلاف معانيه في القرآن كمثال على إتباع منهج معين في التعليم وما يؤدي إليه هذا المنهج من نتائج في سلوكيات وأخلاقيات الأجيال التي تربت عليه

ففي مرحل الروضة يمكن تعليم الطفل من صور وجود الماء في الكون 1) غازية: كالبخار والضباب والسحاب 2) مائية: كالنهر والبحر والمحيطات والبحيرات والمياه الجوفية والفوارات والعيون 3) صلبة كالثلج والجليد وجبال الثلج . "وجعلنا من الماء كل شيء حي". يمكن التحقق عمليا من صحة هذه الآية بتمرين الأطفال على سقاية بعض البذور بالماء وترك الجزء الآخر بلا سقاية . وفي المرحلة الابتدائية يمكن وضع بيض الضفدعة الملقحة في الماء وملاحظة تحولها إلى يرقات ثم ضفادع بينما المتروكة دون الماء لا تنتج شيئا. . كما يمكن عرض فلم توضيحي عن تكاثر الميكروبات اللا مرئية. آلية الشرح يجب أن **تكون باللغة العربية الفصحى** ولكن كل **التسميات للمادة العلمية** يجب أن **تعطى باللغة العربية والانجليزية.**

يجب أن تترك مساحة كبيرة للمناقشة والحوار بين المختصين والأطفال وبعضهم البعض . بهذا المنهج **نبني قاعدة إيجاد السبب** (وجعلنا لكل شيء سببا) **والتي تفسر صور الحياة المختلفة وتغرس مفهوم تقدير المعلومات والشكر** لحصولنا على ماء عذب للشرب الذي نحيا به. **وينمي في الطفل حب المحافظة على الماء** بالأخص إذا كان يعيش على أرض ليس بها ماء عذب مثل الكويت . **حب المحافظة** سلوك متطلب في جميع الأديان السماوية . متى ما صار من سلوكيات الإنسان ، حافظ على الروح والطفل والحلم وحسن الجوار والصداقة والأمانة ووو غيرها من مقومات المجتمع السليم

صوره أخرى للماء من وحى القرآن أيضا يمكن تعليمها في المرحلة المتوسطة هي : حليب الأم الذي **يحي عليه الطفل لمدة حولين متكاملين**. حيث تتخصص خلايا الثدي العادية المتغذية على الدم والحاوي لمعدن الحديد، في فترة الحمل بإيعاز هرموني على إضافة بروتينات وسكريات ودهون وفيتامينات إلى الماء الحاوي على المعادن المناسبة للرضيع.

فتحول عمل خليه عادية إلى خلية منتجة لمادة غذائية بواسطة مادة تسمى هرمون يفرزها الجسم بفعل الحمل ، يحفز الطالب على معرفة أسباب ماهية وكيفية التحول ومدى مطابقة نوع الحليب لنوع المولود سواء أن كان حيوانا ثدييا أو إنسانا.

عملية التعليم بهذا المنهج تولد في نفس المتعلم شغفا وطموحا كبيرين للاستزادة من العلم بخاصية السبب والمسبب التغذوية المعولة على العلوم البيولوجية والكيميائية.

هذا المنهج يؤهله ويحببه في البحث والتفكير لإيجاد العلة والسبب. وهذا الذي يؤدي إلى كشف كثير من أسرار خلق الله في هذا الكون .

أما الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب يمكن تعليمه للبالغين حيث يقصد به المني الذي يجب أن تفرز الحيوانات المنوية بمادة سائلة ليتنافس فيها الأقوى على تلقيح البويضة التي تعلق بجدار رحم الأم ثم تنقسم لتكون مضغة فعلقة ثم يكون العظام ويكسوها باللحم . في هذه المرحلة يمكن فهم عملية الخلق على المستوي الفسيولوجي والوراثي البسيط. ولما كانت عملية خلق الإنسان أعقد من خلق الكون بكواكبه ومجراته ونجومه . فطالب العلم الذي تربى على منهج معرفة العلة وإيجاد السبب والمسبب (وجعلنا لكل شيء سببا) أي على منهج التربية في القرآن ، في أي تخصص سيتبع سببا .

إن من (ينظر فيدبر) و(يتبع سببا) في حياته يكون إنسانا مثقفا ذا قاعدة معلومات وبيانات واسعة يربط بينها لينتج فكرا منطقيا وعلميا محققا يشخص فيها العلة ويعتمد على السبب . تفكير بهذا الشكل لا يمكن أن تؤثر عليه الخزعبلات ولا التحريف ولا المعلومات المشوهة ، فلا ينساق إلى التكفير ولا الإرهاب بل إلى الاكتشاف وتجسيد قدرة الله في هذا الكون بأسلوب السلام والمحبة بين البشر.

قال عز وجل " أنا أنزلناه قرآنا عربيا" اللغة العربية متطلبة لمعرفة مقصد الآية وتلك تتطلب معرفة عربية لمفردات الآية . أما السبب والمسبب المعتمدة على علوم الرياضيات والفيزياء والبيولوجيا والكيمياء والجيولوجيا وعلوم الميكروبات وعلم الفضاء وغيرها فلم يزد على الموجود منها أي معلومة باللغة العربية منذ القرن الحادي عشر وإلى اليوم. أما علم التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع يمكن الاستزادة منها باللغة العربية. المسلمون يحتذون بسلوك النبي محمد عليه وآله الصلاة والسلام. وهو يختلف عن من سبقوه من الأنبياء ، فالنبي (منبع الدين) ومؤسس دولة من عدم ، قائد الحروب ، منصف المظلومين ، الحاكم بالعدل ، الحاث على التعلم من المهد إلى اللحد ، واضع أ سلم سلوكيات التعامل بين أفراد الأسرة والمجتمع والأمم ليعم السلام عل الكون (رحمة للعالمين). وكان تأسيسه لكل هذه العلوم الحياتية نابعا من مبادئ وأصول الدين الإسلامي الحنيف . إذن النبي (صلعم) وازى بين الدنيا والدين. أي أن كلا منهما يكمل الآخر. بينما نبي الله موسى أناط به تعليم وجود الله ووحدانيته والعبادات ومثله نبي الله عيسى حيث كان الفرعون ، والرومان على التوالي يديرون شؤون الدولة المختلفة.

المسلمون الأوائل مشوا على المناهج التي وضعها النبي معتمدين على ما ذكر في القرآن الكريم الإمام فنرى الإمام جعفر أبن الإمام محمد أبن الإمام على (زين العابدين) أبن الإمام الحسين أبن الإمام علي بن أبي طالب يختار طلابه من مدن تكون منبعا لتوسعات الفتوحات الإسلامية ، متحسبا بذلك تقبل الدين الإسلامي برحابة ودون تشدد وخوف، لوجود عادات وعقائد لتلك الأقوام متأصلة تقف عائقا دون انتشار الدين، **ففتح باب الاجتهاد** ليبين مرونة هذا الدين وقابليته كآخر كتاب منزل على خاتم النبيين والرسل .فأبو حنيفة كان فارسيا (لتغطية بلاد الفرس وما وراء النهرين وبلاد الهند) وأحمد أبن حنبل من بلاد الحجاز(لتغطية الجزيرة العربية وبلاد اليمن) والشافعي من مصر (لتغطية الدول الإفريقية) والمالكي من بلاد العراق (لتغطية بلاد الشام وتركيا ودول أوربا الشرقية).

فمنهج ألإمام جعفر بفتح باب الاجتهاد في الدين الإسلامي، دليل على التفكير السليم والتخطيط لمستقبل باهر آخذ بعين الاعتبار المنهج الاجتماعي لأمم مختلفة في لغاتها وسبل حياتها وتفكيرها.هذا المنهج يوازي الآن ما تعمل به الدول المتقدمة بوضع الخطط الطويلة المدى أو الأجل لموضوع ما كالاقتصاد أو الطاقة المتجددة أو غيرها من المواضيع.

إن **فكرة السجن كمؤسسة إصلاحية علاجية تأهيلية** لم تتبلور في الفكر القانوني الإنساني المعاصر إلا بعد مخاضٍ طويل، غير أنها وجدت تطبيقاً لها في بدايات الدولة الإسلامية، ولاسيما في فكر **الفقيه الكبير والمفكر العظيم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)** على نحوٍ سبق فيه الأفكار الحديثة بمئات السنين ، وتلك هي **"نظرية السجن الإصلاحي".**

الأهداف المتوخاة من السجن

1) في العصر القديم : هو **الانتقام** من الجاني وتعذيبه.

2) في العصور الوسطى: **الردع فقط دون الإصلاح،** لذا نجد أن السجون كانت عبارة عن قلاع أو حصون قديمة يودع المجرمون فيها بسراديب مظلمة مكبلين بالسلاسل مع التعذيب وإجبارهم على القيام بأعمال السخرة.

3) في العصر الحديث والمعاصر :فاتجهت القوانين العقابية الحديثة إلى تصنيف السجن وتخصيص السجون والرعاية بالمسجونين من النواحي الطبية والنفسية والفكرية والجسدية مع إيجاد الأخصائيين في مختلف هذه النواحي، وقد صاحب هذا التطور اهتمام دولي بالسجون ووضع التوصيات والقرارات اللازمة في سبيل إصلاحها وتطويرها، حيث انعقد المؤتمر الدولي الأول للسجون في لندن سنة 1872 والمؤتمر الدولي الثاني في استكهولم سنة 1878 وغيرها من المؤتمرات وفي 1934/9/26 اعتمدت عصبة الأمم المتحدة قواعد الحد الأدنى لمعاملة المسجونين والتي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في مؤتمر مكافحة الجريمة ومعاملة المذنبين في جنيف وذلك عام 1955 والتي اعتمدها المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة بقراره المرقم 663 في 31/7/ 1957 .

4) هي **"نظرية السجن الإصلاحي" كلمة السجن** وردت في القرآن الكريم في **سورة يوسف** في ثمانية مواضع، والسجن كعقوبة وإن عرف **في زمان الرسول الأكرم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)** غير **أنه لم يكن هناك مكان يحبس فيه الشخص المجرم،**

الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اشترى بيتا وجعله سجنا لتنفيذ العقوبات. وحينما تولى الإمام علي (عليه السلام) الخلافة اهتم بالسجن أيَّما اهتمام فبنى سجناً في الكوفة من قصب وسماه (نافعاً) فنقبه اللصوص وهربوا منه، ثم بنى سجناً آخر من مدر وسماه (مخيساً). وتلاحظ النزعة الإصلاحية لهذين السجنين من اسميهما – كما يذكر الأستاذ توفيق الفكيكي -، فالسجن الأول اسمه (نافع) والنفع ضد الضرر، أما الثاني فقد سماه (عليه السلام) مخيسا والتخييس **يعني التذليل والتليين والمرونة،** هذا من حيث الاسم، أما من حيث **المعاملة العقابية** فقد عمد الإمام (عليه السلام) إلى **وضع قواعد خاصة في معاملة المسجونين ترمي إلى الحفاظ على كرامة الإنسان بما هو إنسان أولاً وكونه مسلماً ثانياً.**

فنجد أن هناك **عناية بالسجين من نواحي** الجسد والروح والفكر، فكان الإمام علي (عليه السلام) يتابع طعامهم وشرابهم وكان يصرف لهم كسوة صيفية وأخرى شتوية وفي حال مرض أحد السجناء فكان يعالج داخل المؤسسة العقابية وإن لم يكن له خادم يقوم بخدمته قوَّم له واحداً، وإن كان مرضه لا يرجى شفاؤه أو خطراً على حياته فينقل إلى بيته لعلاجه ومن ثم يصدر قراراً بإعفائه من مدة محكوميته، وكان يسمح

للمسجونين بالخروج والمشي داخل المؤسسة العقابية، بل نجد أن الإمام (عليه السلام) قد أقر للسجناء بحق الخروج لأداء صلاة الجمعة والعيدين، مع حق ذويهم وأهلهم في زيارتهم، ثم نجد أن الإمام (عليه السلام) **قد أقر تعليم السجناء القراءة والكتابة والأحكام الدينية والعقائدية والمواظبة على ممارستها،** ثم أكد على ضرورة معاملة السجناء (النزلاء) بالحسنى من قبل القائمين على إدارة المؤسسة العقابية وذلك كله يتم تحت إشرافه ورقابته المباشرين، بل كان يوصي عماله في الأمصار الأخرى بذلك كله، **هذا الفكر الإصلاحي أصبح نقطة الانطلاق فيما بعد للفكر الجنائي الإسلامي(والإنساني). عموماً في الاهتمام بالسجن والسجين. وعلى ذلك يمكن القول أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو أول من وضع قواعد الحد الأعلى وليس الأدنى لمعاملة المسجونين وتنظيم السجون باعتبارها مؤسسة إصلاحية تأهيلية علاجية**

، ثم انتشرت بعد ذلك فكرة السجون في الدولة الإسلامية وخاصة في العهدين الأموي والعباسي غير أن **الغاية منها قد ابتعدت عن الإصلاح والتأهيل والتهذيب لتتحول إلى التنكيل والانتقام من السجناء.**

بعد الفتوحات الإسلامية والتعرف على علوم الإغريق والرومان وأهل الصين وبلاد الفرس والهند شرع المسلمون الاستزادة من شتى فروع العلوم وانتهجوا التجربة والاكتشاف واستخلاص النتائج فاخترعوا الآلات وأوجدوا أساسيات علوم الطب والموسيقى والرياضيات وعلم الفلك والفيزياء وعلم الاجتماع . وكان الدين الإسلامي هو المحفز لأعمالهم ، فالدين الإسلامي ينظر للعلماء كورثة الأنبياء ويذكرهم أن كل خطوة في سبيل العلم تحسب خطوة إلى الجنة . وهل يستوي اللذين يعلمون والذين لا يعلمون. إلا أن بمرور الزمن ترك الناس تلازم الدين مع العمل كما كان الرسول الأعظم محمد علية وآله الصلاة والسلام. فأصبح لرجال الدين مدارس لا تتطرق لدراسات العلوم الأساسية . ولغير رجال الدين ، بداية ومن مرحلة الروضة ويليه مرحلة الابتدائي يكون تدريس الدين على منهج حفظ الآيات دون فهم .ثم أن مواد التربية الدينية للمرحلة المتوسطة والثانوية تتطرق للشريعة والعبادات وأحاديث الرسول المنقولة، إلا أن المنهج ثابت ، قائم على العنعنة الغير محققة، يتم التدريس دون مواكبة للتطور في تفكير الأجيال الحديثة ولا تجديد في منهج تعليمها ، فلا رجوع إلى كتب عن الدين الإسلامي في منظور ديانات أخرى سماوية أو غير سماوية ، ولا مناقشة عن سبب الطائفية التي تنافي أمر الله (و اعتصموا بحبل الله جمعيا ولا تفرقوا)، أو لماذا بعض الأحاديث صحيحة ,والأخرى غير صحيحة ما تاريخها .فباب النقاش والبحث مغلق ، إذن باب التعلم والبحث مسدود ولا سبيل الا الحفظ الذي يطفئ نور العقل ولا يؤدي إلى شيء يفيد الإنسانية أدبيا أو عمليا ولنا مثال في تفسير أية 83 من سوره الكهف والآية 24 من سورة الرحمن لنبين أن النقاش والتفكير والبحث يؤديان إلى الدقة والحرص في الفهم واستعمال العقل في تفسير القرآن للوقوف مفاتيح العلم

والمعرفة التي تفسر خلق الكريم سبحانه وتعالى.,وسنبين أيضا كيف أن العلوم الأساسية تعطي أبعادا جديدة في قدسية القرآن وعظمته.

أهمية المناهج المدرسية في غرس القيم الدينية السوية وثقافة التسامح الديني بين أتباع الديانات :المناهج الفلسطينية نموذجا

سيادة المطران عطا الله حنا

إن للتربية دور أساس في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمعات، من خلال غرس القيم السوية في نفوس الطلبة، وتنشئتهم عليها، وتعزيز لغة الحوار والمنطق والتسامح. ومن هذا المنطلق هدفت هذه الدراسة إلى توضيح أهمية ودور المناهج المدرسية في غرس القيم الدينية السوية وثقافة التسامح الديني بين أتباع الديانات، وكذلك هدفت تحليل كتب التربية الدينية والتربية الوطنية والتربية المدنية واللغة العربية الفلسطينية للصفوف(1-5) والتي بدء بتطبيقها منذ العام الدراسي2000/2001؛ لمعرفة ما تضمنته من قيم التسامح والسلام وتقبل الآخر والاختلاف والتعددية، ومدى قدرتها على إكساب الدارسين القيم السوية وتأثيرها في سلوكياتهم. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي في دراسته، من خلال وصف الواقع وتحليل محتوى المناهج الفلسطينية، كما أنه استخدم استبانة لمعرفة اتجاهات معلمي ومعلمات التربية الدينية الإسلامية والمسيحية في فلسطين نحو مدى توفر القيم الإيجابية السوية في المناهج الفلسطينية. وقد خلصت الدراسة إلى أن المناهج المدرسية تلعب دوراً مهما في عملية التغيرات الجوهرية في مجال القيم والاتجاهات والنظم، ونقل الثقافة المتطورة، وتوفير الظروف المناسبة لنمو الطلبة جسمياً وعقلياً واجتماعياً وانفعالياً، وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات والأديان. كما أكدت الدراسة على أن ثقافة التسامح والحوار هي الثقافة البديلة لثقافة العنف والانحراف الفكري وإلغاء الآخر وإقصائه وهي النقيضة أيضا للتعصب والتطرف والغلو واحتكار الحقيقة والمعرفة والوصاية على الآخر والهيمنة والتبعية، وأن عالمنا اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعال والتعايش الإيجابي بين الناس . وبالنسبة إلى مدى اهتمام المناهج الفلسطينية بالتربية على قيم التسامح والحوار والتواصل والسلام أكدت الدراسة على أن المناهج المدرسية وخاصة مناهج التربية الدينية الفلسطينية الإسلامية والمسيحية تلعب دورا بارزا في تعزيز الفكر الوسطي وفي الحماية من التطرف والإرهاب، ونبذ العنف والفرقة بين بني البشر بشكل عام وبين أبناء الشعب الفلسطيني بشكل خاص، وتغليب لغة العقل والحوار الإيجابي والبناء وتوفير جو من العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص. كما أظهرت نتائج الدراسة ورود جميع القيم السوية في محتوى المناهج الدراسية الفلسطينية عينة الدراسة بصورة تكاملية، وبنسب متفاوتة. فهناك قيم حصلت على تكرارات عالية مثل: قيم السلام، والتسامح، والاحترام، والحرية والديمقراطية. كما أن المناهج الفلسطينية تعطي أهمية بارزة لاحترام الأديان والتسامح والتعايش بين أتباعها، وبخاصة المسلمين والمسيحيين في فلسطين، وكذلك احترام

الاختلاف والتعددية، وأن دروسا في بعض الكتب المدرسية عنونت بالتسامح واحترام الآخر واحترام الاختلاف. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من المقترحات والتوصيات لتعزيز التربية القيمية السوية والتسامح من خلال المناهج المدرسية، كضرورة مراجعة المناهج الدراسية واستئصال الخطابات الإنشائية منها، العمل على بناء تربية تسامحية تعزز العدل والسلام. كما أوصت الدراسة بأن تكون الأهداف القيمية واضحة في المناهج، ومرتبطة بالاستراتيجية التربوية، وبناء استراتيجية وطنية لتحصين الطلاب في مراحل التعليم المختلفة؛ لمواجهة التعصب والإرهاب بأشكاله المختلفة، وإعداد المتعلم إعدادا خلقيا منسجما مع الإنسانية في مجتمعه ووطنه، وتربيته على النقد والنقاش وتقبل الآخر، وحل المشكلات مع نظرائه بروح المسامحة والعدالة والمساواة، وتأكيد دور الدين في إكساب القيم الإيجابية المتمثلة في التسامح واحترام الآخرين ونبذه للعنف والتعصب والآهاب والإقصاء.

الفصل الأول

خطة الدراسة

أولا: ـ مقدمة:

إن النزاعات والخلافات التي تقع في كثير من الأماكن توضح أن التربية على الاندماج والتفاهم مع الآخر، وتعزيز ثقافة التسامح والعيش المشترك هي مهمة كبيرة ومسؤولية جليلة؛ فالتحيزات والتعصبات التقليدية ومواقف الصدام يجب أن تزال وإلى الأبد لصالح تفاهم أفضل في عالم أصبح يمثل وحدة سكانية واحدة في ظل التقدم والتطور العلمي والتكنولوجي. لا سيما وأن كثيرا من المجتمعات البشرية بمختلف فئاتهم وشرائحهم بدأت تعانى كثيرا من أحداث أليمة، ساد خلالها منطق العنف بكافة أشكاله وأنواعه وأساليبه، وفقدت هذه المجتمعات الأمن والاستقرار نتيجة لهذا العنف ولغياب ثقافة الحوار والتسامح.

وتعد القيم في كل مجتمع صمام أمان فهي التي تضبط علاقة الإنسان بربه، وبنفسه، وبالآخرين، فالإنسان من خلال القيم يصدر أحكامه على الأشياء من حوله، فيأخذ ما يناسب قيمه ويدع ما لا يناسبه ولا يتحمس له.

ولعل ما أحدثته الثورة العلمية والتكنولوجية وغيرها من عوامل التغير الثقافي يحتم دراسة القيم دراسة علمية؛ حيث أدت هذه الثورة إلى إعادة تشكيل الكثير من المعارف والمفاهيم عن الحياة، وقضت على الكثير من تصورات الإنسان عن ذاته وعالمه، ونتج عنها الكثير من التذبذب وعدم الاستقرار في القيم الموروثة والمكتسبة.(1) وأصبح الوضع يشكل تهديداً لاستقرار الحياة الإنسانية، ومصدراً للقلق والاضطراب وفقدان

([1]) زاهر، ضياء: **القيم في العملية التربوية**. القاهرة: مركز الكتاب للنشر، 1996، ص 7

للاطمئنان، وتشتت وتفكك للعلاقات الإنسانية بصورة عامة، "حتى أصبح الإنسان يشعر بقلق عام حول التآكل الظاهر في منظومة القيم".(2)

والمجتمعات العربية بما فيها المجتمع الفلسطيني أضحت ضحية للنتائج السلبية الناتجة عن التقدم العلمي والتكنولوجي وثقافتهما. وأصبحت قيم المجتمع العربي ونظمه مهددة، بما يبث في وسائل الاتصال السمعي والبصري عبر الأقمار الصناعية والاتصال من هتك الحرمات، ومن صور وممارسات تدخل في مجال الخلاعة، وما يبث فيها من معلومات وتقنيات خاصة بنشر الفساد والسرقة، وغير ذلك مما يتنافى مع القيم والمعايير الأخلاقية، ويثير المخاوف بشكل جدي.(3)

ويلعب التعليم دوراً مهما في عملية التغيرات الجوهرية في مجال القيم والاتجاهات والنظم، اللازمة للتنمية والتحديث، على اعتبارها جزءاً من التغيرات الحضارية العالمية، ويمنح التعليم الفرد قدرة على الاتصال بالعالم الواسع، الذي يمتاز في العصر الحديث بكثافة الاتصال، وسرعة التحولات.(4)

وتعد المدرسة المؤسسة الاجتماعية الرسمية التي تقوم بوظيفة التربية ونقل الثقافة المتطورة، وتوفير الظروف المناسبة لنمو الطلبة جسمياً وعقلياً واجتماعياً وانفعالياً، وهي المؤسسة التي تقدم للمتعلمين ثقافة منظمة ذات محتوى وأهداف محددة، وتكون المجال الأول الذي يهيء لهم جواً اجتماعياً حقيقياً يختلف عما هو في الأسرة.5 ويزيد من أهمية المدرسة كونها المؤسسة التي يتبناها المجتمع من أجل تحقيق أهدافه. ويؤكد كولبرج "Kohlberg" على ذلك، ويرى أن المدرسة أهم بيئة للطفل خارج بيته وأسرته لاكتساب القيم، وأن للمدرسة ومناخها وبيئتها أبلغ الأثر في سلوك الطلبة.(6)

ولا شك أن للتربية دور أساس في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمعات، والذي يفتح آفاق التطور والتقدم وبناء مجتمع ديمقراطي، متماسك، يشعر فيه جميع المواطنين بالأمن والطمأنينة، وتسوده لغة الحوار والمنطق والتسامح.

وقد أجريت عدة دراسات تتعلق بالقيم في المناهج المدرسية، وبعضها يقتصر على بحث القيم الإنسانية في مناهج مدرسية محددة، ومثال ذلك دراسة خالد الظاهري (2001م) بعنوان دور التربية الإسلامية في

---

(2) Carr, David**:** Education Values and Values Education, Some Recent Work**. British Journal of Sociology of Education**. Mar. 1998, Vol 18, Issue 1, PP. 133-142

(3) - زاهر، ضياء: **القيم في العملية التربوية**. مرجع سابق، ص 37

(4) Nabil Ayoub Badran, Education and Modernization in Arab Palestinian Society**.** Part II**,** Beirut 1979, p.11.1948-1967, **Research Center, Palestine Liberation Organization**

(5) الملحم، إسماعيل: **كيف نعتني بالطفل وأدبه**. دمشق: دار علاء الدين، 1994، ص 11

(6)Kohlberg, L**.,** Moral and Religious Education and the Public School, A developmen-tal View. In: T. Sizer (Ed), **Religion and Public Education,** Boston: Houghton –Miffin, 1967, P. 183

مواجهة الإرهاب.(7) وهدفت إلى بيان دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب والتطرف. وقد أكدت الدراسة على أن بروز ظاهرة الإرهاب في بعض الدول الإسلامية مرتبط بغياب التثقيف الديني والتقصير في تدريس المقررات الدينية وعدم تفعيل دور المؤسسة التربوية للقيام بدورها. وأوصت الدراسة بضرورة إعادة النظر في واقع تدريس مقررات التربية الدينية وعدم التهاون أو التقصير فيها حتى لا تؤدي إلى شيوع الجهل بحقيقة الدين أو التطرف في فهم كثير من قضايا الدين.

وقام زياد محمد (2006) ([8]) بدراسة هدفت تحديد القيم المرتبطة بحقوق الإنسان الواجب تنميتها لدى طلبة المرحلة الإعدادية في غزة، وتعرف مدى توافر هذه القيم في محتوى الكتب الدراسية المقررة على طلبة هذه المرحلة. وخلصت الدراسة إلى أن القيم المرتبطة بحقوق الإنسان تكررت في كتب اللغة العربية مجتمعة (1710) مرات، وفي كتب التربية الدينية مجتمعة (1496) مرة، وأن أكثر القيم ظهوراً في هذه الكتب على الترتيب: الكرامة، والحرية، وتحمل المسؤولية، والحياة.

ونظرا لما تمر به مناطق السلطة الفلسطينية من تمزق واضطراب وعنف أحيانا، كان لا بد للتربية للتربية أن تلعب دورا وتأثيرا كبيرا في اعادة بناء الوطن من خلال تنشئة أجياله الصاعدة على أسس وطنية واجتماعية وإنسانية سليمة وصحيحة، بحيث تسود بينهم ثقافة التسامح والحوار وتقبل الاختلاف في الرأي والمعتقد والتصور. (9)

ثانيا: ـ الإحساس بمشكلة الدراسة

من القيم ما هو مكتسب ويتم توريثها من جيل إلى آخر عن طريق المؤسسات الثقافية المتعددة في المجتمع، والمدرسة تعمل من خلال وظائفها الاجتماعية والثقافية على تدعيم القيم والاتجاهات المهمة في حياة المجتمع، من خلال المناهج والأنشطة المرافقة، وتقلل بذلك من فرص الانحراف والخروج عن القيم، وتساعد على استقرار المجتمع.

([7])الظاهري، خالد صالح: (2001) **دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب** ملخص رسالة ماجستير، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية المجلد 13 العدد 2 ربيع الأول 1422 هـ موقع http://www.uqu.edu.sa/majala/humanities/voll13/mo8htm

([8]) ثابت، زياد محمد مصطفى: **برنامج مقترح لتنمية القيم المرتبطة بحقوق الإنسان لدى طلبة المرحلة الإعدادية في غزة من خلال الأنشطة الصفية**. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات التربوية، القاهرة، 2006

([9]) نجم الدين،علي: **ظواهر الفوضى والعنف وإشكالية التخلف في المجتمع الفلسطيني ومجتمعات المشرق العربي**. القدس، 2005، ص ص 130-131

والمناهج المدرسية أحد الوسائط التي تساعد على إكساب المتعلم قيمه، والمنهاج الجيد هو الذي يتفق مع قيم المجتمع الصالحة، ويعمل على تأصيلها، وإزالة ما قد يعلق بها درن، وتكوين نظام قيمي ،أو نسق يوجه سلوك المتعلمين في تفاعلهم مع الأشخاص والمواقف.

وعليه فإن المؤسسات التعليمية وعلى رأسها المدرسة تتحمل العبء الأكبر في غرس القيم المحمودة في نفوس الطلبة، وتنشئتهم عليها، وتجنيبهم الأخلاق والعادات غير المرغوب فيها؛ فالقيم صمام الأمان الكفيل بضبط علاقات الإنسان مع نفسه وربه والناس .

والمجتمع الفلسطيني ينظر بأهمية بالغة إلى موضوع القيم والأخلاق والسلوك ، وبخاصة بعد سنوات طويلة خضع فيها لاحتلال حرص على تدمير الأرض والإنسان في برنامج ممنهج يهدف سلخ الشخصية الفلسطينية من تراثها وقيمها؛ ولهذا فهو يتطلع إلى دور عملي ومؤثر للمناهج الفلسطينية في بناء الإنسان الفلسطيني وإعادة الشخصية الفلسطينية على أساس من القيم السوية والتراث.

من هذا المنطلق يرى الباحث أهمية دراسته لموضع القيم المتضمنة في المناهج الفلسطينية للصفوف الأساسية(1-5) في المنهاج الفلسطيني الجديد؛ للتعرف على القيم السوية والإنسانية المتضمنة، ومدى قدرة هذا المنهاج على إكساب الدارسين القيم السوية وتأثيره في سلوكياتهم.

ثالثا: ـ تحديد مشكلة البحث وأسئلته:

ستتمحور مشكلة الدراسة حول توضيح أهمية ودور المناهج المدرسية في غرس القيم الدينية السوية وثقافة التسامح الديني بين أتباع الديانات. وكذلك تهدف الدراسة إلى معرفة قيم التسامح وغيرها من القيم الإنسانية المتضمنة في المناهج الفلسطينية، ودورها في تعزيز ثقافة السلام وتعزيز الحوار والتفاهم. ويمكن إجمال الأسئلة التي سيجيب عنها البحث بما يلي:

1. ما أهمية ودور المناهج المدرسية في غرس القيم الدينية السوية وثقافة التسامح الديني بين أتباع الديانات ؟
2. ما أهمية ودور المناهج المدرسية الفلسطينية في غرس القيم الدينية السوية وثقافة التسامح الديني بين أتباع الديانات ؟
3. ما نسبة شيوع قيم التسامح الديني في المناهج الفلسطينية؟
4. ما السبيل إلى تعزيز القيم الإنسانية وثقافة التسامح والحوار في المناهج المدرسية؟

رابعا: ـ أهمية الدراسة:

لا يختلف اثنان على أن القيم الإنسانية الحية من تسامح وتفاعل مع الآخر أصبحت ضرورة هامة لبناء الانسان المعاصر وخاصة النشأ الجديد من أجل ضمان ولادة أجيال قادمة ناشئة على أسس عصرية وعلمية وإنسانية، والمناهج المدرسية تلعب دورا أساسا في تكوين القيم وغرسها، وعليه فإن أهمية هذه الدراسة تجمل بالآتي:

1. توجه المعلمين نحو قيم التسامح الديني للتركيز عليها وإعطائها الأهمية المطلوبة.
2. توضح دور قيم التسامح في بناء الأفراد والمجتمعات على أسس سليمة.
3. يأمل الباحث أن تقود هذه الدراسة إلى دراسات مشابهة في مجال تعزيز القيم الإنسانية في المناهج المدرسية.
4. يأمل الباحث أن يستفيد من هذه الدراسة واضعو المناهج المدرسية في تحسين وتطوير عرض القيم الإنسانية وقيم التسامح فيها.

خامسا: ـ أهداف الدراسة:

يمكن إجمال أهداف الدراسة بالآتي:

- توضيح أهمية المناهج المدرسية في بناء ثقافة التسامح الديني والتعايش مع أتباع الديانات الثلاث.
- تحليل المناهج المدرسية للتعرف على ما تضمنته من قيم التسامح، وتحديد أبعادها ومراميها.
- التعرف على مواطن القوة، ومواطن الضعف والقصور في عرض قيم التسامح في المناهج المدرسية؛ ليستفيد القائمون على مراجعة هذه وتعديلها.

سادسا: ـ حدود الدراسة:

تقتصر دراسة الباحث على:

1 - توضيح أهمية المناهج المدرسية في غرس القيم الدينية السوية وثقافة التسامح الديني بين أتباع الديانات.

2 - تحليل كتب التربية الدينية والتربية الوطنية والتربية المدنية واللغة العربية الفلسطينية للصفوف(1-5) والتي بدئ بتطبيقها منذ العام الدراسي2001/2000.

سابعا: ـ مجتمع الدراسة:

اختار الباحث أن يكون مجتمع الدراسة مكونا من كتب المنهاج الفلسطيني للتربية الدينية والتربية الوطنية والتربية المدنية واللغة العربية للصفوف(1-5)، والمطبق في جميع المدارس الفلسطينية، الحكومية التي تشرف عليها وزارة التربية والتعليم العالي في السلطة الوطنية الفلسطينية، وغير الحكومية، كتلك المدارس الخاصة، أو تلك التي تتولى شؤونها وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين. وسيأخذ مجتمع الدراسة كله كعينة للدراسة.

ثامنا: ـ أداة الدراسة:

سيقوم الباحث بتطوير تصنيف كمعيار مناسب لدراسة القيم الدينية السوية وثقافة التسامح الديني بين أتباع الديانات، وذلك بعد الاطلاع على جميع ما يقع تحت يديه من تصنيفات متعلقة بموضوع القيم، والمقاييس التي استخدمت لهذا الغرض وسيقوم بتحكيم هذا التصنيف بعرضه على عدد من الأخصائيين والتربويين، كما سيتأكد من صدق أداته وثباتها.

تاسعا: ـ منهج الدراسة

سيستخدم الباحث المنهج الوصفي في دراسته باستخدام أسلوب تحليل المحتوى – باعتباره أكثر الأساليب البحثية ملاءمة لتحقيق أهداف البحث ـ للتوصل إلى قيم التسامح والقيم السوية في المناهج الفلسطينية موضوع الدراسة. وسيقوم الباحث بتحليل محتوى المنهاج الفلسطيني للوصول إلى القيم الإنسانية وقيم التسامح المتضمنة فيها، وذلك في ضوء نظام التكرارات.

كما سيوجه الباحث استبانة إلى عدد من مدرسي ومدرسات التربية الإسلامية والمسيحية للتعرف على آرائهم حول مدى اهتمام المناهج الفلسطينية بعرض وتعليم قيم التسامح والقيم الإنسانية السوية.

الفصل الثاني

دور المناهج المدرسية في غرس القيم الدينية السوية وتعزيز ثقافة التسامح

أصبحت التربية أداة فاعلة اليوم في مواجهة مختلف مظاهر التسلط والقهر والاستبداد في المجتمع، وأصبحت معنية بتأصيل القيم الديمقراطية، وبناء ثقافة السلام وقيم التسامح ونبذ العنف لتضمن للمجتمع الانطلاق الحضاري والإنساني.

المناهج وتعزيز ثقافة التسامح:

إن عالمنا اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعال والتعايش الإيجابي بين الناس أكثر من أي وقت مضى نظرا لأن التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوما بعد يوم بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والثورة التكنولوجية التي أزالت الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب حتى أصبح الجميع يعيشون في قرية كونية كبيرة.

"والتسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا. ويتعزز هذا التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد...، وهو ليس واجبا أخلاقيا فحسب، وإنما هو واجب سياسي وقانوني أيضا، والتسامح هو الفضيلة التي تيسر قيام السلام، وتسهم في إحلال ثقافة السلام محل ثقافة الحرب. كما أن التسامح لا يعني المساواة أو التنازل أو التساهل، بل التسامح هو قبل كل شئ اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية المعترف بها عالميا. ولا يجوز بأي حال الاحتجاج بالتسامح لتبرير المساس بهذه القيم الأساسية. والتسامح ممارسة ينبغي أن يأخذ بها الأفراد والجماعات والدول". ([10])

وعند الحديث عن التسامح، يستلزم تطوير الثقافة الاجتماعية للقبول بالآخر، ومحاربة ثقافة التعصب والعنف، وتشجيع الانفتاح الفكري والمعرفي على الآخر، وهذا لن يتأتى إلا بتنمية مهارات التفاهم والتحاور مع الآخر بشكل مباشر، مما يعمق لخيارات التسامح والعدالة المشتركة بين فئات المجتمع.([11])

والبشرية اليوم ليست بحاجة إلى المزيد من المجابهات الثقافية؛ "حيث إننا نعيش في عالم وعصر باتت فيهما البشرية مهددة بما أطلق عليه "هانتغتون" اسم " صدام الحضارات". نعيش في عالم وعصر كثيراً ما تتعطل فيهما العلاقات الأفضل بين الأديان. ونحن لسنا مع هذا الصدام وإنما مع الحوار والتفاهم والتعاون فيما بيننا من قواسم مشتركة مع الحفاظ والتمسك بهويتنا الثقافية.(12)

وتعد المناهج المدرسية بما فيها من مقررات دراسية وأساليب تعليمية بجانب العائلة ووسائل الأعلام هي إحدى الوسائط الهامة التي تصاغ خلالها وجهات النظر، وتبنى فيها التصورات والاتجاهات والمعارف والمفاهيم.

([10]) المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1995 المادة رقم 1

[11]) لمزيد من المعلومات انظر كتاب: محفوظ، محمد: التسامح وقضايا العيش المشترك.

[12]) كونغ، هانس: **أخلاق عالمية أساسا لمجتمع عالمي**. في : العولمة: **الطوفان أم الإنقاذ**. فرانك جي، ولتشنر وجون بولي (محرران)، ترجمة فاضل جتكر، بيروت: المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية، ، ص 85

وتظهر أهمية الكتب المدرسية في التربية على تقبل الآخر وتفهم الاختلاف كونها إحدى الوسائل التعليمية الأكثر أهمية في صوغ أفكار أساسية عن الثقافات والديانات والعلاقات، فمن خلالها يتلقى الطالب المعرفة والمفاهيم الشاملة التي يريد المجتمع نشرها في صورة مركزة لتصل بين الأجيال السابقة والمعاصرة واللاحقة، وفيها يتم بناء المعايير والقيم التي يؤمن بها المجتمع.

وإذا ما أردنا تسليط الضوء على دور المدرسة في تعزيز المنهج الوسطي بين الطلبة وتنشئة الأجيال عليه نلاحظ وجود قصور في بعض الجوانب وذلك نتيجة لمعوقات كثيرة تعاني منها تربية الطلبة في المدارس، فإضافة إلى ما تعاني منه البيئات التعليمية من قصور في جوانب كثيرة ، هناك قصور لدى بعض الكوادر التعليمية بسبب نقص الخبرة والكفاءة وعدم تحمل المسؤولية مع أهمية دور المعلم في توجيه فكر الطلبة وتحديد معارفهم واتجاهاتهم وقيمهم وبالتالي التأثير على سلوكياتهم . فالمعلم بشكل خاص والسياسة التعليمية بشكل عام ما زالت تحرص على حشو أذهان الطلبة بكل ما يتوفر من معارف وعلوم نظرية دون أن ترقى بهذه المعارف والعلوم إلى الممارسة والتطبيق؛ فالأسلوب التلقيني ما زال هو السائد، ويدعمه أنظمة الامتحانات والاختبارات التي لا تقيس غالباً إلا المعارف النظرية فحسب .

ونؤكد هنا على أهمية تضمين هذه المناهج قيم الوسطية والاعتدال في مجالات الحياة جميعها كالعبادات والأخلاق والقيم والعلاقات الاجتماعية، وسطية شاملة جامعة تهدف إلى إصلاح الفرد والجماعة في آن واحد.

وهناك الكثير من ملامح الوسطية والاعتدال التي ينبغي التركيز عليها في مناهج التعليم بجميع مراحله المختلفة بما فيها المرحلة الجامعية. ومن هذه الملامح:

1 - بناء نظام أسري متكامل يقوم على المحبة والاحترام وطاعة الوالدين، وتحمل المسؤوليات من منظور الوسطية والتوازن في توزيع الحقوق والواجبات بحيث يعمل الجميع لخير الأسرة ولخير المجتمع.
2 - بناء نظام أخلاقي وقيمي وسطي، يقوم على الانسجام والتناغم ما بين المثالية والواقعية، وبين الفكر والسلوك.
3 - تعزيز العلاقات الاجتماعية والإنسانية ، فالفرد جزء من كل، وهو جزء من هذا المجتمع الإنساني الكبير يرتبط معه بعلاقات يجب أن تقوم على التفاهم والحوار والأمن والسلام ونبذ العنف والتعصب، ضمن منظومة وسطية بعيدة عن الانبطاح أو الإقصاء .
4 - بناء نظام اقتصادي يعتمد الشفافية ، ويلتزم بالقيم والمعايير الأخلاقية، ويهدف إلى التنمية والنهوض بالمجتمع ويتعايش مع التغيرات العالمية الجديدة .

وقد أكد ميثاق الأمم المتحدة أن التربية يجب أن تهدف إلى تنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية" (المادة 26). كما أكد (في المادة 4) على أن التعليم هو أنجع الوسائل لمنع اللاتسامح، وأول خطوة في مجال التسامح، هي تعليم الناس الحقوق والحريات التي يتشاركون فيها وذلك لكي تحترم هذه الحقوق والحريات فضلا عن تعزيز عزمهم على حماية حقوق وحريات الآخرين. كما وينبغي أن يعتبر التعليم في مجال التسامح ضرورة ملحة، ولذا يلزم التشجيع على اعتماد أساليب منهجية وعقلانية لتعليم التسامح تتناول أسباب اللاتسامح الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، وينبغي أن تسهم السياسات والبرامج التعليمية في تعزيز التفاهم والتضامن والتسامح بين الأفراد وكذلك بين المجموعات الإثنية والاجتماعية والثقافية والدينية واللغوية وفيما بين الأمم.([13])

ولأهمية المناهج في تعزيز ثقافة التسامح الديني والفكري والاجتماعي نحن بحاجة ماسة إلى مراجعة مناهجنا الدراسية وإلى استئصال الخطابات الإنشائية، وألا نشجع نمو مشاعر العزل العنصري بين الطلبة. كما أننا يجب أن نحثهم على تفهم الثقافات الأخرى وتذوق ما فيها من قيم جمالية وأخلاقية، فالتسامح في حقيقته تربية مستمرة، فمشاعر ضبط النفس وقبول الآخر والإدراك بأننا نعيش في عالم واحد تشترك فيه الأفكار المختلفة وتتعايش فيه الأعراق والجنسيات جنباً إلى جنب هو نوع من التسامي فوق المطامع والمصالح الضيفة؛(**[14]**) والتسامح يتعزز بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد، إنه الوئام في سياق الاختلاف.(**[15]**)

وتعد تنمية القيم من أهم وظائف التربية، وذلك بحكم الارتباط العضوي للقيم الأخلاقية بثقافة المجتمع وقوة تأثيرها فيه، لأنها تعبر عن القيم التي اختارها المجتمع لتحديد سلوكياته وأهدافه وأساليب تطوره ونموه ، كما أن التربية تستمد أهدافها الأساسية من هذه القيم وتستند إليها في اختبار أنواع المعرفة المقدمة للطلاب والأساليب التي تتبعها في تحقيق أهدافها التربوية، وفي ضوء القيم أيضاً يتم اختيار الأنماط السلوكية التي تسعى التربية إلى ترسيخها في نفوس الطلبة.([16])

ومن هنا جاء الاهتمام بغرس القيم باعتباره أحد الأهداف الرئيسة التي تعنى بها التربية، ذلك لأن الفرد الذي يفقد قيمه يفقد اتزانه، ويربط جون ديوى الأخلاق بالتربية، ويرى أن الأخلاق يمكن تهذيبها عن طريق التربية لأن عملية التربية والعملية الأخلاقية شيء واحد، وقد تناول ديوى (1948) الصلة بين الأخلاق

---

[13]) ميثاق الأمم المتحدة (المادتين: 4،28) المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1995.

[14]) الرميحي، محمد: **مجلة العربي الكويتية**. العدد 442 سبتمبر 1995.

[15]) فيدركو مدير عام اليونسكو، **صحيفة الاتحاد الإماراتية** 1997/11/4.

[16]) مطاوع ، إبراهيم عصمت: **أصول التربية**. القاهرة: دار المعارف، 1979 ، ص123

والتربية في كتابيه: الخبرة والتربية، والمبادئ الأخلاقية في التربية، وقد تحدث في كتابة الأخير عن الفهم والإدراك الجوهري للمبادئ الأخلاقية في التربية.([17])

وتعتبر الأفكار بداية للسلوك؛ وقد تعزز المناهج الانحراف الفكري إذا لم تصغ بطريقة صحيحة ومدروسة، ومن مظاهر الانحراف الفكري الذي قد يظهر في المناهج:

1 التضليل والخداع:

فالمناهج المدرسية قد تضلل وتخدع الطلبة وتغرر بهم باستعمال اللغة الانفعالية في التأثير عليهم، وزرع ثقافة الطاعة والانقياد لحزب أو جماعة أو قيادة دينية أو فكرية واعتبار ذلك من المسلمات غير القابلة للنقاش.

2 تشويه الحقائق:

فالمناهج المدرسية إذا أسيء استخدامها تعزز الفكر المنحرف عن طريق قلب المفاهيم وتشويه الحقائق وطمسها، وتقديم أدلة وبراهين غير كافية أو مناقضة للواقع.

3. تشجيع الخلاف والصراع:

فالمناهج ينبغي أن تشجع الفكر السوي الذي يُسلم بتعدد الأبعاد والرؤى ويعمل على التواصل مع الآخرين والانفتاح على العالم، والإفادة من خبراته وأفكاره دون صراع أو تسفيه، في الوقت الذي ينزع فيه الفكر المنحرف إلى الخلاف والصدام مع الآخرين.

4. تشجيع الغـــلو والتطرف:

التطرف أو الغلو هو مجاوزة الحد في كل شيء، والغلو والتطرف يدفع إلى عدم الاعتراف بالرأي الآخر وبحقه في الخلاف إضافة إلى مصادرة اجتهاداته في المسائل، أو القضـايا الخلافية والمحتملة.

5. اليأس والإحباط:

فقد تعزز بعض المناهج المدرسية شعور الفرد باليأس والإحباط، وعندها يغلب عليه التشاؤم والشعور بالمرارة ونقص الكفاءة والفعالية ومبالغة في علل العالم وأوضاعه، كما ينخفض مستوى الروح المعنوية، وينعدم الأمل في المستقبل إضافة إلى نزعة إلى الشعور بالذنب والدونية والانتقاص من قدرة الذات.

وجميع هذه مشاعر سلبية تجعل صاحبها فريسة سهلة للتأثر بأفكار ومعتقدات مشوهة ومتطرفة من أجل تغيير الواقع، فهو بسبب يأسه وإحباطه يتقبلها دون مناقشة أو نقد أو تمحيص.

6 . التعصب والتحيز:

يجب على المناهج تجنب التعصب الأعمى؛ فالتعصب لشخص أو قوم أو حزب أو جماعة أو فكرة يدفع إلى مناصرة ما يتعصب له حتى ولو كان الحق في غير الجهة التي يناصرها.

---

[17]) عبد السلام، سامية عبد الرحمن: **القيم الأخلاقية**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1992 ، ص117

المناهج ونشر ثقافة الوسطية:

تمثل الوسطية في القضايا الإنسانية محورا هاما تدور حوله قضايا ومسائل كثيرة، فقد جعل الله تعالى كثيراً من الأشياء والطبائع والخصائص النفسية مملوكة بقانون الوسطية، والوسطية تعني: الاستقامة على المنهج، والبعد عن الميل والانحراف عن المنهج المستقيم، دون إفراط أو تفريط، أو غلو أو تقصير.

وتقوم الوسطية على احترام الرأي الآخر والبحث عن أرضية مشتركة من الاجتهادات والآراء والأفكار المعتدلة، وكذلك العودة إلى الوسطية في الفكر والسلوك، وفسح المجال للرأي الآخر، وقبول الحوار معه بل الدعوة إلى هذا الحوار، واستخدام سلاح الحجة والبرهان والإقناع، سواء كان هذا الآخر مغايرا في السياسة أم في الفكر أم في الدين.

وفي الواقع فإن ثقافة التسامح والحوار هي الثقافة البديلة لثقافة العنف والانحراف الفكري والغاء الاخر واقصائه وقتله وهي النقيضة أيضا للتعصب والتطرف والغلو واحتكار الحقيقة والمعرفة والوصاية على الآخر والهيمنة والتبعية. والمنهج الوسطي يساعد في مكافحة الإرهاب والتعصب ويشكل حصناً حصيناً للطلبة من الوقوع في الانحراف العقدي، الذي يؤدي بدوره إلى الوقوع في الجرائم الإرهابية الناتجة عن هذا الفكر من قتل وتدمير.

المناهج الدينية وتعزيز ثقافة التسامح والوسطية:

تلعب المناهج المدرسية وخاصة مناهج التربية الدينية الفلسطينية الإسلامية والمسيحية دورا بارزا في تعزيز الفكر الوسطي وفي الحماية من التطرف والإرهاب من خلال التركيز في تكوين المنهج الدراسي للطالب على المعاني الدينية التي تقيه في هذه السن من الوقوع في الانحرافات الفكرية، كالتركيز على سماحة الأديان ويسرها، ومحاربتها للتشدد في غير محله، وتوضيح آليات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد أثبتت نتائج بعض الدراسات([18]) كدراسة "الحربي" أن المناهج الشرعية بالمرحلة الثانوية تعزز الأمن الفكري لدى الطلاب بدرجة كبيرة. وقد أظهرت نتائج الدراسة ورود جميع القيم المقترحة في محتوى مناهج التعليم عينة الدراسة بصورة تكاملية، وبنسب متفاوتة. فهناك قيم حصلت على تكرارات عالية مثل:

[18] الحربي، جبير بن سليمان: **دور منهج العلوم الشرعية في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب الصف الثالث الثانوي.** أطروحة دكتوراه منشورة، قسم المناهج وطرق التدريس، كلية التربية، جامعة أم القرى.

قيم السلام، ومحددات التفكير، والمواطنة الصالحة، والعمل، والعدل، وحقوق الإنسان، وأدب الدعوة، وأدب الحوار.

والبديل عن الوسطية هو سيادة ثقافة العنف والتعصب والتطرف بكل صوره وأشكاله، وأخطر أنواع التطرف هو التطرف الديني، ومثل هذا التطرف ينشأ عن عوامل متعددة منها: الجهل بالدين، وسوء فهم النصوص الدينية، واتباع المتشابه من النصوص.

أساليب إدماج قيم العدل والسلام في مناهج التربية والتعليم

يمكن تعريف مفهوم السلام بوصفه غياب النزاع والعنف، والإيمان بضرورة المساهمة في بناء مجتمع يتميز بالتناغم والأمن والتفاهم والتعايش. غير أن تحقيق السلام وضمان استمراره يحتاج إلى رصيد من القيم والمعارف التي تُكوّن الأساس الذي يرتكز عليه أي عمل يهدف إلى إقامة السلام والحرص على استمراره. فكلنا نريد السلام ونفضل العيش في أمن وطمأنينة، لكن قلما نفكر في العوامل التي تعزز حياة يعمها العدل والسلام. فهل يمكن أن نحقق السلام في العالم دون أن يتدبر كل فرد منا كيفية تحقيقه عملياً في حياتنا اليومية؟

ويجمع الباحثون على أهمية الكتب المدرسية ودورها في تكوين الاتجاهات والقيم لدى الطلبة، إضافة إلى ما تكسبه لهم من خبرات علمية وأكاديمية، لذا ينصح أن تكون القيم وتنميتها أحد الأركان الأساسية لبناء الجانب المعرفي لأي منهج. ولذلك فإن المناهج الدراسية بقدر ما تتيحه من مجالات معرفية تعزز المرغوب فيه من القيم، وتمحو القيم غير المرغوبة، بقدر ما يمكن الحكم على نجاحها أو فشلها.

ومن هنا فإن دور المناهج المدرسية في تكوين معارف الطلبة واتجاهاتهم نحو القيم السوية تساعدهم على ممارستها عمليا؛ فالسلام كما هو بحاجة إلى إطار عملي يمارس فيه، هو ايضا بحاجة إلى إطار نظري معرفي يدعم وجوده واستمراره، ومن هنا يرى "الحطاب"([19]) أنه يترتب على المؤسسة التربوية، في سياق تأصيل قيم التسامح وحقوق الإنسان، أن تعلن الحرب على كل المفاهيم والقيم العرقية والتعصبية، ويمكنها من أجل ذلك أن تضع في مناهجها مقررات حول التسامح والسلام وحقوق الإنسان. وأي جهد لتعليم الديمقراطية، وحقوق الإنسان لا بد وأن ينطلق من صورة واضحة متكاملة عما يجب تعليمه وتعلمه. وكذلك

---

[19]) الحطاب، أحمد: الصفات التي يجب أن تتسم بها التربية استجابة لمتطلبات القرن الواحد والعشرين، **مكتب اليونيسكو الإقليمي**، العدد 35، يونيو، حزيران، 1989م. ص29.

الحال بالنسبة للذين يصممون برامج التعليم ويدرسونه، حيث يجب أن يتمتعوا بفهم جيد لقيم التسامح وحقوق الإنسان ومفاهيم الديمقراطية.([20])

ومن أجل بناء تربية تسامحية تعزز العدل والسلام، تكون الخطوة الأولى في تحرير التربية بمناهجها وممارساتها من مختلف أشكال التعصب والتصلب الذي تعانيه، ومن ثم تأتي الخطوة الثانية التي تتمثل في تبني مناهج تربوية جديدة قادرة على تعزيز قيم التسامح والحب, وحقوق الإنسان بين الأجيال، وأفراد المجتمع بصورة عامة، ومواجهة قضايا التمييز العنصري، واستبداد الأقوياء، واضطهاد وإبادة الأقليات.

ولا يستقيم الحديث عن التربية على قيم التسامح وحقوق الإنسان إلا في إطار مشروع تربوي متكامل، يمكنه أن يكون بمثابة الإطار المرجعي العام فيضمن وضوح الرؤية، واتساق المقاصد، وتماسك الوسائل. ولا بد للتربية المدرسية الحقة في مجال حقوق الإنسان من أن تعمل على تحقيق الأهداف التالية: ([21])

- تصفية كل أشكال التفرقة والتمييز القائمة على أساس الجنس أو اللون أو الدين.
- تأصيل قيم التسامح والسلام .
- تعزيز وعي الفرد بحقوقه وواجباته في مجتمع مدني يقوم على التلازم بين الحرية والمسؤولية.
- تشجيع حرية الرأي واحترا الآخر، والتعريف بثقافات الشعوب والدعوة الى تقاربها وتعاونها.

وخلاصة القول أن للمناهج المدرسية تأثير كبير في شخصية الطالب؛ فالمنهج يجعل المدرسة إما أداة لبناء الإنسان الحر، أو وسيلة لتحقيق إيديولوجية الأنظمة المستبدة.([22]) ولهذا لا بد أن تكون الأهداف القيمية واضحة في المناهج، ومرتبطة بالاستراتيجية التربوية؛ بحيث تتم ترجمة هذه الأهداف إلى محتوى ونشاط وخبرات متعددة لتنمية القيم وتعزيزها.([23])

---

[20]) بوشرباك، أحمد خليفة: حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في إطار مناهج التعليم في دولة قطر، **التربية الجديدة**، عدد58، 1995م. ص134.

[21]) انظر: عبد اللطيف، حسن علي: حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في مناهج التعليم الثانوي في دولة البحرين، **التربية الجديدة**، عدد58، 1995م، ص87-103، ص97.

[22]) أبو الفتوح رضوان: **منهج المدرسة الابتدائية**، دار القلم، الكويت، 1973م، ص45.

[23]) المجادي، فتوح : المواطنة والتربية البيئية، الكويت: مركز البحوث التربوية والمناهج بوزارة التربية، **مجلة التربية**، ع 31، أكتوبر 1999، ص 135

الفصل الثالث

المناهج الفلسطينية والقيم السوية

إن معرفة القيم السائدة في المجتمع تساعد على معرفة نوع الثقافة الشائعة فيه، وتساعد على تحديد وفهم الفلسفة العامة لهذا المجتمع، على أساس أن القيم انعكاس للأسلوب الذي يفكر به الناس، في إطار ثقافة معينة وفي فترة زمنية محددة.

وبما أن مناهج اللغة العربية والتربية المدنية والتربية الوطنية والتربية الدينية (الإسلامية والمسيحية) ([24]) أكثر المناهج تأثيرا في تنمية القيم وغرسها؛ فإنها ستكون موضع بحث وتحليل في هذه الدراسة من أجل معرفة ما تضمنته من قيم إنسانية سوية، ودورها في الدعوة الصريحة والواضحة الى التسامح ونبذ العنف والفرقة بين بني البشر بشكل عام وبين أبناء الشعب الفلسطيني بشكل خاص، وكذلك دورها في تغليب لغة العقل والحوار الإيجابي والبناء وتوفير جو من العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص.

ويبقى السؤال: ما دور المناهج الدراسية في التلاقي الثقافي والديني؟

وما دور المناهج والمقررات المدرسية في تعزيز ثقافة التسامح والحوار والتلاقي والتعايش بين المسيحيين والمسلمين في الأرض المقدسة؟ وخاصة أننا نتحدث عن منهاج فلسطيني جديد تم إعداده بأيدي عدد من الكفاءات الأكاديمية والعلمية والتربوية الفلسطينيين.

وبتحليل كتب التربية الإسلامية والمسيحية واللغة العربية والتربية الوطنية والتربية المدنية للصفوف (1-5) في المنهاج الفلسطيني نجد أنها نهجت منهجا معتدلا يتسم بالموضوعية والتسامح وتقبل الاختلاف واحترام المعتقدات الأخرى، ويتضح حرص هذه الكتب الكبير على اختيار العبارات والجمل الإيجابية جدا التي تتناول علاقة المسلمين والمسيحيين في فلسطين.

وقد أظهرت نتائج الدراسة ورود جميع القيم السوية في محتوى المناهج الدراسية عينة الدراسة بصورة تكاملية، وبنسب متفاوتة. فهناك قيم حصلت على تكرارات عالية مثل: قيم السلام، والتسامح، واحترام الآخر، وتقبل الاختلاف، والمواطنة الصالحة، والعدل، وحقوق الإنسان. وقد وردت هذه القيم بأشكال مختلفة، فمنها: النصوص، والأنشطة والرسوم والصور التعليمية. كما أظهرت النتائج أن محتوى مناهج التربية المدنية والتربية الإسلامية والتربية المسيحية كان أكثر المناهج الدراسية تضمناً للقيم السوية على الترتيب. بينما كان محتوى مناهج اللغة العربية والتربية الوطنية أقل المناهج المدرسية تضمنا للقيم الأخلاقية الإيجابية.

---

[24]) أعدت وزراة التربية والتعليم الفلسطينية منهاجان في التربية الدينية، أحدهما: التربية الإسلامية ويدرس للطلبة المسلمين، والآخر التربية المسيحية ويدرس للطلبة المسيحيين.

ويرى الباحث أن المناهج التعليمية تحرص على تعزيز قيم الحرية والديمقراطية ومواجهة الإرهاب الفكري والعقدي؛ بدءاً بغرس القيم الأخلاقية الايجابية، فبناء الشخصية المتزنة، وانتهاءً بتمثل القيم السوية.

وتعطي المناهج الفلسطينية أهمية بارزة لاحترام الأديان والتسامح والتعايش بين أتباعها، وبخاصة المسلمين والمسيحيين في فلسطين، وكذلك احترام الاختلاف والتعددية، انطلاقا من اعتبار أن الفلسطينيين أمام القانون والقضاء سواء لا تمييز بينهم بسبب الجنس أو اللون أو الدين أو الرأي السياسي.

ويلاحظ أن دروسا في بعض الكتب المدرسية عنونت بالتسامح كالدرس السابع عشر في كتاب التربية الوطنية للصف السادس الأساسي في الوحدة الثالثة؛ حيث حمل عنوان: "التسامح" ، وتضمن صورة لرجلي دين أحدهما مسلم والآخر مسيحي وهما يتصافحان، وقد وضع تحت الصورة السؤال الآتي: "على ماذا يدل تصافح الشيخ والراهب؟ " ما موقف الديانتين الإسلامية والمسيحية من تنظيم العلاقات بين الناس؟" ([25])

وورد في المنهاج نفسه عبارة :"الإسلام يدعو إلى التسامح والإخاء بين البشر ويمنح التكريم والحرية للإنسان مهما كانت ديانته أو جنسيته أو لونه". وعبارة: "وتدعو المسيحية إلى المحافظة على كرامة الإنسان وحريته وتنادي بالتساوي والمحبة والسلام والوئام مع البشر وذلك من قول السيد المسيح "أحسنوا إلى مبغضيكم".([26])

ومما يدل على اهتمام المناهج الدراسية في فلسطين بتعزيز التسامح تكرار هذه القيمة فيها، ومثال ذلك الجدول التالي الذي يوضح تكرار قيمة التسامح في منهاج الصفين الأول والثاني الأساسيين:

جدول رقم (1)

قيمة التسامح في المناهج المدرسية للصفين الأول والسادس الأساسيين في المنهاج الفلسطيني

الصف	تكرار القيمة	التربية الأسلامية	التربية المسيحية	التربية الوطنية	التربية المدنية	اللغة العربية	المجموع الكلي
الأول	التسامح	11	9	9	9	21	59
السادس	التسامح	31	28	44	12	36	151

ويستنتج من الجدول السابق أن المدرسة تهيئ النشء عقلياً ونفسيا للتسامح والتعايش مع الأديان الأخرى، وأن هناك توجه فلسطيني لتعزيز قيم التسامح والمساواة في المنهاج الفلسطيني.

[25] **التربية الوطنية للصف السادس الأساسي**، مجموعة من المؤلفين، الدرس السابع عشر: التسامح، السلطة الوطنية الفلسطينية، ص37

[26] المصدر نفسه ص71

وتوصل الباحث في دراسته إلى أن أكثر القيم تكرارا وتضمنا في المناهج المدرسية للصفوف (1-5) وبالتحديد في مناهج التربية الإسلامية واللغة العربية والتربية المسيحية والتربية الوطنية والتربية المدنية كما أظهرت نتائج التحليل هي القيم الدينية، حيث بلغ المتوسط الحسابي لتكرارها مقارنة مع غيرها من القيم (4.47)، أي ما يعادل (89.4) من (100). كما أظهرت النتائج أن تقديرات المبحوثين جميعهم من معلمين وأولياء أمور وطلبة تتفق على أن القيم الدينية هي أكثر القيم السائدة في سلوكيات الطلبة؛ حيث بلغ المتوسط الحسابي لتقديراتهم الكلية (87.5)، وهي تقديرات عالية جداً.

ومن الجدير ذكره أن الدين وعادات المجتمع وتقاليده وتراثه من الأسس والمنطلقات التي انبثقت منها المناهج الفلسطينية([27]) وقد ظهر ذلك في تحليل كتب العلوم الإنسانية، وخاصة كتب التربية الإسلامية واللغة العربية، وتم التأكيد على ذلك في الأهداف العامة للمنهاج الفلسطيني؛ حيث يكثر الحديث فيها عن التواصل مع الآخرين، وعن قيم الديمقراطية والتسامح والتعايش مع الآخرين. وهذه القيم الإنسانية محل اتفاق الإنسانية جمعاء، وتنسجم مع ما دعت إليه الأديان السماوية، وإن تعزيزها لدى الطلبة من الأمور الواجبة، التي تساعد على تنمية المجتمع ورقيه الحضاري، وتجعل الفرد إيجابياً في تعامله مع الآخرين.

ومن المهم الحرص على أن يتضمن الكتاب المدرسي القيم الملائمة للطلبة وللمجتمع على السواء، وكذلك القيم التي تتناسب والثورة المعرفية والتكنولوجية المعاصرة، حتى يكون بذلك أداة من أدوات التنمية والتطوير، في ظل التغيرات المعاصرة والمتتالية. ولكي يتزود التلاميذ بما يؤدي إلى محافظة المجتمع على وحدته وتماسكه، وخاصة في وقت تعرضت فيه القيم للتمزق والتفكك. والكتاب المدرسي الجيد هو الذي يساعد في تسليح التلاميذ بمجموعة من القيم الروحية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والذاتية التي تتناسب مع العصر الحالي،([28]) على أن يتم عرض القيم بصورة سهلة مبسطة وواضحة.([29])

نتائج تقييم معلمي التربية الإسلامية والمسيحية للقيم في المناهج المدرسية:

تم اختيار عينة مقصودة من معلمي التربية الإسلامية والمسيحية في فلسطين، هم مجموعة تكونت من عشرين مدرسا ومدرسة شاركوا في ورشة عمل عقدت في بيت لحم لتدريبهم على استخدام المعضلة الأخلاقية([30]) في عملية تكوين وتعزيز القيم.

---

[27]**مركز تطوير المناهج.** خطة المنهاج الفلسطيني الأول. 1998، رام الله ، ص 5

([28]أحمد، صبري **كتاب المؤتمر العلمي الثالث عشر**. مناهج التعليم والثورة المعرفية والتكنولوجية المعاصرة، 2001

[29]) ليليان موري: **تعليم الأخلاق**. ترجمة عادل العوا، بيروت: عويدات للنشر والطباعة، 2003، ص 56

[30]) المعضلة الأخلاقية: طريقة شاملة للتفكير القدرة على اتخاذ القرارات والأحكام الأخلاقية المبنية على أساس المبادئ الداخلية، والتصرف وفقا لهذه الأحكام في القضايا التي تنطوي على صراع أخلاقي.

وقد وجهت إليهم أسئلة عن مدى تقديرهم لتمثل الطلبة للقيم السوية، وأكثر هذه القيم ممارسة في حياتهم المدرسية. وكذلك تم سؤالهم عن القيم السوية التي تضمنتها المناهج المدرسية، وكيفية عرضها في هذه الكتب.

وقد أجمع المعلمون والمعلمات على أن المناهج التعليمية التي تدرس الآن في جميع المستويات الدراسية تحتوي على خليط من الافكار والتقاليد والسلوكيات الإيجابية، إلا أن معظمهم يعتقد بأن المناهج التربوية الحالية أغلبها وضع بشكل اعتباطي فيما يتعلق بالمنظومة القيمية، وأن القيم المتضمنة فيها هي نتائج اجتهادات مؤلفي هذه الكتب دون وجود نظام قيمي متناسق يشملها، ودون منظومة فلسفية للقيم، فضلا عن عدم وجود معايير وبيانات واضحة بشأن دور وتأثير المعلم على سلوك الطلاب خاصة فيما يتعلق بحقوق الانسان والتسامح الديني والاعتراف بالحقوق المدنية.

وعند توجيه سؤال إلى عشرين معلما ومعلمة للتربية الإسلامية والمسيحية حول مدى قيام المناهج المدرسية بتنمية القيم السوية وتعزيز التسامح والتعايس بين أتباع الديانات، أظهر تحليل الإجابات النتائج التالية:

يرى ما نسبته (60%) من المعلمين أن المناهج تؤدي دورها في تنمية القيم السوية وترسيخها بفعالية.

يرى ما نسبته (15%) من المعلمين أن المناهج تؤدي دورها في تنمية القيم السوية وترسيخها بطريقة متوسطة.

يرى ما نسبته (17%) من المعلمين أن المناهج تؤدي دورها في تنمية القيم السوية وترسيخها بطريقة ضعيفة.

يرى ما نسبته (8%) من المعلمين أن المناهج لا تؤدي دورها في تنمية القيم السوية وترسيخها كما ينبغي.

وبناء على ما سبق ذكره يمكن القول أن المناهج الدراسية الفلسطينية تحاول أن تظهر بمظهر الاعتدال في عرضها للمفاهيم والقيم والمعارف التي تتناولها، ويظهر ذلك بشكل بارز فى اهتمامها بقيم التسامح والحوار والتفاهم والتواصل مع الآخرين، وتشجيع الانفتاح على الثقافات الأخرى، والاستفادة منها، وعدم الوقوف منها موقفاً سلبياً. ويتضح هذا في كثير من عناوين الدروس المتضمنة في كتب التربية المدنية والتربية الوطنية، مثل: احترام الآخر، أستمع إلى الآخرين،

أعترف باختلاف الثقافات، الديمقراطية، الحوار والتفاهم، وغيرها، بل وبعضها كان عناوين وحدات دراسية.([31])

الفصل الرابع

المقترحات والتوصيات

إن اعتماد مناهج جديدة تتضمن قيما إنسانية وخلقية بشكل مدروس ومخطط له، واضحة الأهداف والمضمون، ومنفتحة على قيم العصر والتفاعل مع معطيات الزمان والمكان، هو أمر ضروري لضمان واقع حياة يعتمد الاعتدال والتفاعل مع قيم العصر، والتشبع بروح الحوار والتسامح وقبول الاختلاف والتمكن من التواصل بمختلف أشكاله وأساليبه، وتنمية القدرة على المشاركة الايجابية في الشأن المحلي والوطني والدولي.

وبالرغم من الصورة الإيجابية المشجعة التي ظهرت من استقراء النصوص المتضمنة في كتب المناهج الفلسطينية فيما يتعلق بتوفر القيم السوية، إلا أنه يبقى أن نركز الجهود أيضا على جميع مدخلات العملية التعليمية من معلمين وطرق تدريس وبيئات تعليمية مناسبة ومتابعات إدارية وإشرافية لنصل إلى ما نطمح إليه من إثبات قدرة التربية والتعليم في فلسطين على تعزيز الاندماج والتفاهم مع الآخر بعيدا عن التحيزات والتعصبات.

وبناء على نتائج الدراسة فإن الباحث يوصي القائمين على المناهج المدرسية بعدد من التوصيات والمقترحات، التي يعتقد انها تساهم في تعزيز التربية القيمية السوية والتسامح من خلال المناهج المدرسية، منها:

1. مراجعة محتوى المناهج الدراسية بشكل عام وتدعيمها بالقيم التي تعزز الأمن الفكري، والقيم الأخلاقية الإيجابية في التعامل مع الآخرين.
2. ضرورة بناء استراتيجية وطنية لتحصين الطلاب في مراحل التعليم المختلفة؛ لمواجهة التعصب والإرهاب بأشكاله المختلفة، واعتبار الإخوة الإنسانية مبدأ ساميا نسعى إلى تحقيقه، ونبذ كل ما من شأنه تكفير الآخر والتقليل من قيمته.

([31]) اتضح من تحليل كتب العلوم الإنسانية للمرحلة الأساسية أن هذه الكتب ابتعدت في عرض المحتوى بما يشمل من نصوص أو أنشطة أو تقويم أو غيره عن الصيغ الأمرية، مثل: أجب، قم، افعل، وهكذا، واستخدمت عوضاً عنها صيغ المضارعة، مثل: أحترم، أعترف، أجيب، وهكذا.

3. إعداد المتعلم إعدادا خلقيا منسجما مع الإنسانية في مجتمعه ووطنه، وتربيته على النقد والنقاش وتقبل الآخر، وحل المشكلات مع نظرائه بروح المسامحة والعدالة والمساواة، وتعزيز وعيه لإنسانيته وقرابته مع أخيه الإنسان بمعزل عن فوارق الجنس واللون والدين واللغة والثقافة؛ وذلك من خلال ترجمة هذه المرتكزات في مضامين الكتب المدرسية، بما يراعي المرحلة العمرية للمتعلم ودرجة الوعي التي يتمتع بها .
4. ترسيخ القيم الإنسانية والأخلاقية واحترام قيم الحياة اليومية والعمل على تطبيقها والاعتراف بوجود الآخرين في المجتمع، ووعي المتعلم لحقوقهم، مقابل وعيه لحدود حقوقه، واحترام حريات الآخرين وملكيا تهم.
5. احترام نظام المجتمع المدرسي وقيم المجتمع المدني واكتساب مهارة التواصل مع أفراد المجتمع.
6. تأكيد دور الدين في إكساب القيم الإيجابية المتمثلة في التسامح واحترام الآخرين ونبذه للعنف والتعصب والآهاب والإقصاء، وتزويد الدارسين بتعليم ديني تنويري من أجل تحديث المجتمع وإكساب الأجيال المقدرة على التفكير المستقل ومتابعة مستجدات الفكر البشري، والتأكيد على احترام كافة الأديان والمذاهب وتنمية روح التعاون بين الجميع.
7. تحويل القيم إلى واقع ممارس من قبل المعلم والهيئة الإدارية؛ فالمنهج وحده لا يكفي لإكساب القيم مهما كان ا واضحاً ويسعى إلى غرس القيم لدى الطلبة إلا أنه لا بد من إنسان يحمل هذا المنهج، وعليه فإن المعلم يظل هو العامل الحاسم والقادر على إكساب القيم وإخراجها من الفكر المجرد إلى مرحلة الواقع الملموس.(32)
8. التأكيد على دور المناهج المدرسية في تعريف المتعلم بحقوقه وواجباته ومسؤولياته كمواطن وتثبيت التزامه بها وتدريبه على ممارستها بما يكرس العدالة والمساواة واحترام حقوق الآخرين والالتزام بالقوانين والأنظمة العامة والعمل على تطبيقها والمساهمة بتطويرها وتغييرها بالطرق الديمقراطية .
9. ترقية الحس الإنساني والالتزام الخلقي لدى المعلم والمتعلم من خلال تعزيز إيمانه بالمساواة وعدم التمييز بين البشر وتدريبه على ممارسة سلوك يومي يرتكز إلى قيم الصدق والتهذيب والجراءة في التعبير عن الذات ديمقراطيا، والانفتاح على الغير واحترامهم، واعتماد الحوار سبيلا إلى حل النزاعات، وتعزيز التفاهم والتعاون بين الأمم وتوطيد السلام بين الشعوب.

([32]) الجمل، علي أحمد: **القيم ومناهج التاريخ الإسلامي**، دراسة تربوية، القاهرة: عالم الكتب للنشر والتوزيع، ص ص 45-44

10. تعريف المتعلم إلى أهمية وسائل الاعلام والاتصال كسلطة مشاركة في تحسين الحياة العامة وسبيلا إلى تعزيز التفاهم والتعاون بين الأمم والى توطيد السلام بين الشعوب، ومقاومة الاعتداء على الشعوب والهيمنة عليها واستغلالها، وانتهاك حقوق الإنسان والحلول بينه وبين ممارسة حرياته وانتشار الأوبئة والآفات الأخلاقية والبيئية.

11. تحديد المفاهيم القيمية التي يستهدف إكسابها في المدرسة، وتعيين الأدوات والأساليب التي ستستخدم لمساعدة التلاميذ على فهم هذه القيم، وكيفية التعامل معها.(33) وهذه المفاهيم القيمية هي التي تشكل محتوى الكتب المدرسية، فبدونها تصبح المعارف والمهارات المكتسبة من خلال العملية التعليمية قليلة الفائدة، فالمنهج السليم لا يتمثل بالدروس التي يحفظها التلاميذ، أو المقررات الدراسية التي يجتازونها فحسب، ولكن بما يقدمه هذا المنهج للتلاميذ من قيم ومثل حياتية، تضمنتها المواد الدراسية؛ إذ المغزى الحقيقي لعملية التربية هو تحصيل هذه القيم الموجهة للحياة.(34)

وأخيرا نؤكد بأن آباءنا وأجدادنا من المسلمين والمسيحيين رسموا حقيقة تاريخية واقعية من العيش المشترك القائم على الاحترام المتبادل، واللحمة الوطنية والعيش المشترك في مواجهة العدو الواحد.

ونحن نؤكد على العلاقات الإسلامية المسيحية المميزة في فلسطين القائمة على الاحترام المتبادل والحرص على مصالح الوطن، فالمسلون والمسيحيون شعب واحد ومصيرهم ذات المصير وذات الهم، ونؤكد كذلك على أهمية وضرورة استمرار الحوار والتواصل الإيجابي بين كل المجموعات البشرية (الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية، والإثنية...) من أجل التوصل لأفضل العلاقات فيما بينها وتكريس قيم العيش المشترك والتآخي بين كل الشعوب والأمم وصولا إلى حياة أفضل.

المراجع والمصادر

أولا: المراجع باللغة العربية:

1. أبو الفتوح رضوان: **منهج المدرسة الابتدائية**، دار القلم، الكويت، 1973م.

(33) بوشامب، جورج: **نظرية المنهج**. ترجمة ممدوح سليمان وآخرون، نيقوسية: الدار العربية للنشر والتوزيع ،1987، ص 95

(34) فيليب فينكس: **التربية والصالح العام**. ترجمة محمد لبيب النجيحي، دار النهضة العربية: القاهرة، 1982 ، ص 106

2. أحمد، صبري باسط: القيم المتضمنة في كتب علوم المرحلة الإعدادية في ضوء الثورة المعرفية والتكنولوجية المعاصرة، دراسة تحليلية. **كتاب المؤتمر العلمي الثالث عشر**. مناهج التعليم والثورة المعرفية والتكنولوجية المعاصرة، 24-25 يوليو، 2001، م 1

3. بوشامب، جورج: **نظرية المنهج**. ترجمة ممدوح سليمان وآخرون، نيقوسية: الدار العربية للنشر والتوزيع، 1987.

4. بوشرباك، أحمد خليفة: حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في إطار مناهج التعليم في دولة قطر، **التربية الجديدة**، عدد58، 1995م.

5. **التربية الوطنية للصف السادس الأساسي**، مجموعة من المؤلفين، الدرس السابع عشر: التسامح، السلطة الوطنية الفلسطينية.

6. ثابت، زياد محمد مصطفى: **برنامج مقترح لتنمية القيم المرتبطة بحقوق الإنسان لدى طلبة المرحلة الإعدادية في غزة من خلال الأنشطة الصفية**. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات التربوية، القاهرة، 2006.

7. الجمل، علي أحمد: **القيم ومناهج التاريخ الإسلامي**، دراسة تربوية، القاهرة: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

8. الحربي، جبير بن سليمان: دور منهج العلوم الشرعية في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب الصف الثالث الثانوي. قسم المناهج وطرق التدريس، كلية التربية، جامعة أم القرى.

9. الحطاب، أحمد: الصفات التي يجب أن تتسم بها التربية استجابة لمتطلبات القرن الواحد والعشرين، **مكتب اليونيسكو الإقليمي**، العدد 35، يونيو، حزيران، 1989م.

10. الرميحي، محمد: مجلة العربي الكويتية العدد 442 سبتمبر 1995.

11. زاهر، ضياء: **القيم في العملية التربوية**. القاهرة: مركز الكتاب للنشر، 1996.

12. الظاهري، خالد صالح: (2001) **دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب** ملخص رسالة ماجستير، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية المجلد 13 العدد 2 ربيع الأول 1422 هـ موقع

http://www.uqu.edu.sa/majala/humanities/voll13/mo8htm

13. عبد السلام، سامية عبد الرحمن: **القيم الأخلاقية**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1992 .

14. عبد اللطيف، حسن علي: حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في مناهج التعليم الثانوي في دولة البحرين، **التربية الجديدة**، عدد58، 1995م.
15. فيدركو مدير عام اليونسكو، صحيفة الاتحاد الإماراتية 1997/11/4.
16. فيليب فينكس: **التربية والصالح العام**. ترجمة محمد لبيب النجيحي، دار النهضة العربية: القاهرة، 1982 ، ص 106
17. كونغ، هانس: **أخلاق عالمية أساسا لمجتمع عالمي**. في : العولمة: **الطوفان أم الإنقاذ**. فرانك جي، ولتشنر وجون بولي (محرران)، ترجمة فاضل جتكر، بيروت: المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية.
18. ليليان موري: **تعليم الأخلاق**. ترجمة عادل العوا، بيروت: عويدات للنشر والطباعة، 2003.
19. المجادي، فتوح : المواطنة والتربية البيئية، الكويت: مركز البحوث التربوية والمناهج بوزارة التربية، **مجلة التربية**، ع 31، أكتوبر 1999.
20. **مركز تطوير المناهج**. خطة المنهاج الفلسطيني الأول. 1998، رام الله .
21. مطاوع ، إبراهيم عصمت: **أصول التربية**. القاهرة: دار المعارف، 1979 .
22. الملحم، إسماعيل: **كيف نعتني بالطفل وأدبه**. دمشق: دار علاء الدين، 1994.
23. المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1995 المادة رقم 1 .
24. ميثاق الأمم المتحدة (المادتين: 4،28) المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1995.
25. نجم الدين،علي: **ظواهر الفوضى والعنف وإشكالية التخلف في المجتمع الفلسطيني ومجتمعات المشرق العربي**. القدس، 2005.

ثانيا: المراجع باللغة الإنجليزية:

1. Carr, David**:** Education Values and Values Education, Some Recent Work**. British Journal of Sociology of Education**. Mar. 1998, Vol 18, Issue 1, PP. 133-142

2. Kohlberg, L**.,** Moral and Religious Education and the Public School, A developmen-tal View. In: T. Sizer (Ed), **Religion and Public Education,** Boston: Houghton –Miffin, 1967, P. 183

3. Nabil Ayoub Badran, Education and Modernization in Arab Palestinian Society**.** Part II**,** 1948-1967, **Research Center, Palestine Liberation Organization**. Beirut 1979, p.11

أثر التفكك الأسري في إضعاف القيم الدينية والأخلاقية عند الأبناء

الدكتور سعد الدين العثماني ـ المغرب

تعتبر الأسرة الوحدة الأساس في المجتمع وأول بيئة يمارس فيها علاقاته الإنسانية. ومن أهم وظائفها وظيفة التنشئة الدينية والأخلاقية للأبناء. لكنها قد تعرف صعوبات ومشاكل قد يؤدي إلى تفككها، وبالتالي عجزها عن أدائها لوظيفتها تلك. وتدل الدراسات الميدانية على وجود علاقة وثيقة بين تفكك الأسرة وازدياد جنوح الأحداث وإقبالهم على تعاطي المخدرات ومقابلتهم رفاق السوء، وتعرضهم بالتالي لمختلف الانحرافات الدينية والأخلاقية. من هنا فإن الاهتمام بالأسرة لإعادة بنائها وإكسابها المناعة من التفكك والتصدع، مهمة يطلب النهوض بها من مختلف الجهات الرسمية والشعبية. وهذا يحتاج إلى وضع سياسات مندمجة للأسرة من قبل الحكومات، مع التنسيق بين مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية.كما يحتاج إلى إنشاء مراكز متخصصة في شؤون الأسرة تعنى بالدراسات الميدانية وإبداء المشورة، ووضع آليات للتدخل لحل المشكلات الأسرية والوقاية من التفكك الأسري، إضافة إلى الاهتمام الإعلامي ببرامج التوعية الأسرية ومعالجة المشاكل التي تعترضها. الأسرة مؤسسة فطرية اجتماعية، تعتبر الوحدة الأساس في المجتمع وأول محيط يصطدم به الفرد مباشرة بعد ولادته، وأول بيئة يمارس فيها علاقاته الإنسانية. وفي إطارها يحدث النمو وتفتح الشخصية واكتساب الخبرات وتعلم أصول الاجتماع. وبالتالي فإن دور التنشئة الاجتماعية للفرد ملقى على عاتقها، وأي ارتباك في نظامها أو علاقاتها، وأي خلل يصيب تماسكها يؤثر سلبا على الأبناء أولا، ثم على المجتمع ككل.

أولاً ـ مقدمات: تحديد المفاهيم الأساسية

1 ـ الأسرة: تعريفها ووظائفها

تتكون الأسرة في الأساس من زوجين: رجل وامرأة، وأطفالهما بالولادة أو بالتبني. وتشترك في سكن واحد. وأحيانا تتكون من واحد من الزوجين والأبناء في حالة الطلاق أو وفاة الزوج الآخر. وقد تختلف الأسر من حيث السعة، ومن حيث الثقافة السائدة فيها أو نوعية العلاقات بين أفرادها[1].

وتقوم الأسرة بالعديد من الوظائف الطبيعية والاجتماعية تلبي بها حاجات أفرادها. ومن أهم تلك الوظائف:

ـ حفظ النوع عن طريق الإنجاب والتناسل،

[1] ـ أحمد مبارك الكندري: علم النفس الأسري، ص 23 - 25 و 29 - 36.

- توفير الإطار الشرعي للإشباع الجنسي،
- إشباع غريزتي الأمومة والأبوة،
- الإشباع النفسي والعاطفي،
- تنشئة الأبناء تعليميا وثقافيا واجتماعيا ودينيا،
- توفير الحاجات المادية والمعيشية.

ويهمنا في هذا العرض التوقف عند وظيفة التنشئة الدينية والأخلاقية والاجتماعية. إذ يؤكد كثير من علماء النفس المعاصرون أن الأسرة هي التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية منذ سن المهد، لإدماج الطفل في الإطار الثقافي العام، حيث يتعلم القيم والمعايير الاجتماعية من الثقافة التي نشأ فيها.

2 ـ التنشئة على القيم الدينية والأخلاقية:

إن الأسرة هي التي تزود الفرد بالرصيد الأول من أساليب السلوك الاجتماعي، ثم تزوده بالموجهات التي ترشده في تصرفاته طيلة حياته. وفي الأسرة يتلقى الطفل أول درس في الصواب والخطأ، والحسن والقبيح، وما يجوز وما لا يجوز.

وهذا ما يصطلح عليه علماء النفس الاجتماعي بالتنشئة الاجتماعية socialization، وهي التي يكتسب الطفل بموجبها القيم والعادات والمعايير الاجتماعية[2].

ومن أهم ما تتكلف الأسرة به على هذا المستوى التنشئة الدينية والتنشئة الأخلاقية للأبناء.

ونقصد بالتنشئة الدينية مجموع الوسائل التربوية والممارسات السلوكية التي توجه الفرد نحو تقوية الإيمان وتزكية النفس والالتزام بالشعائر والآداب الدينية، وذلك من خلال مواعظ وتوجيهات القران الكريم والسنة النبوية. ويدخل في ذلك العمل على تقوية الوازع الديني وتعميق معنى العبادات والإكثار من الطاعات والبعد عن المعاصي وعن مواطن الزلل التي تقود إلى الجريمة والانحراف.

ونقصد بالتنشئة الأخلاقية مجموع الوسائل التربوية والممارسات السلوكية التي تهدف إلى غرس القيم والمعايير الأخلاقية والتنشئة عليها مثل الصدق والأمانة والوفاء بالوعد والعفة والشرف والكرامة وغيرها. وهذه القيم والأخلاق تظهر أساسا في تعامل الأفراد وتفاعلهم مع بعضهم البعض، وتظهر بصورة مستقرة

---

[2] ـ نفسه، ص 153 ـ 154.

تمكنا من التنبؤ بالسلوك المقبل. وبذلك يتحول الفرد من مجرد الرغبة في تحقيق اللذة والسعادة إلى التقيد بالمبادئ الخلقية والاجتماعية السائدة في مجتمعه[3].

ولأن الأفراد يعيشون أولا داخل الأسرة، فمنها يأخذون ابتداء عقيدتهم الدينية ويتعلمون المعايير الإيمانية والأخلاقية من خلال المعاشرة والتفاعل مع أفراد الأسرة، أو مع الوسط من حولهم. ومن هنا فإن العناية بالأسرة من أساسيات العناية بالنشء ومن ضروراته. والأصل في الأسرة أن تكون مستقرة، وهو ما تسعى إليه الشرائع والقوانين، وبه تكون حياة الوالدين والأبناء أفضل، مما يحتاج إلى أن تنبني علاقات أفراد الأسرة على الحب والمودة والرحمة والاحترام والتعاون والمشاركة المتبادلة في أعباء الحياة.

ووعيا بذلك تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة في جلستها العامة التي انعقدت في ديسمبر 1990 مبادئ الأمم المتحدة التوجيهية لمنع جنوح الأحداث، وهي المسماة مبادئ الرياض التوجيهية. وأكدت فيها على أن الأسرة هي "الوحدة المركزية المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية الأولية للأطفال"، وعلى أنه "ينبغي مواصلة الجهود الحكومية والمجتمعية للمحافظة على وحدة الأسرة، بما فيها الأسرة الموسعة" (الفقرة 12). وحملت الحكومات مسؤولية "وضع سياسات من شأنها أن تكفل تنشئة لأطفال في بيئة متزنة ومستقرة" (الفقرة 13). ثم أكدت على ضرورة "اتخاذ تدابير واستحداث برامج تتيح للأسرة فرص الإلمام بأدوار الأبوين وواجباتهما فيما يتعلق بتنشئة الأطفال ورعايتهم" (الفقرة 16)، واتخاذ التدابير الكفيلة بتعزيز تماسك الأسرة والانسجام بين أفرادها، وعدم تشجيع فصل الأطفال عن الأبوين، ما لم تكن هناك ظروف ضارة بصالح الطفل ومستقبله ولا تتيح أي خيار ميسور آخر" (الفقرة 17)

3 ـ مفهوم التفكك الأسري:

قد تظهر داخل الأسرة صعوبات أو مشاكل تعوق التفاهم بين أفرادها أو تمنعها من القيام بوظائفها، فنتحدث عن عدم استقرار الأسرة. وقد يصل الأمر إلى حد التأثير في وحدتها وانسجامها، فنتحدث عن تفكك الأسرة.

والتفكك لغة من فك الشيء فكاً: أي فصل بعض أجزائه عن بعض[4].

واصطلاحا تختلف تعريفات التفكك الأسري، كما تختلف التسميات التي تطلق عليه مثل الانحلال الأسري family disorganization والتصدع الأسري family broken.

---

[3] ـ سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ص 147.

[4] ـ ابن منظور: لسان العرب، مادة فكك.

والتعريف الأرجح هو أن التفكك الأسري "اضطراب التفاعل داخل الأسرة أو الانفصام الداخلي الذين يؤديان إلى عجز الأسرة عن القيام بالحد الأدنى من وظائفها، مما قد يؤدي إلى انفراط عقدها وانحلالها".
والتفكك الأسري أنواع متعددة، منها[5]:

1 ـ أن يعيش الأبوان في خصام مستمر وتشاجر واختلاف آراء مزمن، فتعم البيت الفوضى وعدم المسؤولية والتنافر.

2 ـ أن يعيش الزوجان حالة من الجمود في العلاقة وهزال الدعم العاطفي، وألا يتواصلان إلا في أضيق الحدود، ويطلق على الأسرة في هذه الحال "البناء الفارغ".

3 ـ أن ينفصل الزوجان بإرادة أحدهما أو إرادتهما معا، على شكل الطلاق أو الهجر.

4 ـ فقدان الأبوين أو أحدهما بالموت أو بالسجن أو المرض الخطير

5 ـ العجز غير المتعمد عن القيام بمهام رعاية الأسرة، في حالة إصابة أحد الزوجين بمرض مستعص أو مرض عقلي، أو في حالة فقر مدقع أو كارثة من الكوارث الطبيعية.

وجدير بالذكر أن بعض هذه الأنواع من التفكك أشد من بعض، لكن أكثرها حدة الخصام والتشاجر المستمر والمكائد المتبادلة بين أفراد الأسرة. ففي أحيان كثيرة قد يكون التفكك على المستوى الوجداني والعاطفي والعلائقي ـ ويسمى التفكك المعنوي ـ أكثر ضررا على الأبناء من التفكك المادي. ومن هنا يمكن أن نتصور أطفالا من والدين مطلقين في وضعية أحسن من أطفال في أسرة مجتمعة لكنها غير متجانسة تعيش المشاكل والصراع. وتفيد كثير من الدراسات الميدانية إمكانية تجنيب أبناء الأسر التي عانت من الطلاق تأثيراته السلبية بتوفير ضمانات تجاوز أزمة الافتراق وتجاوز معاناتها[6].

وقد شهدت المجتمعات العربية والمسلمة ـ بسبب عوامل داخلية وخارجية ـ تغيرات واضحة ذات تأثيرات على الأسرة، أدت في مجملها إلى تأثيرات سلبية على استقرارها وعلى قدرتها على أداء وظيفتها. فما هي تأثيرات التفكك الأسري على الأبناء؟

ثانيا ـ تأثير التفكك الأسري على الأبناء

تجمع الدراسات على أن للتفكك الأسري تأثيرات سلبية متعددة على المجتمع كله، كما على الزوجين والأبناء. فإذا كان الأطفال الذين ينشأون في أسرة مستقرة وسعيدة يتمتعون بصحة نفسية ووجدانية جيدة، فإن الأطفال الذين ينشأون في أسرة غير مستقرة أو مفككة تشتد معاناتهم وتتعدد مشاكلهم النفسية.

---

[5] ـ قارن ب: علم النفس الأسري، ص 203 وما بعدها.

[6] - Laurent MUCCHIELLI : La dissociation familiale favorise - t- elle la délinquance juvénile?

وهكذا أثبتت الدراسات الميدانية وجود علاقة وثيقة بين تفكك الأسرة وازدياد جنوح الأحداث.

ـ فدلت الإحصاءات في الكثير من الدول الغربية على أن نسبة تتراوح بين 60 % إلى 80 % من الأحداث الجانحين ينحدرون من أسر تعاني التفكك المادي أو المعنوي[7].

ـ وأثبتت دراسات ميدانية غربية وعربية أنه إذا كانت العلاقة بين الآباء والأبناء يسودها التسيب والتفكك، ازداد إقبال الأبناء على تعاطي المواد المخدرة[8].

ـ وانتهت أقدم دراسة في العالم العربي استغرقت خمس سنوات من 1940 إلى 1945 عن العلاقة بين تفكك الأسرة وجنوح الأحداث إلى أن نسبة الأسر المفككة من بين أسر الجانحين تصل إلى 67 بالمئة مقابل 34 بالمئة من أسر غير الجانحين[9].

ـ وأثبتت مختلف الدراسات طيلة العقود الأخيرة في العديد من الأقطار العربية أن أهم عوامل انحراف الأحداث هو الأسرة، "فكلما زاد التوتر والتصدع والنزاع الأسري، زادت عملية هروب الأحداث من المنزل والمبيت في الشارع ومقابلة رفاق السوء والتعرض المباشر لعملية الانحراف بكافة أشكاله"[10].

ويعطي الباحثون لهذه العلاقة الوثيقة بين جنوح الأحداث وبين تفكك الأسرة تفسيرات متعددة، منها[11]:

ـ أن السنوات الخمس الأولى من عمر الطفل تعتبر الأكثر أهمية في التنشئة الاجتماعية عموما، وفي التنشئة الدينية والأخلاقية على وجه الخصوص، وأن مرحلة الطفولة هذه هي حجر الزاوية في بناء شخصية الطفل وتطور نموها فيما بعد. وفي الأسرة المفككة يغيب النموذج الذي يمكن أن يحتذيه الطفل، مما يوقعه في اضطراب القيم والمفاهيم، ويتعذر بالتالي أن تتكون لديه شخصية سوية.

ـ أن حرمان الطفل من الدفء والحنان والحب والشعور بالأمان، هو حرمان له من حاجات ضرورية في هذه المرحلة من عمره، وهو ما لا يتوفر في أسرة مليئة بالصراعات أو التناقضات أو الانحرافات الأخلاقية. وإن التشبع بهذا الجو يجعل الطفل سهل الانقياد للانحراف، وبالتالي تكون الأسرة غير المستقرة مسؤولة إلى حد كبير عن ارتفاع مستوى الاضطرابات السلوكية والأخلاقية والجنوح بين الأبناء.

---

[7] ـ رمسيس بهنام، علم تفسير الإجرام، ص 206 وانظر أيضا : Jean Chazal, l’enfance délinquante, P 23

[8] ـ مصطفى سويف: المخدرات والمجتمع، ص 87 ـ 88.

[9] ـ على بن سليمان الحناكي: الواقع الاجتماعي لأسر الأحداث العائدين للانحراف، ص 31.

[10] ـ انظر ملخصا لعدد من تلك الدراسات لدى: محمد مبارك آل شافي: التفكك الأسري وانحراف الأحداث، ص 66 ـ 69.

[11] ـ الواقع الاجتماعي لأسر الأحداث، ص 45 ـ 52.

ـ أن الأسرة المفككة تكون عاجزة عن ممارسة مهمة الضبط الاجتماعي، والتي تعني التربية على الامتثال للقوانين والضوابط الاجتماعية وأنماط السلوك المتوافق عليها. فينتج عن ذلك خلل سلوكي قد يؤدي بهم إلى نوع أو أكثر من أنواع الانحراف.

ـ أن الأسرة المفككة تعطي في الغالب قدوة سيئة للأبناء، وتسهل عليهم بالتالي الانحراف الأخلاقي. ففي إحدى الدراسات التي جمعت معطيات على مستوى ثلاث دول عربية، اتضح أن أربعين بالمئة من أسر الأحداث الجانحين المعنيين ارتكب أحد أفرادها ـ الأب أو الأم أو أحد الإخوة ـ فعلا سلوكيا منحرفا، حوكم بموجبه وصدرت بحقه أحكام[12].

ثالثا ـ دور الأسرة إسلاميا في الوقاية من الانحرافات الدينية والأخلاقية

إن للأسرة مكانة مهمة في الأديان السماوية كلها، وهي تجعل من وظائفها التنشئة الدينية والأخلاقية، وتحذر من تفككها وتأخذ بالتدابير للحماية منه.

وفي الإسلام تقرر النصوص الحديثة بوضوح قابلية الطفل للتوجيه والتنشئة الدينية والخلقية. ومن هنا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟"، ثم قال أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم"[13].

والتوجيه الأولى للحديث هو أن التدين غريزة فطرية في الإنسان. فالأبوان لا يمكن أن يغيرا فطرة ولدهما، ولا يمكن أن ينزعاها منه. وإنما يقتصر فعل الأبوين على توجيه ولدهما إلى الطريقة التي يريدان أن يشبعا عند ولدهما غريزة التدين بعد أن يكبر[14]. فدور الأسرة محوري في التنشئة على العقيدة الدينية، وفي توجيه اعتقاد وسلوك الفرد.

---

[12] ـ جرائم الذكور الأحداث في الوطن العربي، ص 132.

[13] ـ أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة: صحيح الجامع الصغير، 184/5

[14] ـ والدليل على ذلك الرواية الواردة في صحيح مسلم (كتاب القدر/ باب معنى كل مولود يولد على الفطرة) عن أبي هريرة، أن رسول الله قال: "كل إنسان تلده أمه على الفطرة. وأبواه، بعد، يهودانه وينصرانه ويمجسانه. فإن كانا مسلمين فمسلم. كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان في حضنيه، إلا مريم وابنها". قال يحيى بن شرف النووي في شرحه لصحيح مسلم (208/16): "والأصح أن معناه أن كل مولود يولد متهيئا للإسلام"

ومن هنا فإن على الأسرة ـ حتى تقوم بهذا الدور الحيوي ـ مسؤولية تنشئة الطفل وتعهده. وعلى المجتمع والمحيط القريب منها مساعدتها على توفير جو مستقر هادئ، وعلاقات ود ورحمة وتماسك، والحرص على حل الخلافات بما يجنبها التصدع والتفكك. فبقدر ما تتمتع به الأسرة من استقرار وتماسك بقدر ما تتمكن من دور التنشئة لأبنائها. وتشمل هذه التنشئة أساسا المستويات التالية:

1- التنشئة على الإيمان والعبادات:

فعلى الأسرة أن تتعهد الفطرة الإيمانية لدى الطفل وتشبعها وتثبت دعائمها من خلال التربية على العبادات والقربات والتشجيع عليها، مثل الصلاة وقراءة القرآن وسائر أنواع العبادات، ومن خلال التعريف بآيات الله ونعمه حتى يستقر الإيمان في القلب ويترسخ البعد العقدي في النفس. وقد حمل القرآن الكريم الوالدين مباشرة مسؤولية ذلك فقال: "يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم نارا، وقودها الناس والحجارة" (التحريم/ 6)، وقال: "وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها" (طه/ 132)، وحملهما إياها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"، ثم قال: "والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها"[15].

وقد يكون هذا المقصد التربوي وراء تأكيد الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يكون للبيت حظ من الصلاة: "صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة"[16]. "اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورًا"[17]. يضاف إلى ذلك حث الأحاديث على إشاعة جو الذكر في البيت: "مَثَلُ البيت الذي يُذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مثل الحي والميت"[18].

ووجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تعويد الطفل على العبادات من صوم وصلاة وزكاة وغيرها، والغاية من ذلك تمرينه عليها: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سني،ن واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع"[19]، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الأطفال بنفسه، فعن

15 ـ أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي عن ابن عمر: صحيح الجامع الصغير، 4/ 183.
16 ـ أخرجه البخاري وأحمد والنسائي عن زيد بن ثابت: صحيح الجامع الصغير، 3/ 245.
17 ـ أخرجه البخاري ومسلم وأحمد عن ابن عمر: صحيح الجامع الصغير، 1/ 105.
18 ـ أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري: صحيح الجامع، 5/ 195
19 ـ لأخرجه أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عمرو: صحيح الجامع، 5/ 207.

الحسن بن علي بن أبي طالب قال: "علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر: اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت (...)"[20]. كما قص القرآن الكريم الكثير من صور التأديب والاهتمام بالولد مثل وصية لقمان لابنه.

2-إشباع احتياجات الأبناء:

تعرف الحاجة بأنها حالة من النقص والعوز والافتقار، تقترن بنوع من التوتر والضيق لا يلبث أن يزول متى أشبعت وأزيل النقص المرتبط بها. ومن الحاجات المادية الأساسية لدى الطفل الحاجة إلى الطعام والشراب والنوم، ومن الحاجات النفسية الحاجة إلى الأمن أو الحاجة إلى اللعب[21].

وحتى تنجح تنشئة الأبناء ويتحقق لهم التوافق الاجتماعي الأفضل يجب أن تفهم حاجاتهم وأن توفر سبل إشباعها.

وإذا انطلقنا من الحديث النبوي الذي يؤكد على أن كل مولود يولد على الفطرة، فإن الإيمان والتدين حاجة فطرية لدى الإنسان لا بد من إشباعها، وإلا أحس بالنقص والافتقار، وسعى إلى إشباعها بطرق منحرفة. والقصور على هذا المستوى يؤثر على سلوك الفرد طفلا، ثم مراهقا وشابا.

ومن الحاجات التي على الأسرة أيضا تلبيتها وتوجيهها التوجيه السليم، الحاجة إلى الانتماء. ونعني بالانتماء مستوياته الثلاث: الانتماء للأسرة، والانتماء للمجتمع والوطن، والانتماء للأمة.

3- غرس الأخلاق والقيم الإيجابية:

فتشير كثير من الدراسات إلى أن للوالدين الدور الأساس في التنشئة على الأخلاق وفي تكوين الاتجاهات الإيجابية لدى الطفل.

---

[20] ـ أخرجه الترمذي وقال حديث حسن، وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي.
[21] ـ أحمد عزة رابح: أصول علم النفس، ص 67. وانظر أيضا: علم النفس الأسري، ص 125 ـ 144.

ففيما يخص الأخلاق تغرس أخلاق الصدق والإخلاص والرحمة والإيثار فى نفس الطفل، عن طريق القدوة وإعطاء المثال العملي. فبالتزام الصدق في المعاملة معه، وتجنب الكذب ولو في الأمور الصغيرة أو في المزاح، يتعلم الطفل عمليا تلك الخصال، وتنطبع في شخصيته.

وفيما يخص القيم الإيجابية، على الأسرة أن تعلم الطفل قيمة العمل وبذل الجهد وشغل وقت الفراغ بالمفيد النافع. فوقت الفراغ الزائد الذي لا يملئ بطريقة صحيحة، يمكن أن يفتح المجال للرفقة غير المناسبة ولاكتساب العادات السيئة.

ومن الاتجاهات الإيجابية المطلوب تنميتها الأدب الجم والذوق السليم، فيعود الطفل على تذوق الجمال وعلى العناية بالأشياء الجميلة، ويدرب على ذلك عمليا فيكلف مثلا برعاية بعض النباتات فى البيت، ويعلم كيف يرتب حجرته وينظم أغراضه، حتى يتعود على تذوق الجمال منذ صغره.

كما يعلم الطفل الأدب في الكلام ومخاطبة الآخرين واختيار الألفاظ المهذبة، ومعاملتهم باحترام ولباقة، مع خفض الصوت، وعدم رفعه، خاصة مع من يكبرونه فى السن والمقام. قال رسول الله: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقّر كبيرنا"[22].

4- الإكرام وإحسان المعاملة

تؤكد العديد من التوجيهات الإسلامية على أهمية الإكرام والإحسان والرفق في التربية. ويتضمن ذلك مخاطبة الطفل بالكلمات الطيبة واختيار الاسم الحسن الجميل في ذلك، وعدم مناداته بالكلمات النابية والمحقرة فلها الأثر السيء على نفسيته.

ويتضمن الإكرام أيضا احترامه مثل ما يفعل مع الكبار فيبادر بالسلام ورد التحية عليه واصطحابه مجالس الكبار وإجلاسه معهم. ومن ذلك كذلك احترام رأيه وممارسة أسلوب الديمقراطية في التعامل معه، فينصت إليه ولا يقمع أو يمنع من الكلام، بل يفسح له المجال ويشجع على إبداء موقفه ولو كان مخالفا.

---

[22] ـ أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك: صحيح الجامع، 2/ 958.

رابعا ـ خلاصات

إن الاهتمام بالأسرة لإعادة بنائها حتى تتأهل للقيام بدورها، واسترداد جو المودة والرحمة، وحمايتها من التفكك والتصدع، ودراسة المشكلات التي تعاني منها، أضحى مهمة يطلب النهوض بها من مختلف الجهات الرسمية والشعبية.

وإذا كان للأسرة دور مهم في تشكيل شخصية الطفل ثم الشاب بعد ذلك، فإنه بقدر نجاحها في مهمتها التربوية، بقدر ما تنجح في حماية الأحداث من ضعف القيم الدينية والأخلاقية، مما يشكل أرضية خصبة للجنوح والانحراف.

وإن أي تفكك في الأسرة ـ سواء كان معنويا أو ماديا ـ يعرض الأطفال للوقوع في أسر الانحرافات الدينية والأخلاقية بمختلف أنواعها.

لذلك فإننا نوصي بما يلي:

1 ـ وضع سياسات مندمجة للأسرة من قبل الحكومات، والحرص على التنسيق بين مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة والمسجد والمدرسة ودور الشباب والجمعيات وغيرها) بما يضمن انسجام برامجها.

2 ـ جعل الاهتمام بالصحة النفسية للأسرة من أولويات البرامج الاجتماعية والدينية والثقافية والصحية لمختلف المجتمعات والحكومات، بهدف الوقاية من التفكك الأسري أو معالجته إن وجد ومعالجة آثاره.

3 ـ إنشاء مراكز متخصصة في شؤون الأسرة تعنى بالدراسات الميدانية وإعطاء المشورة للجهات المختصة في المجال، ووضع آليات للتدخل لحل المشكلات الأسرية والعمل على الوقاية من التفكك الأسري

4 ـ زيادة الاهتمام الإعلامي ببرامج التوعية الأسرية ومعالجة المشاكل التي تعترضها

المراجع

1 ـ المراجع العربية

ـ ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

ـ أحمد محمد مبارك الكندري: علم النفس الأسري، مكتبة الفلاح، الكويت، 1412ه/ 1992م

ـ الأمم المتحدة: المبادئ التوجيهية للأمم المتحدة لمنع جناح الأحداث: مبادئ الرياض، 1990م، اعتمدت بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم A/RES/45/112 المؤرخ في 14 ديسمبر 1990، على الرابط:

http://www.un.org/depts/dhl/dhlara/resguida/resins.htm

ـ تماضر زهري حسون، جرائم الأحداث الذكور في الوطن العربي، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، 1415 ه/ 1994م

ـ رمسيس بهنام: علم تفسير الإجرام، منشأة المعارف، 1993

ـ عبد الرحمن العيسوي: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، 1984 ـ 1985

ـ على بن سليمان بن إبراهيم الحناكي: الواقع الاجتماعي لأسر الأحداث العائدين للانحراف، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، رقم 400، الرياض 1427ه ـ 2006م.

ـ محمد مبارك آل شافي، التفكك الأسري وانحراف الأحداث (دراسة مسحية على الأحداث المنحرفين في المجتمع القطري)، رسالة للحصول على درجة الماجستير في العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية (كلية الدراسات العليا ـ العلوم الاجتماعية)، الرياض 1427ه/ 2006م.

ـ محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، ط الثالثة، 1408ه/ 1988م.

ـ مصطفى سويف: المخدرات والمجتمع: نظرة تكاملية، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، رقم 205، شعبان 1416 ه ـ يناير/كانون ثان 1996م

ـ يحيى بن شرف النووي: شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، 1349ه/ 1430م.

2 ـ المراجع الفرنسية

1) Jean Chazal, l’enfance délinquante. Puf que sais je ? 9eme édition, 1974

2) Laurent MUCCHIELLI : La dissociation familiale favorise - t- elle la délinquance juvénile? In Revue RECHERCHES ET PRÉVISIONS, Paris, N° 61 – 2000

بسم الله الرحمن الرحيم

التنشئة الدينية وأثرها في الصحة النفسية :برنامج إرشاد نفسي مقترح

الدكتورة حنان محمود طقش

خلق الإنسان من مادة وروح يحتاج كل عنصر منهما لرعاية، ويؤثر نقص إشباع جانب في الجانب الآخر. تقوم الأسرة بالدور الأول والأكثر أهمية في رعاية الوليد وتحويله إلى كائن اجتماعي بإكسابه القيم والمعتقدات والعادات التي تساعده على الاندماج في المجتمع. ومن ضمن جوانب التنشئة التي ترعاها الأسرة ما يعرف بالتنشئة الدينية وهي نقل المعرفة الدينية للطفل وهنا ينبغي على الأسرة ألا تكتفي بمجرد النقل والتلقين بل عليها أن تحرص على حسن توظيف هذه المعرفة الدينية في تحقيق باقي جوانب التنشئة خصوصا الجانب النفسي لما هو معروف عن دور التوجيه والإرشاد الديني في التعامل مع المشكلات النفسية والاجتماعية. ومع وفرة المعرفة عن طرق الرعاية الجسدية تبقى المعرفة محدودة عن كيفية تكوين شخصيات سوية حيث تركز معظم الدراسات النفسية على تشخيص وعلاج الاضطرابات على حساب بعد لا يقل أهمية وهو بعد الوقاية النفسية، وهو ما تشرح الورقة التالية إمكانية تحقيقه من خلال توظيف أركان الإيمان في الإسلام كطريقة للإنماء والوقاية النفسية التي تزود الفرد بقدرات ومهارات على التعامل مع صعوبات وتحديات الحياة، وحيث أن الأسرة ليست المؤسسة الوحيدة التي تعنى بالتنشئة الدينية يمكن تقديم أركان الإيمان كجزء من برنامج إرشاد أو كتوجيه نفسي للطلاب.

تلعب الأسرة دورا هاما في تحقيق الأطفال معايير الصحة النفسية بصفتها مؤسسة الرعاية الأولى للطفل. للأسرة دور وقائي من الاضطرابات النفسية يشمل توفير جو أسري آمن وعلاقات يسودها الود والوئام والذي يتطلب إتقان الوالدين مهارات الرعاية الوالدية والتي تتضمن استخدام مهارات التنشئة الاجتماعية الصحيحة للطفل حسب عمره وحالته الصحية والعقلية. كما أن للأسرة دورا أساسيا آخر في علاج مشكلات الأطفال ويشمل تحديد وتقييم مشكلات الطفل، بالإضافة إلى المشاركة الفعالة في برامج الإرشاد والعلاج النفسي التي تتطلبها خطط المعالجة النفسية أو السلوكية للطفل، فالصحة النفسية للطفل هي نتيجة شراكة بين المؤسسات المتعددة المتعاملة مع الطفل والمؤثرة فيه.(حمدي وآخرون،42،2004).

قدم المختصون تعريفات مختلفة للصحة النفسية ويرى عبد الغفار(2007، 25) أن مفهوم الصحة النفسية يتطور بتطور الحياة ذلك لأنه نسبي ومرتبط بالثقافة التي تحدد متطلبات الحياة وطرق الاستجابة لها، وللخروج من الاختلاف إلى المتفق عليه نعتمد تعريف منظمة الصحة العالمية (2005) للصحة النفسية بأنها

" حالة من العافية التي يحقق فيها الفرد قدراته، ويمكن أن يتغلب على الإجهادات العادية في الحياة، ويمكن أن يعمل بإنتاجية مثمرة، ويكون قادرا على المساهمة في مجتمعه " وتتحقق الصحة النفسية من خلال التعليم والتربية كما ترى منظمة الصحة العالمية التي ركزت على أهمية بعد الوقاية النفسية لتجنب المشكلات النفسية مثل الإدمان والانتحار والاكتئاب لما تكلفه للمجتمعات من أعباء مالية واجتماعية"(تقرير منظمة الصحة العالمية،14،2005-15).

يعرض اضطراب الصحة النفسية الصحة الجسدية للخطر فكما يشير حجازي(2005) أن الخوف والقلق والتوتر من مسببات بعض الأمراض العضوية والتي قد تحدث تلفا عضويا في الأجهزة الخاضعة للجهاز العصبي مثل الجهاز الهضمي والتنفسي والدورة الدموية والقلب. ويعتبر العلاج النفسي من الضروريات لمعالجة تلك الأمراض النفسية. وتظهر بعض الأمراض الجسدية بشكل أوسع مع بعض الأمزجة المعينة أكثر منها نتيجة الجراثيم والالتهابات والعدوى والسموم. (حجازي،2005 ، 49، 51، 127)

يعتبر وصول الفرد إلى مستوى مناسب من الصحة النفسية السليمة هدف التربية الأساسي بل أنها غاية المجتمع(عبد الغفار، 2008، 192). تهدف الصحة النفسية إلى بناء شخصية سوية قادرة على التعامل مع صعوبات الحياة، وتمثل الوقاية أول مراحل تحقيق هذا الهدف ويقصد بها توظيف ما لدينا من معرفة في تحصين الأفراد ضد الضغوط النفسية والإدمان والإحباطات والصراعات لنحفظهم من الاضطراب أو اكتشاف الاضطرابات مبكرا وتقديم المساعدة والتخفيف من نتائجها السلبية.(سرحان، 2009، 12)

تعتبر الوقاية النفسية أحد مناهج تحقيق الصحة النفسية وتعرفها سهير كامل(2003، 9) بأنها الطريقة التي يسلكها الفرد مع نفسه ومع الآخرين حتى يقي نفسه والآخرين من الوقوع في حالة اضطراب نفسي.

ويدمج البعض بين المنهج الإنمائي والمنهج الوقائي لاشتراكهما في السعي لمنع وقوع الاضطرابات النفسية، ويرى زهران(1980، 38) بأن الإجراءات الوقائية النفسية تتضمن رعاية النمو النفسي، ونمو المهارات الأساسية والمساندة أثناء الفترات الحرجة والتنشئة الاجتماعية السليمة.

ولا يمكن أن تنجح البرامج الوقائية دون تعاون الوالدين فهما المسؤولان عن تنشئة الطفل قبل سن المدرسة وحتى بعد دخول المدرسة يبقى للوالدين تأثير كبير إلى جانب باقي المؤسسات(زهران، 1980، 479).

ويصف زهران(1997) الشخص السوي نفسيا بأنه المحقق لمعايير الصحة النفسية ومن أمثلتها:

- القدرة على حب الآخرين والرضا عن الذات
- القدرة على تبني وتنفيذ القيم الأخلاقية والروحية
- القدرة على مواجهة متطلبات الحياة.
- قدرا مناسبا من المبادأة

- النجاح في إقامة علاقات اجتماعية فعالة مع الآخرين.

أما إبراهيم (1994، 15،16) فيرى أن أهم ما يميز المتمتع بالصحية النفسية فهي القدرة على تبني فلسفة عامة في الحياة تسمح له بأن يتصرف بكفاءة ونجاح يتناسبان مع إمكانياته، أي يكون لدى الفرد مجموعة من التصورات والقيم والاتجاهات والمعتقدات الشخصية التي تساعد على حب الحياة والناس والذات وتحقيق السعادة والحياة الاجتماعية الفعالة.

وحذرت منظمة الصحة العالمية من ارتفاع معدلات الانتحار بين الشباب والمراهقين بين سكان العالم، وأكدت على ضرورة العمل للحدّ من ظاهرة الانتحار التي تودي بحياة نحو مليون منتحر في العالم سنوياً، وتتوقع المنظمة ارتفاع معدلات الانتحار بحلول 2020 بنسبة 50%، لتصل أعداد المنتحرين إلى مليون ونصف المليون سنوياً(موقع منظمة الصحة العالمية) ولن تنحسر هذه الظاهرة سوى من خلال تنشيط برامج الوقاية النفسية.

يعتمد التغلب على الإجهاد أو التعامل معه coping على مجموعة من المهارات والسلوكيات التي يتعلمها الفرد من الأسرة والخبرة الشخصية، ويبدأ الأطفال مبكرا محاولات التوافق مع البيئة رغم اختلاف الأساليب التي يستخدمونها عبر المراحل العمرية المختلفة، ويرى ألدوين (Aldwin) أن التحدي الحقيقي في مجال التعامل لا يكمن فقط في تحديد الطرق الصحية للتعامل الفعال وحل المشكلات بل أن المهمة الأفضل والأصعب هي الوصول لتحقيق بعد الوقاية ومنع حدوث المشكلات(Aldwin 1994، 230، 271).

يفرض الحديث عن الصحة والوقاية النفسية اهتماما بأسباب الاضطرابات النفسية ويرى سرحان(2009) أنه يصعب في الاضطرابات النفسية تحديد سبب واحد لحدوثها لأن هناك تفاعلا معقدا بين عوالم بيولوجية ونفسية، بالاضافة الى الاستعداد الشخصي وكذلك الصراعات المبكرة التي تبدأ في الطفولة وتستمر إلى الرشد، والضغوط البيئية التي قد تفجر اضطرابا شديدا، ورغم تعقد الأسباب إلا أنه متفق على أن الوقاية الفاعلة في الطفولة تؤدي إلى صحة أفضل في الحياة البالغة وأن التدخلات الإنسانية تأتي بنتائج إيجابية(سرحان، 2009، 463)

تفيد برامج الوقاية النفسية في الحد من أثر الأسباب النفسية للاضطرابات والتي يلخصها زهران(1997، 115-121) بأنها الصراع، والإحباط والحرمان، وفشل حيل الدفاع النفسي، والخبرات الصادمة، والعادات غير الصحية، والإعداد غير الكافي للمراهقة والشباب والشيخوخة، والضغوط النفسية والإطار المرجعي الخاطئ ومفهوم الذات السالب.

وإن كنا لا نستطيع التحكم في ولا ضبط عوامل الوراثة والأزمات يبقى علينا التركيز على أساليب التنشئة الصحيحة وتعليم أساليب التعامل مع الأزمات لنقي الأفراد من الاضطرابات النفسية.

وتنشئة الأطفال مهمة مناط بالأسرة القيام بها وينبغي عليها الحرص أن تشمل الجوانب المادية والنفسية والاجتماعية للطفل، والتنشئة الدينية أحد أبعاد هذه المهمة وعلى الأسرة أن تدرك أهمية هذا البعد في تربيتها للنشء وتعمل على تفعيل عناصر الدين فلا تنقل لهم مجموعة من العبادات أو الطقوس تنفذ دون معنى أو روح، ساعية الأسرة في ذلك لأن تعلم أبناءها طرقا وأساليب وقناعات تساعدهم على تجنب ومقاومة أسباب الاضطرابات النفسية وعلى تحقيق معايير الصحة النفسية ذلك أن العاجز عن حل صراعاته أو تحمل احباطات الحياة وصدماتها، وغير القادر على إيجاد بدائل في مواجهتها ستكون فرص عطائه للمجتمع محدودة.

ويشير الشريفين(2010، 16) إلى وجهة نظر خليل، عماد الدين(1983) بأن علم النفس والمعرفة الإنسانية بشكل عام ليست سوى علما احتماليا ينطوي على الخطأ والصواب والحق والباطل ولن ينقذها من هذا المصير سوى جعلها تصدر عن مصدر يقيني، والتأصيل الإسلامي لعلم النفس يجعل هذا العلم يصدر عن مصدر يقيني ويقدم علما يقينا وليس احتماليا.

يوجه المرشدون اهتماما كبيرا إلى دور الوقاية الدينية من الاضطراب النفسي أو ما يطلق عليه التحصين النفسي الديني و ويخلص زهران(1998) إلى أن الدين وسيلة لتحقيق الإيمان والأمان والسلام النفسي وهو هبة من الله لخير الإنسان يعينه على الحياة السوية. الإرشاد النفسي الديني يحقق الهدف المطلوب وهو النفس المطمئنة التي توافق بين النفس الأمارة بالسوء وبين النفس اللوامة وتنمية البصيرة(زهران، 1998 ، 363)

توصل شاتير(Chatters, 2000) بعد دراسته لدور القناعات الدينية كعامل وقاية بأن المؤسسات الدينية تقدم عادة تقييم إيجابي للنفس البشرية والذات، ووسيلة لتشكيل سلوكيات وقائية تقلل من المخاطر الصحية، ويضيف بأن حضور الاجتماعات الدينية والقناعة الدينية والعبادات تؤدي إلى تغيير إدراك تحديات الحياة، وإلى تقوية التوافق النفسي والشعور بالرضا.

ويضيف ماينراد وأخرون(Maynard et al. 2001) بأن مفهوم الله المكون من خلال التعليم والتدريب والخبرات الشخصية مؤثر في اختيار واستخدام الأفراد لاستراتجيات التعامل.

ويؤكد بارجمنت واخرون(Pargament et al. 1998) أن استخدام أستراتيجات التعامل الديني الإيجابية مثل طلب المساندة الروحية، والتسامح، والصلاة ارتبطت بتراجع الشكاوي السيكوسوماتية وزيادة النمو النفسي والروحي.

ويعتبر العلاج بالصلاة والدعاء مفيدا في تقليل التوتر عند يقينك بوجود قوة قادرة على تحقيق الشفاء(حجازي،2005 ، 127)

ومن الاضطرابات النفسية المنتشرة والمؤثرة على المجتمعات في الوقت الحالي القلق والاكتئاب وهما من الأمراض التي أظهرت الدراسات الأثر الإيجابي للدين والتدين في التعامل معها، ويورد حامد زهران(1999) عرضا لمراحل النمو الديني وتطبيقات مناسبة لتحقيق نمو سليم.

التربية الإسلامية هي تصرفات عملية أو قولية المستضيئة بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والاجتهاد في ضوئهما لتحقيق الغايات التي حددها الإسلام لنمو وسعادة المسلم وغيره في الحياة الدنيا والآخرة.(حجازي، 2008، 24)

التنشئة الاجتماعية في الإسلام نظام متكامل شمل جميع جوانب الفرد الإيمانية والجمسية والاجتماعية والعقلية والنفسية والأخلاقية بصورة متوازنة بحيث لا يطغى جانب على آخر لتحقيق سعادة الإنسان.(علي، 2009، 152،156).

ويوضح جراجرة (1988) أسبقية الإسلام على العلوم المعاصرة في الاهتمام بالطفل وتفهم سكيولوجيته قبل علماء العصور الحديثة وضرورة رعايته نفسيا وجسديا ومراعاة خصوصية مراحل نموه.

يضم الدين الإسلامي مصادر هامة للتنشئة الاجتماعية تهدف إلى تعديل الاتجاهات وغرس القيم الفاضلة ومما لا شك فيه أن لهذه القيم أثرا كبيرا في حياة الفرد لأنها تنظم حياته وتمده بمجموعة من المعايير توجه سلوكه الشخصي والاجتماعي كما أنها تزوده بطاقات وجدانية تساعده على تقبل صعوبات الحياة والخروج من أزماتها.(علي،2009 ، 198).

الأساليب التي تتجه إلى تعديل قيمنا وأساليبنا الفكرية والمعرفية الخاطئة تفيد أكبر فائدة في الاضطرابات التي تكون الأعراض فيها متجهة نحو الذات مثل الاكتئاب، ويمكن بذل المزيد من الجهد لتعليم الوالدين أساليب مناسبة للتنشئة وخلق مناخ وقائي يؤدي إلى التخفف من الضغوط المرتبطة بجو العمل عن طريق الإرشاد والتوجيه ونشر الثقافة.(ابراهيم، 1994، 103، 104).

تساعد الوقاية في التعامل مع مشكلات عدم الشعور بالأمن التي تشمل الخوف والقلق ونقص الثقة بالنفس والاكتئاب والحساسية الزائدة للنقد والخجل، تساعد المواجهة المبكرة والتربية في جعل الأطفال يألفون المواقف التي قد تتحول إلى مخيفة، وهناك أدلة أن بإمكان الأهل مع قليل من التوجيه من المختصين حل العديد من مشكلات أبنائهم السلوكية بنجاح(حمدي& داوود2008، 17، 116)

ومن بين المعرفة المتوفرة وغير المفعلة في أساليب التنشئة البرنامج المشروح في القرآن الكريم في سورة لقمان والذي يشمل النواحي المعرفية والسلوكية ضمن أبعاد محددة هي توحيد الله تعالى، وبر الوالدين، وأهمية العبادة، والإيجابية، وفهم حقيقة الدنيا، والذوق والأدب، والتخطيط للحياة.

يعتمد الدين الإسلامي على مجموعة من الثوابت منها أركان الإيمان وهي الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ونجد في رحاب كل منها تربية نفسية إن أحسن شرح هدفها والتدريب عليها، ويؤدي الالتزام بها إلى تشكيل فلسفة عامة تقينا الاضطرابات النفسية. وتطبيق هذه القناعات يزيد الصلابة النفسية كما تؤكد النظرية المعرفية التي تقوم على أساس أن السلوك تابع للأفكار حيث تؤثر أفكارنا تجاه الأحداث على مشاعرنا العالم الخارجي وتغير سلوكنا(Ellis,2001) .

يساعد البرنامج المقترح في تدبر أركان الإيمان في الوقاية من بعض أسباب الاضطرابات النفسية مثل الصراع وهو تعرض الفرد لقوى متساوية تدفعه في وجهات متعددة بحيث يصبح عاجزا عن اختيار وجهة معينة ويشعر الفرد في مثل هذا الموقف بالضيق والتوتر لعجزه عن الاختيار(عبدالغفار، ،90، 99، 74) والإحباط الذي هو حالة انفعالية تشمل التوتر والقلق تنتج عن مواجهة الفرد عائقا أو عقبة تحول بينه وبين إشباع دافع أو أكثر، والقلق والذي هو خبرة انفعالية غير سارة يعاني منها الفرد عندما يشعر بخوف أو تهديد من شيء دون أن يستطيع تحديده تحديدا واضحا.

وفي حين تؤيد البحوث نجاح وأثر النظرية المعرفية في التخلص من الاضطرابات النفسية يسبق القرآن المعرفة البشرية بإعلائه قيمة العقل وتمييز أهله عن غيرهم حين قصر سبحانه وتعالى الانتفاع بالذكر والموعظة على أصحاب العقول، فقال عز وجل: {وما يذكر إلا أولوا الألباب } [البقرة: 269]. وقال عز وجل: {لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب } [يوسف: 111] وغيرها من الآيات.

أركان الإيمان كما ورد ذكرها في القرآن الكريم هي:

- ما ورد في سورة النساء الآية 136 " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا"
- ما ورد في سورة البقرة الأية 283" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"
- ما ورد في سورة البقرة الآية 177" لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ".

- وقوله عليه الصلاة والسلام حين سئل ما الإيمان" **أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره** .

وفيما يلي شرح وتوظيف لكل ركن من أركان الإيمان:

الإيمان بالله:

للإنسان حاجة أساسية للانتماء والشعور بالأمن والطمأنينة ويمثل الإيمان وسيلة لإشباعها ولذلك نرى تعدد القناعات الدينية وثبات وجودها وتأثيرها في الناس.

وصيغة الإيمان بالله في الإسلام هي أشهد أن لا إله إلا الله فهو إيمان بوحدانية الله المطلقة. يؤكد هذا الإيمان أن الإنسان ليس عبدا لكائن مادي ولا يوجد شركاء ولا شفعاء ولا وسطاء بين العبد وخالقه وهو أمر يبعث راحة في النفس ويحررها من عبء القلق. الإيمان بالله يقوي في النفس مراقبته وتتولد لديه الإرداة الذاتية في السيطرة على النفس ونزعات الهوى فينصلح الفرد من داخله ويقيم لأموره ميزانا من عقديته وضميره فلا يضل ولا ينحرف ولا يشقى لاعتقاده الجازم بأن عين الله ترقبه وتراه .

والصغار قابلون للتلقين لذا يجب البدء بتلقينهم وحدانية الله والشهادة ثم التوصل معهم لتأكيد هذا الإيمان بالعقل من خلال تدبر أنواع الخلق التي يراها الطفل كالزهرة والسماء والأرض وغيرها من المخلوقات ليستنتج ذهنيا ويستدل عقليا على الخالق الله سبحانه (علوان،1994 ، 647 ، 642)

اهتم الإسلام بالتربية الوجدانية والانفعالية للفرد ودعاه للتخلص من التعلق بغير الله خالق كل شيء أو الخضوع لغيره بجعله المعبود واحد لا إله إلا هو، كما اهتم الإسلام بإشباع الحاجة للأمان" ألا بذكر الله تطمئن القلوب" سورة الرعد آية 28 والحاجة للانتماء والولاء بقوله تعالى" الله ولي الذين أمنوا" سورة البقرة آية 257 وقوله تعالى" والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض" سورة التوبة آية 71(الفندي،143،2003).

تتفق الدراسات على حاجة الأطفال لتكوين علاقة ارتباط وثيقة بمصدر رعاية ثابت فإن نجحت تشكل لديهم الارتباط الآمن الذي يمهد لتكوين شخصية سوية بعيدة عن القلق والخوف والعدوان بينما يؤدي غياب هذا

الارتباط الآمن إلى الاضطرابات، وليس من بديل أفضل لإشباع هذه الحاجة من التعلق بالله والاعتماد على وجوده الدائم.

أما **الإيمان بالملائكة** فهو يضفي علينا شعورا بالأمان كما في سورة الأنعام الآية 16 "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ " فأنت لست وحدك بل خاضع لقدرة الله عليك وهناك من يرعاك بأمر الله.

والتدريب على الإيمان بالغيبيات يعين الإنسان في تقبل حدود قدراته فهو من البداية أقر بتواضع أدوات معرفته واقتصار تحصيلها على النواحي المادية وقبوله واعترافه بوجود حالات لا يستطيع التعامل معها كباقي الأمور المادية يعلمه خلق التواضع ويتجنب بذلك الوقوع في براثن الاحباط كلما واجه طريقا مسدودا لا يستطيع النفاذ خلاله كما اعتاد في باقي حالاته ومجريات حياته.

واستباق المعرفة بحدود القدرة يعدنا لقبولها وقد دربنا رب العالمين على هذا من خلال فرض ضرورة الإيمان بوجود خلق لا ندركه وهم الملائكة وصفهم لنا كمخلوقات نورانية واكتفى بذكر بعض صفاتهم بأنهم أولو أجنحة، ولا يعصون الله، ولهم وظائف منها حمل العرش، ورسل النصر حفظة النفوس والكتبة والموكلون بقبض الأوراح ومنهم الموكلون بأمر الجنة والنار وعاد فأكد في كتابه الكريم في الآية 85 من سورة الإسراء" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا".

الإيمان بالرسل والكتب:

يخدم <u>هدفين نفسيين</u> الأول هو التحقق من رعاية الله للبشر منذ خلقهم وإن تعددت الرسل والكتب، أما الأمر الثاني فهو تعلم احترام الآخرين في الحياة ليتحقق الانسجام في المجتمعات وتتيسر قنوات الاتصال والدعوة إلى إتباع كلمة الله النهائية للبشر الموجودة في القرآن الكريم.

من عناصر التنشئة الدينية الهامة تعليم الصغار احترام معتقدات وقناعات الآخرين كما في الآية الكريمة 46 من سورة العنكبوت " وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"

يوضح الإسلام حقوق غير المسلمين في المجتمع بأنها الوفاء له بالعهود واحترام ديانته وحسن معاملته ومعاشرته كما ورد في سورة الممتحنة آية 8" لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"

يضفي الإيمان بوجود الله وملائكته ورسله شعور بالآمان على الإنسان ويمثل إشباع حقيقي لحاجته للارتباط بمن يقدم له الرعاية والحماية فإن كان البشر يذهبون ويسيئون فإن الله رحمن رحيم كررها في كل سورة من سور القرآن الكريم، ومن أسمائه الحي القيوم.

ولإضفاء بعد واقعي للاتصال بالله بعث الله لنا الرسل من البشر ليسهل علينا التواصل معهم والاقتداء بهم ففي سورة الأنعام آية 8 و 9 يقول تعالى" وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ" (8

أما **الإيمان باليوم الآخر** فهو يساعدنا في التعامل مع ما يواجهنا من ظلم وقصور وعجز في الوصول لأحلامنا ورغباتنا بأنها لن تنسى ولن تضيع الحقوق بل هناك يوما للحساب فلا تبتئس.

أما **الإيمان بالقدر خيره وشره** فهو يساعدنا في مواجهة الإحباط وتجاوزه دون الوقوع في فخ تدني مفهوم الذات أو الاكتئاب أو لوم الذات فما يجري علينا في حياتنا هو جزء من أقدارنا ولأننا لا نعرف ما هو مقدر ينبغي علينا بذل كل طاقتنا والسعي ما استطعنا ولكن إن لم تتحقق مطالبنا فليس لأننا لم نحاول أو لم نكن ايجابين ولكن لان ما نريد لم يكن قدرنا.

تؤكد الدراسات أثر التوقعات المستقبلية في أساليب تعامل الأفراد مع هذه الصعوبات عند ظهورها كما تؤثر على نجاح التعامل معها انفعاليا واجتماعيا.(carver& Scheier، 1999، 200) وهذا ما يضمنه بعد الإيمان بالقدر خيره وشره فهو يعد الإنسان نفسيا وانفعاليا لتوقع الصعوبات والاستعداد والتخطيط لكيفية التعامل معها.

وهكذا نرى أن أركان الإيمان هي أسس لتربية نفسية قوية سهلة وبسيطة في ذات الوقت وتقدم وقاية من الاضطرابات.

يمكن تطبيق هذا النموذج من التعليم من قبل الوالدين أو المدرسين والمرشدين النفسيين، ويعتبر التعليم بالنموذج من أفضل الأساليب، وفي التربية الدينية والخلقية لنا نموذج نقتدي به وهو المربي الأول الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وورد في سورة الأحزاب الآية 21" لقد كان لكم في رسول الله قدوة حسنة" وبالنسبة للطفل يمثل الوالدان أول نموذج يدركه. ويشير علوان(1994) إلى أن التراث الإسلامي يقدم نماذج للتربية بالقدوة والتربية بالموعظة والتربية بالعادة والتربية بالملاحظة، ويقدم العديد من أمثلة القرآن والسنة النبوية في تطبيق هذه الأساليب التربية(علوان، 1994، 606-690).

ويمكن أن تتناول واجبات القراءة في البرنامج الاطلاع على معاني أسماء الله الحسنى حيث تثبت العقيدة ويحسن التوكل عليه.

المراجع:

- القرآن الكريم.

1 - ابراهيم، عبد الستار(1994). العلاج النفسي السلوكي المعرفي الحديث: أساليبه وميادين تطبيقه. القاهرة: دار الفجر.
2 - الجراجرة، عيسى(1988). ريادة الإسلام في تفهم خصوصية عالم الأطفال وفي تقرير وتطبيق حقوقهم الخاصة في الرعاية والتربية. عمان: دار ابن الرشد.
3 - حجازي، أحمد. (2009). المناعة النفسية العصبية: طب العقل والجسم. عمان: دار جليس الزمان.
4 - حجازي، عبد الرحمن(2008). التربية الإسلامية بين الأصالة والحداثة. بيروت: المكتبة العصرية.
5 - حمدي، نزيه، داود، نسيمة(2008). مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها. عمان: دار الفكر.
6 - زهران، حامد(1997). الصحة النفسية والعلاج النفسي. ط 3. القاهرة: عالم الكتب.
7 - زهران، حامد(1998). التوجيه والإرشاد النفسي. ط 3. القاهرة: عالم الكتب.
8 - سرحان، وليد(2009). الصحة النفسية. عمان: منشورات جامعة القدس المفتوحة.
9 - الشريفين، عماد(2010). نحو بناء نظرية إسلامية في النمو الإنساني. عمان: عماد الدين للنشر والتوزيع.
10 - صحيح مسلم http://www.al-eman.com/hadeeth/viewchp.asp?BID=1&CID=4&SW
11 - عبد الغفار، عبد السلام(2007).مقدمة في الصحة النفسية. عمان: دار الفكر.
12 - علوان، عبد الله(1994). تربية الأولاد في الإسلام: ج 1، 2. ط 24، القاهرة: دار السلام.
13 - علي، منذر إبراهيم(2009).دراسات في ماهية التنشئة الاجتماعية. عمان: دار الفكر.
14 - الفندي، عبد السلام(2003). تربية الطفل في الإسلام: أطوارها، وأثارها، وثمارها. عمان: دار الرازي.
15 - كامل، سهير(2003). التوجيه والإرشاد النفسي للصغار. الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.

16 -الكسواني، عبد الله.(2008). الموجز في شرح أركان الإسلام والإيمان. عمان: ورثة المؤلف.
17 -زهران حامد(1999). علم النفس النمو الطفولة والمراهقة. ط 5، القاهرة: عالم الكتب.
18 -منظمة الصحة العالمية(2005). تعزيز الصحة النفسية، تقرير منظمة الصحة النفسية وتعاطي العقاقير والمواد بالتعاون مع جامعة ملبورن ومؤسسة فكتوريا لتعزيز الصحة. المكتب الإقليمي لشرق المتوسط: القاهرة.

19- Aldwin، Carolyn M. (1994). Stress،Coping and Development: An Integrative Perspective. New York، The Guilford Press.

20- Carver، Charles،Scheier،Michael.(1999). Optimism in Coping the psychology of what works. Snyder،C., R. editor. Oxford: Oxford University press.

21- Chatters, L. M. (2000). Religion and health: Public Health research and practice. Annual Review of Public Health, 21, 335–367.

22- Ellis، Albert(2001). Overcoming Destructive Beliefs، Feelings، and Behaviours. New York: Prometheus Books.

23- Maynard, E. A., Gorsuch, R. L., & Bjorck, J. P. (2001). Religious coping style, concept of God, and personal religious variables in threat, loss, and challenge situations. Journal for the Scientific Study of Religion,40, 65–74.

24- Pargament, K. I., Smith, B. W., Koenig, H. G., & Perez, L. (1998). Patterns of positive and negative religious coping with major life stressors. Journal for the Scientific Study of Religion, 37, 71–724.

أثر التفكك الأسري في اضعاف القيم الدينية والأخلاقية عند الأبناء

د. سرور قاروني

منذ بدأ التاريخ الإنساني، كان للأسرة دور محوري في حياة الأبناء، فكانت هي مصدر الحماية الوحيد لهم والمصدر الأهم للمعلومات والجهة الأولى لشعور الأبناء بالثقة والاعتزاز والقيمة وتشكيل الهوية وبنائها بل وتكاد أن تكون الوحيدة. وقد تغير هذا الدور مع تطور التكنولوجيا، ووصل ذروته في السنوات العشر الأخيرة بانتشار الفضائيات والمواقع الاجتماعية على الإنترنت حيث أصبح الوقت الذي يمضيه الأبناء بينها يفوق الوقت الذي يمضونه مع أهلهم وذويهم، إلى جانب ما تفرزه الكثير منها من أفكار وسلوكيات وثقافات بعيدة عن القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية، يتم عرضها بغلاف مثير وجذاب وهي تبطن الكثير من المخاطر والتحديات و المفاهيم والقيم المغلوطة. ويشكل ذلك تحدياً كبيراً للأبناء والأسرة معاً ويضيف حملاً إضافياً على الوالدين، فتزيد أهمية وعيهم بخصائص المراحل العمرية لأبنائهم في ظل التحديات الراهنة والذي يلعبون هم فيها دوراً هاماً في غرس القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية من جهة، واعطاء الأبناء نموذجاً ناجحاً للعاطفة المتوازنة بين الرجل والمرأة والتي يجب أن تقام على أساس متين قاعدته الزواج. ففي حال تفكك الأسرة، سواء كان ذلك من خلال الطلاق الشرعي أو الطلاق الصامت أو الشجار أو العنف الأسري، فإن نموذج الأسرة والعلاقة الزوجية ينتابه التشويش في أذهان الأبناء، بالاضافة إلى فقدانهم للمصدر الرئيسي والطبيعي الذي هيأه الله تعالى لهم ليستقوا الحب والحنان والقيم والأخلاق، لكي لا يحتاجوا للبحث عن بدائلها خارج الأسرة فيتيهون ويسقطون فريسة للمعتدين والمتلاعبين والمستغلين لهم ولحاجاتهم ولنقصهم، فالأسرة المفككة ليس لديها التماسك اللازم لحفظ الأبناء واجتذابهم لها.

مقدمة:

منذ بدأ التاريخ الإنساني، كان للأسرة دور محوري في حياة الأبناء، فكانت هي مصدر الحماية الوحيد لهم والمصدر الأهم للمعلومات والجهة الأولى لشعور الأبناء بالثقة والاعتزاز والقيمة وتشكيل الهوية وبنائها بل وتكاد أن تكون الوحيدة. وقد تغير هذا الدور مع تطور التكنولوجيا، ووصل ذروته في السنوات العشر الأخيرة بانتشار الفضائيات والمواقع الاجتماعية على الإنترنت حيث أصبح الوقت الذي يمضيه الأبناء بينها يفوق الوقت الذي يمضونه مع أهلهم وذويهم، إلى جانب ما تفرزه الكثير منها من أفكار وسلوكيات وثقافات بعيدة عن القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية، يتم عرضها بغلاف مثير وجذاب وهي تبطن الكثير من المخاطر والتحديات و المفاهيم والقيم المغلوطة.

ويشكل ذلك تحدياً كبيراً للأبناء والأسرة معاً ويضيف حملاً إضافياً على الوالدين، فتزيد أهمية وعيهم بخصائص المراحل العمرية لأبنائهم في ظل التحديات الراهنة والذي يلعبون هم فيها دوراً هاماً في غرس القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية من جهة، وإعطاء الأبناء نموذجاً ناجحاً للعاطفة المتوازنة بين الرجل والمرأة والتي يجب أن تقام على أساس متين قاعدته الزواج. ففي حال تفكك الأسرة، سواء كان ذلك من خلال الطلاق الشرعي أو الطلاق الصامت أو الشجار أو العنف الأسري، فإن نموذج الأسرة والعلاقة الزوجية ينتابه التشويش في أذهان الأبناء، بالإضافة إلى فقدانهم للمصدر الرئيسي والطبيعي الذي هيأه الله تعالى لهم ليستقوا الحب والحنان والقيم والأخلاق، لكي لا يحتاجوا للبحث عن بدائلها خارج الأسرة فيتيهون ويسقطون فريسة للمعتدين والمتلاعبين والمستغلين لهم ولحاجاتهم ولنقصهم، فالأسرة المفككة ليس لديها التماسك اللازم لحفظ الأبناء واجتذابهم لها.

التفكك الأسري:

حينما كان نمط الحياة عند الكثير من الناس يسوده نظام الأسر الممتدة، كانت العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة أكثر قوة ومتانة، وعليه كان لدى الأبناء فرص متعددة للشعور بأن هناك من يعتني بهم، حتى ولو كان الأب والأم أو أحدهما مشغولين عنهم ولا يولونهم اهتماما كافيا لأي سبب من الأسباب، إذ الاعتماد في التربية لم يكن محصوراً فقط على الوالدين، بل يتدخل أفراد العائلة بأشكال مختلفة، وكثيراً ما يحصل الأبناء على أناس يشعرون معهم بالراحة لمشاركتهم أسرارهم وهمومهم ومخاوفهم وآمالهم.

ومع تحول نمط الحياة إلى الأسر النووية، فقد الأبناء هذا الرابط وأصبح الوالدين هما الطرفان الأكثر تواجداً والأكثر احتكاكاً في حياة الأبناء، ويكادان يكونان هما النموذج الوحيد الذي يراه الأبناء بتفاصيله الدقيقة للحياة الزوجية والعلاقات الأسرية، وهذا ما يجعل دور الأب والأم وعلاقتهما معاً أكثر خطورة وأكبر أهمية من أي وقت آخر مضى.

والتفكك الأسري يؤخذ في كثير من الأحيان على أنه الوضع الذي يحصل بعد الطلاق حيث يعيش الأب والأم منفصلين، ويكون الأبناء إما عند أحدهما أو مشتتين بين الاثنين، ومع أن هذا وضع صعب وتعتبر فيه الأسرة مفككة، إلا أن ما لا يقل ضرراً وأهمية من الطلاق، هما الزوجان، فهم دائمو الشجار، والتي تفتقر علاقتهما للمحبة والعشرة الحسنة، وكذلك الزوجان اللذان يعيشان حياة منفصلة روحياً مع أنهما يعيشان معاً تحت سقف واحد وفي بيت واحد، فهما معاً بجسديهما ، يعيش كل منهما حياته منفصلاً عن الآخر دون تواصل بينهما ولا أمور مشتركة ولا حوار. نموذج آخر للتفكك الأسري هو الطلاق الصامت الذي يسود

الكثير من الأسر، والذي يصل الحال بالزوجين من اليأس من التغيير وإصلاح العلاقة لدرجة أنهما يقرران أن لا جدوى من الحديث معاً، وفي ذات الوقت لا يودان الطلاق لأسباب مختلفة.

الثقافة والانتماء:

لقد تدخلت العولمة و الفضائيات والانترنت في تشكيل انتماء الأبناء وتوسعت دائرته من الأسرة والبلد والمجتمع والدين إلى انتماءات مختلفة لمجموعات وأفكار وأمور أخرى. فعلى مدى التاريخ كانت ثقافة الأبناء هي امتداد لثقافة الآباء والتي كثيراً ما تكون متشابهة بشكل كبير في الأسرة والقبيلة والمجتمع، فكثيراً ما يكون مصدر المعلومة متشابها، ويأخذ الشخص عزته وأمنه من انتمائه لأسرته ومجتمعه وثقافته، كما ويعتبر الدين عنصراً أساسياً يجمع الأفراد والمجتمعات وله دور هام في تشكيل انتماء الأسر ومنها الأبناء حتى في البلدان التي تتعدد فيها الديانات.

والصداقات كانت منذ بدء التاريخ لغاية السنوات الأخيرة، تعني العلاقة الوطيدة والمتواصلة والتي لم تكن ممكنة بغير اللقاء الذي يتيح للأصدقاء تبادل الحديث والتواصل وجهاً لوجه، كما والصداقات العابرة للحدود كانت محدودة جداً وهي عادة متعلقة بالكبار دون الأبناء، فهم من لديهم القدرة على السفر والبقاء خارج أوطانهم لفترة من الزمن يتعرفون فيها على أناس مختلفين من الممكن أن يزوروهم من وقت لآخر. وإذا ما تأملنا علاقات الأبناء الآن، لوجدنا أن في الكثير من الدول التي فيها خدمات الإنترنت والهاتف المحمول و من ضمنها أكثر الدول العربية، فإن جلّ مستخدميها هم الأبناء والذين قد يكونون صغاراً في السن حين الشروع في استخدام هذه التكنولوجيا. وتشير الدراسات بأن من أكثر الأمور التي يميل الأبناء للعمل عليها على الإنترنت هي شبكات التواصل الاجتماعي كالفيس بوك والماي سبيس وغيرها كالمسنجر وأشباهه والتي يقضي فيها الأبناء ساعات طويلة تفوق الساعات التي يقضونها مع آبائهم وأسرهم في حوار مستمر، يتعلمون ويستقون منهم ثقافات وعادات وأساليب حياة ومفاهيم مختلفة.

فمع الهشاشة التي يعيشها الكثير من الأبناء في بنية ثقافتهم وعدم شعورهم بالانتماء والفخر بها، يكون من السهل على الأبناء أن يقتبسوا من الآخرين صفات وعادات ومفاهيم تسيء إليهم وتنزل بمستواهم الأخلاقي والإنساني، فالأبناء يميلون للمرح والإثارة والحياة السهلة، وبما أن الأسرة هي المكان الذي وهبه الله للأبناء وسخره لبناء الأسس القوية في شخصيات الأبناء، لتحتضنهم وتجذبهم وتشعرهم بالقيمة والأمان وتوفر لهم الجو المرح والمرونة التي تشعرهم بالرغبة في الحياة، فهذه الأسس من الصعب أن تتوفر في الأسر المفككة إذ أن قوام هذه الأسس هو المحبة والانسجام والوئام الأسري والذي عموده الفقري علاقة الزوجين معاً.

القيم الإنسانية والقيم الهوليودية:

إن جميع الديانات السماوية لها ذات الروح ولو اختلفت التشريعات، فجميعها تقدس القيم الإنسانية كالصدق والأمانة واحترام الآخر والمساواة في الإنسانية والعدل وغيرها من القيم التي لا يختلف على أصلها اثنان وهي مفطورة في الإنسان يتعرف عليها الطفل الصغير دون أن يتلقى أي تعليم أو تدريب على ذلك. وتلاقي المجتمعات، الغربية ومنها الشرقية، هجمة كبيرة مكثفة لإعطاء أولوية للقيم الهوليودية التي تركز على المال والجنس والجمال، والتي في سبيل الحصول عليها، تبيح العنف والغش ودهس أي قيمة من القيم الإنسانية، فالهدف هو الحصول عليها، وتبقي كيفية الوصول لها مفتوحة لمخيلة الشخص. والأبناء هم المتضرر والمتأثر الأكبر من تلك الهجمة، إذ هم الذين لم يعيشوا فترة ما قبل هذه الهجمة التي تأتي من الإعلام بمختلف أنواعه، ولا تعتبر دخلية عليهم بل هي مواكبة لحياتهم، فهم يتغذون عليها باستمرار بطرق مشوقة ومؤثرة، فهناك العديد من الفضائيات التي كرست نفسها لعرض الأفلام خلال أربع وعشرون ساعة متواصلة دون توقف، بقصص ومشاهد وتمثيل وإخراج جذاب ومثير بعضها مدروس بشكل جاد من قبل علماء نفس لإيصال أفكار معينة بأشكال محددة.

اختلال مفهوم القدوة:

الكثير من الأبناء يقتدون بأفراد لا ينتمون إلى ثقافتهم، ولم تعد معايير القدوة تتعلق بالشجاعة والنبل والكرم والعلم وغيرها من القيم التي كانت الأجيال السابقة تعتبرها مظهراً من مظاهر الفخر والاعتزاز وتحب أن تتصف بها، بل والكثير من الأبناء لم يعد يعرف عن الأفراد الذين اتصفوا بهذه الصفات، إذ أن مصادر المعلومات التي يتعرضون لها والتي تشكل غالبيتها القنوات الفضائية والعوالم الافتراضية على الإنترنت، لا تركز على هذه النماذج وهذه القيم، بل تميل أكثر للقيم الهوليودية واللامبالاة والتركيز على الفردية بدل الروح الجماعية، والأخذ بدل العطاء.

إن مفهوم القدوة بشكله المتداول الآن في أوساط الكثير من الأبناء يتأثر تأثيراً إيجابياً في الأسر المتماسكة والتي تمارس القيم وتطبقها في حياتها اليومية ولا تناقض نفسها بحيث تنصح أبناءها شيئاً وتقوم هي بما يعاكسه، خاصة القدوة في العلاقات وحل المشكلات والعطاء بأشكاله بما فيه التعامل بالمحبة، والتي عادة ما تفتقر لها الأسر المفككة.

التفكك الأسري والتهديدات في حياة الأبناء:

إن التفكك الأسري بأنواعه ينتج عنه تحديات وتهديدات لحياة الأبناء وفيما يلي أهمها:

التوازن العاطفي:

خلق الله سبحانه وتعالى الأبناء برغبة وحاجة ملحة حيوية للمحبة والاحتضان من أبويهم لكي تتزن شخصياتهم وعواطفهم، فالطفل منذ ولادته وهو يرضع بالتصاق شديد بأمه، وحاجته للعطف والحنان لا تقل وإن اختلفت صيغتها في مراحلها العمرية المختلفة، ففي حال التفكك الأسري يكون الوضع العاطفي في الأسرة مختلا ويصل هذا الخلل للأبناء ويترك تشويهاً في شخصياتهم من الصعب تداركه بسهولة.

المثل الأعلى:

تشير الدراسات بأن الأبناء الذين يعيشون بين أبوين علاقتهما مشحونة بالغضب والكره والشك والتنافر، أو حتى أحدها، يفتقدون المثل الأعلى للعلاقات السليمة بعيدة الأمد وكيفية الحفاظ عليها ودوام استمراريتها، فتنعكس على علاقاتهم الحالية مع الآخرين وخاصة مع أبويهم ناهيك عن حياتهم الزوجية المستقبلية.

القدرة على حل المشكلات:

إن المصدر الأساسي للأبناء لتعلم مهارات الحياة والتعامل مع الظروف الصعبة هو ما يتعلمونه من تصرف آبائهم بالدرجة الأولى ومن ثم من النماذج الأخرى التي لها تقدير واحترام بالنسبة لهم، فلا ينفع نصح الأبناء بحل مشكلاتهم في العلاقات مع الآخرين بالمنطق حين تكون طريقة حل مشكلات أبويهم في علاقتهم تركز على الإيذاء والشجار، ومن الصعب أن ننصح الأبناء بأن يتمسكوا بالقيم الإنسانية حين يستخدم الآباء الكذب والنميمة والافتراء كوسيلة للنيل من الآخر. ففي الأسر المفككة، يتعرض الأبناء إلى نماذج سيئة في حل المشكلات المختلفة، ترسخ في أذهانهم مفاهيم مغلوطة عن القوة والسيطرة والتعبير عن الذات وبسط الإرادة.

الشعور بالأمن:

إن من أكثر المشاعر بديهية لدى الإنسان حاجته للشعور بالأمن، وتزداد هذه الحاجة لدى الأبناء لاعتمادهم التام على أبويهم في هذا الجانب ولمعرفتهم بعدم قدرتهم على توفير الأمن لأنفسهم دون مساندة شخص كبير يحبهم ويهتم إليهم، ويتأثر هذا الشعور عند الأبناء الذين يعيشون التفكك الأسري، فالطلاق أول ما يهدم الشعور بالأمان لدى الأبناء ولا يكون ذلك بعد الطلاق فحسب، بل في المراحل الأولى حين تبدأ إجراءات الطلاق، حيث يدخل الأبناء في دوامة المجهول. وأما الذين يعيشون الشجار أو العنف الأسري، فهم لا يعرفون متى سيدخل المنزل في مشاحنات ويعلو الصراخ أو العنف، فيشعرون بفقدان السيطرة على حياتهم والتخطيط حتى للساعات القادمة، مما يجعل العديد من الأبناء يسلكون مسالك خطيرة ليسترجعوا بعضاً من شعور السيطرة على حياتهم وعلى ما يريدون.

الاهتمام ومصدر الشعور بالذات:

خلق الله الإنسان ليكون له دوراً في الحياة وأعمار الأرض، ولا تكون حياته على هامشها، لذلك أودع فيه الرغبة بالشعور بأهمية ذاته وأنه إنسان مهم وجوده لا يتساوى مع عدمه، وهو يحتاج لأن يقتنع بذلك ليبدأ مسيرته، وهذا ما تغذيه الأسرة السليمة في الأبناء وتبني قواعد شخصياتهم لكي تقاوم الإغراءات والغرور والشعور بالتفاهة وإتباع الآخرين دون تفكير وغيرها من الأمور التي تجذب الأبناء الذين لم يلقوا ذواتهم ويحصلوا على الاهتمام الكافي عند والديهم فيبحثوا عن ذلك بعيداً عن الأسرة وفي الأجواء الافتراضية كالإنترنت.

تأثير التفكك الأسري على القيم الدينية والأخلاقية:

إن الوضع الحالي لعدد كبير من الأبناء هو وضع صعب، فعليهم أن يدخلوا في اختيارات صعبة ويختبروا أنفسهم بشكل يومي ودائم، ففي الأمور الكثير من الضبابية، ومنها القبيح المغلف بأغلفة جذابة وجميلة تجذبهم، ونظراً لحداثة سنهم وقلة تجربتهم، قد يصعب عليهم أن يفهموا ما تخفيه تلك الأغلفة، فينجذبون إليها وقد ينغمسون فيها. وفي حال الأسرة المفككة، فالرقابة السليمة والعلاقات التي تساعد في أن يبادر الأبناء لمشاركة آبائهم وطلب المشورة منهم تكون في أضعف حالاتها، ففيها تحدي للأبناء الذين يعيشون في أسر متماسكة، فما بال الأبناء الذين يعيشون في أسر مفككة ويفتقرون إلى المحبة والاهتمام والأمان الطبيعي في أسرهم، فتزداد خطورة تميع القيم الأخلاقية حين تكون الحاجة ماسة بالنسبة لهم للشعور بالأمان أو المحبة أو الاهتمام أو حتى المغريات المادية، وذلك ليس لأنهم أشرار أو سيئون، بل لأنهم ضعفاء في مقابل الإغراء وأحياناً الابتزاز الذي قد يتعرضون له، ولفقدان القدوة التي تساعدهم في المضي على الطريق الأخلاقي وتحمل بعض الصعاب في سبيله وعدم اختيار الطرق السهلة وسريعة الوصول إذا كان الثمن الذي يدفع في المقابل هو البعد عن أساسيات القيم الأخلاقية والإنسانية التي أسستها جميع الأديان.

فهناك من الأبناء الذين لم يعرفوا قصصاً عن التصرف الأخلاقي والإنساني إلا في الكتب المدرسية التي قد تعرض قصصاً ثرية للأنبياء والصحابة والصالحين، ولكن بشكل جاف لا يقرأها الأبناء لفهمها واستشعارها والاقتداء بها، بل لحفظها واسترجاعها وقت الامتحان. ومع انشغال الآباء والتفكك الموجود في بعض الأسر وانحسار دور العائلة الممتدة وخاصة الجدات والجدود، تقلصت فرص الأبناء للاستماع إلى القصص ذات المغزى الإنساني والديني والأخلاقي، ومعها قلت النماذج المشرقة التي من الممكن أن يتعرف عليها الأبناء، وتصبح النماذج الأخرى التي لا تركز على تلك القيم الراقية هي المتواجدة بشكل أكبر في ذاكرة الأبناء مما يشكل تهديداً كبيراً لشخصياتهم ومفاهيمهم عن الحياة والنجاح والتميز والسعادة.

الخلاصة:

يمر الأبناء في مختلف أنحاء العالم بصورة عامة، وفي الدول الإسلامية بصورة خاصة، بتحديات خطيرة تهدد هويتهم وانتماءهم الثقافي والديني والأخلاقي، وذلك لانشغال الآباء في أمور الحياة المختلفة، تمضية وقت أقل مع الأبناء والحديث معهم، وانحسار دور الأسرة الممتدة، ودخول ثقافات مختلفة على الأبناء من خلال القنوات الفضائية والانترنت، ليسوا مستعدين لفهمها وترك الغث منها وانتقاء السمين، وأيضاً لجهل الكثير من الآباء في تقنيات الانترنت فلا يعرفون ما يتعرض له أبناؤهم، فيصعب على الأبناء مشاركة آبائهم في ما يفعلون على الإنترنت خوفاً منهم تارة وشعورهم بعدم مقدرتهم على المساندة تارة أخرى.

وتزداد تلك التهديدات لدى أبناء الأسر المفككة حيث يعيشون مخاطر إضافية متعددة، فهم قد يفتقدون للمشاعر والمفاهيم الأساسية كالشعور بالأمان والمحبة ومعنى العلاقات البعيدة الأمد وغيرها من المشاعر و المفاهيم التي تتكفل الأسرة بتركيبتها الطبيعية بغرسها في الأبناء بعلاقة الوالدين معاً ومع الأبناء، وكذلك الأسرة الممتدة والأجواء الأسرية وطرق التفاهم والحوار.

وللدين والقيم الأخلاقية والإنسانية دور أساسي في استحكام الأسرة والتي هي أساس بناء شخصية الأبناء، وفي المقابل حين يكون بناء الأسرة هشاً وتكون الأسرة مفككة، يعيش الأبناء تحدياً أكبر من أقرانهم للتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية خاصة في الأوقات العصيبة وحين التعرض لمغريات تجذبهم لتشعرهم بالاهتمام والتميز وتعطيهم المشاعر الأساسية التي يفتقدونها.

بسم الله الرحمن الرحيم

دور التربية الدينية في التنشئة على الحوار والتسامح

د. بهيج ملا حويش

نواجه اليوم تحديا حقيقيا متمثلا بفكر الغيرية الذي يجعل من إلا معيارية الخلقية موجهة للسلوك العام نحو التعصب والعنف الاجتماعي المشرع ، ويجعل من قومية الدين ودينية الثقافة هدفا للفعل الاجتماعي باتخاده الأحداث الطارئة مرجعا للحكم على صحة المفاهيم والقيم الإنسانية العليا ، ومن تقديس السياسة وتسييس الدين مركبا للوصول إلى هدفه المصلحي . ولقد سهل مهمة دعاة هدا الفكر الإيديولوجي عوامل ثلاثة :أولهم وقوف الفئة العاقلة موقف الا متفاعل إزاء عملية فصم الأخلاق عن الممارسة التطبيقية ، وثانيهم ابتعاد المثقف عن ميدان السياسة الاجتماعية والثالث والأهم هو إقصاء التوجيه الديني الراشد عن مناهج التربية والتعليم. وعلى هذا – ونحن نسعى إلى التغيير والتطوير – حري بنا العمل متكاتفين متضامنين على الحيلولة دون وصول الفكر الإيديولوجي إلى خطف الأجيال القادمة وتجنيدهم لصالح محاولات التعدي على المختلف. وهذا يفترض بنا العمل بجد ونشاط على عقلنة الحياة الاجتماعية والخصوصيات الدينية واحترام التباين في إطار الوحدة الوطنية والتعايش التآلفي. ولكي نحقق نتائج إيجابية ملموسة يجدر ممارسة النقد الذاتي في عملية التنشئة الاجتماعية من موقع التوجيه الديني لأبنائنا وإسهاما في حل معضلة التعليم التي تعاني فعلا من تضارب المناهج وتجاذبها إسهاما في ترسيخ عقيدة الأخوة الإنسانية وتشجيع التفكير الايجابي لدى أبنائنا وتربيتهم على احترام حرية التدين وحصانته وحرية التعبير وآدابه وتغليب الوجدان الحضاري على التيارات الانفعالية وبذلك نكون قد انتقلنا من الواقع الافتراضي الذي نسعى إلى تحقيقه إلى الواقع الحقيقي الذي نعيشه على الأرضية المشتركة التي تجمعنا جميعا .

لاشك أن الثقافة المصممة **DESIGNED CULTURE** التي نعيشها اليوم – باستغلالها منابر الثقافة والإعلام والتربية – كانت ومازالت سبباً في تشكيل الاتجاهات الخطيرة في الرأي ، فهي لاتزال تشحذ قواها لإحداث صدمات ثقافية متكررة بقصد رفع وتيرة الأزمة في العلاقة مع "الآخر "، وبخاصة بين أتباع الأديان ، ولكن انتصار الوعي الإنساني - مع زيادة التوتر الاجتماعي وشدة هجمة الواقع – جعل أصحاب النهى يبارحون سياسة الصمت المتواطئ **THE COPLICITY SILENCE POLITICS** وموقف اللا متفاعل **PASSITIVITY** نحو العمل المنظم دفاعاً عن عالم القيم الذي بدونه تتحول الدنيا من حولنا إلى فضاء يحكمه قانون الغاب .

لقد عشنا أحداثاً في العامين الماضيين صادرة عن أحزاب وتجمعات ، بل وحتى عن بعض رجال الدين المتهورين تعتمد على سياسة عدوانية **AGGRESSIVE** وتنادي بنقاوة العرق أوالدين وفق محاور أربعة:

1- فكر الغيرية

ALTERITY الذي هو فكر عنصري ديني من الدرجة الأولى لكونه يعتبر " الآخر" دون " الأنا " وأنني أنا "الذات المفكرة " والآخر هو" الموضوع " إن فكراً تحريضياً **BELLIGERENT** كهذا لايعادي الآخر فحسب بل يشيع حالة من **فقدان القيم** والموازيين **ANOMIE تصبح معها اللامعيارية موجهاً للسلوك العام** المعادي لعملية التضامن الاجتماعي على المستويين الداخلي والعالمي وموجهاً نحو تأجيج الانفعالات الجماهيرية اللاعقلانية **IRRATIONAL PASSION OF MASS** . وهو – بالنتيجة – سينقلب وبالاً على أصحابه كما حدث مع الهتلرية النازية .

2– فلسفة الكراهية واختلاق العدو

إن هذه الفلسفة الصادرة عن التعصب **FANATICISM** الديني أو القومي أو العرقي ستقود أنساقاً من التيار الجماهيري نحو **العنف الاجتماعي SOCIAL VIOLENCE** ونحو إيجاد وممارسة **عقلية التجمع GROUP CONSCIENCE** دفاعاً عما يصور لها أنه خطر يقود إلى فقدان الهوية الدينية أو القومي **NATOIANAL or RELIGIOUS IDENTITY**.

ولكن حقيقة عمل القائمين على هذه الفلسفة هو إهانة موجهة للجماعات التي تستهدف تحريضها لأنها تفرض عليها غطاءً من الأوهام ولا ترى فيها إلا مخلوقات تتحرك على سطح ثنائي الأبعاد لا يعرف شيئاً عن البعد الثالث لكونها تمارس حجراً على الفكر النقدي وعلى الضمير والذكاء الإنساني على حد سواء .

إن فكر الغيرية وفلسفة الكراهية لا تقودان الأتباع نحو **التفكير الايجابي POSSITIVE THINKING** بل إلى سلبيته ، أو بعبارة أخرى ،توجهان السلوك نحو تحقيق **قومية الدين RELIGIOUS NATIONALISM** أو **دينية الثقافة CULTURAL THEOLOGY** وكلاهما **فكر شوفوني CHAUVINISM** تماماً كما هو فكر النازية أو الفاشية أو الستالينية.

3– استراتيجية إسقاط الأحداث على المفاهيم

بدل محاكمتها كقضية طارئة . إن عملا كهذا بحاجة إلى **علاج متعدد المدارس MULTI DISCIPLINARY** ومن ثم إيجاد مدخل تشريعي لإقرار محاربتها قانونياً أو دينياً أو تربوياً . وأعود هنا إلى موضوعي المآذن ومنع اليافعات المتحجبات من الدراسة , اللذين وجدا في " ديمقراطية الشوارع " وسيلة للتحايل على المقتضيات الدستورية وعلى شرعية النظام القيمي والمنطق السليم ، فنحن نعلم أن ليس كل ما هو قانوني يتمتع بالشرعية وليس كل ما يستند إلى شرعية ما هو قانوني وملزم ، كما أنه ليس كل قانوني يتمتع بالشرعية وليس كل ما يستند إلى شرعية ما هو قانوني وملزم, كما أن ليس كل قانوني يتفق مع المنطق السليم ، والعكس صحيح ,فكم من جريمة **DELICT** تحولت الى قانون أو لنقل جناية مبررة قانوناً **LEGALIZED CRIMEN** .

4- إبعاد المثقف المتدين عن ميدان السياسة الاجتماعية .

هذا الأمر أدى إلى تفرد المتطرف بالجماهير ودفعها نحو نهج سلوك العدوانية والفوقية . فالهوة الكائنة بين الثقافة والسياسة أو بين التدين الراشد والمجتمع تركت الساحة نهباً لدعاة تقديس السياسة **SANTIFING THE POLITICS** أو تسييس الدين **POLITICIZING THE RELIGION** ليتم لهم بعد ذلك رفع الراية الدينية على الأزمات السياسية أو الاقتصادية بقصد تحقيق مصالح المجموعة المنتفعة .

5- فصم الأخلاق ETHICSعن الممارسة التطبيقية .

ليس في الميادين الاجتماعية والعلمية والإنتاجية والعسكرية فقط بل وحتى الدينية بالتبرير والتزوير مما ترك فضاء شاسعاً لتفلت السلوك من كل رابط يحول بينه وبين وصوله إلى الغاية الذاتية . وهكذا أصبحنا نعيش تبريرات لانتهاك خلقية التعامل مع البيئة **ECOETHICS** أو مع الأحياء **BIOETHICS**أو مع "الآخر " .

إن لقاءنا اليوم هو تأكيد على عزمنا الصادق على مجابهة هذه الريح الصفراء بعقلية الفريق **group conscience** وتأكيد حاجتنا إلى الاعتماد المتبادل **interdependence** وتوزيع الأدوار للقيام بمهمة البناء التراكمي**Accumulative** لتحسين الواقع وفتح آفاق جديدة **New expectation** وفق إملاءات العقل والإيمان ومتطلبات القيم العليا المتفق عليها إنسانيا وشرائعياً . بل إن لقاءنا يعني تمرداً على مواقف الكمون **Latency** والتخفي **occultation** والتخوف والذهول إزاء الإفساد والتعصب والعدوانية .

مقاصد تربية النشء على الحوار والتسامح

1 - تعرية الفكر الاديولوجي الديني :

لعل مما يميز الإسلام منذ فجر الرسالة أنه واجه الايدولوجيا القبلية القائمة آنذاك – والتي أسماها " الطاغوت " - فجعلها مسبة في مسيرة الأمم .

" ألم تر الى الذين يزعمون أنهم أمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدا " . النساء 60.

2 - إشاعة القيم واحترام التباين :

لم يكتف الإسلام بإدانة الاديولوجية الظالمة بل **حول المرجعية الدستورية إلى منظومة من القيم الحقوقية** والاجتماعية والتنظيمية .وجعل منظومة المفاهيم **Concepts and comprehensions** والقيم **Values** أساس التحاكم ، ثم أدخلها في **دائرة الإيمان والضمير لتبقى معيارا للنص والسلوك** . فجعل الحق والحرية والكرامة والمساواة والعدل والأخوة الإنسانية والتراحم والتعاون على الخير عناصر بنائية للفرد والمجتمع وقيماً مستقلة عن الزمان والمكان ، وعن الأثينية والمعتقد ، ثم جعل **عقلنة الحياة الاجتماعية** **وأنسنتها Social rationality** وداعتها سبيلاً للتعايش المشترك والتعاطف **Empathy** المتبادل كما جعل التعلم والتعارف والمسؤولية الجماعية أساساً للتفكير الإيجابي .... ولم يترك مجالاً للتطرف بقصد الحفاظ على نقاوة الدين ، أو لم يمنع الآخر من حق التعبير عن الثقافة الدينية بحرية ومسؤولية . وهناك العشرات من النصوص ما يؤسس لكل هذه الثوابت التي هي محور نشاطنا وبرنامج عملنا في تربية النشء على قيم التسامح والتناغم والتآلف **Harmony** للمختلف في إطار الوحدة الوطنية أو وحدة الجماعة الإنسانية لأن الإسلام لايعتبر المجتمع كتلاً اجتماعية متفاوتة الحقوق. ولا يعتبر ممارسة الشعائر الدينية **R. Ceremonies** الأخرى أو التعبير عن الثقافة الدينية الذاتية عملاً ينال من وحدة المجتمع **Antisocial Act** أي أنه عمل عدائي موجه نحو معايير السلوك و متعارض مع مصالح الجماعة أو مهدد لاستمرارها , بل ينظر إليه نظرة استحسان وتفضيل لكونه يعبر عن الإيمان والالتزام به وعن التزام المجتمع تجاه حقوقه التشريعية .

إن إيقاف الفكر الاديولوجي الديني ومجابهة فكر الغيرية لا يكون بإلغاء الخصوصيات الدينية ولاعرقلة التعبير عن الثقافة الدينية المغايرة لان عملاً كهذا سيؤدي حتماً إلى سوء التوافق **Maladjustment** بين أتباع الديانات على المستوى المحلي والوطني . كما أنه لا يحارب حاجة الفرد إلى الاعتزاز بنسبه **Need of relatedness** أو أصوله **Need of rootedness** ولا حتى بهويته الدينية **R. Identity** أو

مرجعيته الدينية التوجيهية **Frame of R. Orientation** في كل ماله علاقة بأموره المذهبية . وهذا ما نعلمه لأبنائنا من مقتطفات السيرة النبوية عندما كان الأحباش يقومون باستعراضاتهم أو عندما كان اليهود يصومون اليوم الذي نجي الله به موسى وبني إسرائيل من فرعون وجنوده ، بل حث المسلمين على صيامه لأن موسى عليه السلام نبي والمسلم لا يفرق بين نبي وآخر بصريح الأمر القرآني في أخر سورة البقرة الآية 285 " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون , كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير " .

إن وحدة الرسالة السماوية وتكاملها جزء من عقيدة المسلم ، وتعليمها وشرح أبعادها لأبنائنا واجب فردي كفائي مناط بالأبوين في نطاق الأسرة , وبالمعلم في نطاق المدرسة ، وبالقائم بشؤون التعليم الديني في ميادين التربية والثقافة والعبادة الجماعية. ثم إن القرآن الكريم يزخر بقصص الأنبياء تأكيداً على وحدة الرسالة وتكاملها.

إن محاولة إلغاء **الخصوصية الدينية R. particularity** أو الشعائرية أو الثقافية لا يقود إلا إلى أحد الشرين : العنف الطائفي أو الإلحاد المفضي إلى الالتحاق بركب الاديولوجيات المختلفة , وكلاهما وبال على حاضر الإنسانية ومستقبلها كما كانا في تاريخها القريب والبعيد .

3- التنشئة الاجتماعية التآلفية:

لما كان الإسلام قد جعل **التعدد الديني تعدداً تعايشيا** تتمتع كل مجموعة بموجبه بخصوصياتها في إطار النظام العام فقد حال دون صهر الهويات الدينية للأقليات ضمن الهوية الغالبة بل أعطى لكل منها الاستقلالية الكاملة في قضايا التعامل وفق الشرائع الدينية والأسرية بما فيها من زواج وطلاق وارث وجعل الدولة المسلمة كفيلة وملزمة بحماية هذه الحقوق لأن **غير المسلم هو من أهل دار الإسلام** وإن كان ليس من أهل الدين الإسلامي. وبالتالي فهو مميز عن الغالبية المسلمة بما يسمى اليوم **بالتمييز الايجابي** . **Positive discrimination** .والرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا " من آذى ذمياً فقد آذاني " ليس لكون المواطنين غير المسلمين أقلية بل ليعلمنا أن احترام خصوصياتهم جزء لا يتجزأ من الشريعة الإسلامية , وأن التعاطف معهم ضرورة اجتماعية . وأن الامتثال لذلك طاعة لله وللرسول ، فهو عبادة لأنه عمل صالح .

إن مفهوم **المساواة الإنسانية** والمسؤولية الفردية من أهم القيم الواجب تعليمها لأبنائنا ليكون لديهم الوازع والدافع في تشغيل الذكاء الفردي والجماعي نحو التفكير الايجابي لكون المساواة الإنسانية **قيمة معيارية Normative** يقاس عليها كل نشاط فردي أو جماعي حادث في إطار المجال الحيوي **Vital space** أو في المجال العام **Public sphere**.

ولكي يعي أبناؤنا هذه القيمة نؤكد دائماً على نداء القرآن " **يأيها الناس :إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا .إن أكرمكم عند الله أتقاكم"**

ولتأصيل هذه القيمة الكبرى نعلم أبناءنا تأسيس ممارساتهم على أساس **" وحدة بني أدم "** التي كثيراً ما تردد في النداءات القرآنية وعلى أساس **تأصيل فكرة " صلة الأرحام الإنسانية "** الواردة في الآية الأولى من سورة النساء **" يا أيها الناس : اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام . إن الله كان عليكم رقيباً " .**

فهو نداء لكل الناس وصلة رحم لهم جميعاً لا يحول دونهما تباين الأديان . وحري بنا أيضا أن نعلم أبناءنا مغزى الآية الكريمة :

" ووصينا الإنسان بوالديه أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ، وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ...." الآية 14-15 من سورة لقمان.

كذلك الأمر في تأصيل أخوة الجار التي فاقت أخوة النسب في التوادد والتراحم بحكم وصية رسول الله بتفضيل الجار على الأخ **" جارك ثم جارك ثم أخاك ".**

وهذا يؤكد أن فكرة الغيرية تتنافى مع روح الرسالة الإسلامية بصريح القرآن في الآية 17 من سورة الحج " **ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والمجوس والذين أشركوا ، ان الله يفصل بينهم يوم القيامة** ".

أي أن القرآن يأمرنا أن نعلم ونعلم **أن المختلف له المودة وأنه ليس من واجبنا محاسبته على صحة اعتقاده** أو انتقاص عقيدته . ولكن لا بأس من الحوار التعارفي .

ومن هنا نستطيع القول أن تنشئة الطفل – من المنبر الديني – على تبني هذه القيم يجعل منه شخصية اجتماعية متعاضدة **Corporative person** مع أفراد المجتمع من أجل الخير العام .

4– رفض التعميم وتحديد التخصيص محور أساس في التعليم الديني الراشد

دلك أن القرآن الكريم عندما يتحدث بلغة تقريعية يقصد بها مجموعة آثمة بعينها ، أو متورطة بحدث معين كما حصل يوم الأحزاب , إذ تناول جماعات معينة هي **شرائح اجتماعية** , فيهم المشركون ومنهم المسلمون ومنهم اليهود الذين يشكلون بمجموعهم مجتمع الدولة – مجتمع المدينة المنورة

" ليسوا سواء , من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . ؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين .وما يفعلوا من خير فلن يكفروه, والله عليم بالمتقين " 113 – 115 من سورة آل عمران .

هذا الرفض التعميمي يدعونا أيضاً إلى إعادة النظر في الروايات التاريخية وإعادة صياغة روايات زمن الفتنة على ضوء الحقائق الثابتة أولاً ثم تطويع الرواية والذاكرة لهدف بناء مستقبل أكثر تعاطفاً وتراحماً ، بمعنى **إشاعة ثقافة تتماشى مع مختلف المعتقدات Interreligious culture** أي لاتنال منها ولا تجرحها بل تبرز محاسنها وقيمها الرفيعة المميزة لها . وهذا لن يتم إلا من خلال عملية **تفاعل اجتماعي Social interaction** الذي هو في حقيقته سلوك اجتماعي يتبادل الناس بموجبه المعاني السامية ويمارسون التأثير المتبادل في ميداني : الفكر والعمل .

حلقات التوجيه ومحاورها

على مستوى التوجه الديني وركزنا على **النقد الداخلي Auto critics**لو أردنا أن نمارس **النقد الذاتي** بما يخص موضوعنا لوجدنا ضعفاً في البرامج التربوية ، وفي الأدوات التعليمية وفي **Internal critics** التوجه الديني على مستوى الأسرة ، فالمدرسة ، فالمؤسسات الشبابية ، بل وحتى في بعض المساجد والمنابر الإعلامية والثقافية . وقد نلحظ هذا الضعف جلياً في **الفعل الاجتماعي Social act** الذي يفترض به أن يكون نشاطاً منظماً ومتناغماً وموجهاً نحو الهدف المطلوب وفق المعايير الدينية والواقع الاجتماعي .

ورغم أننا لا نملك في الإسلام **مؤسسة دينية** بالمعنى الوارد في بعض الأديان الأخرى ، أي سلطة دينية **Theological authority** ، إلا أننا نستطيع القول أن هناك شكلاً ما من المؤسسات الدينية **Religious Institution. معترف** بأهليتها شعبياً ورسمياً في إطار التشريع الإسلامي والتوجيه الديني التربوي والتثقيفي ، لا من خلال أشكالها المؤسساتية بل من خلال مستوى أعضائها ومدى استقلاليتهم الفكرية .

ومن المعلوم أن الطفل تتنامى مداركه وميوله وطبائعه مع ما يكتسبه من معارف من خلال التأثير الذي يتعرض له من الجو المحيط ، وأن شخصيته تتأثر بماضيه كما تتأثر بحاضره لأن الأحداث الحاصلة له في بداية العمر هي من محددات سلوكه اللاحق ، وأنه في كل مرحلة من مراحل عمره يتأثر بالشخصية الأقوى والأقرب إليه متخذاً من هذه الشخصية مثلاً أعلى يحتذي بها في أقواله وأعماله ، ثم لايلبث أن يستبدلها بمثل أعلى آخر كلما انتقل إلى محيط جديد .

فالأم أو الأب هو" **المثل الأعلى المنزلي** " في مرحلة ما قبل الدراسة , يتبع ذلك " **المثل الأعلى المدرسي** " في مرحلة الدراسة الابتدائية والإعدادية ، فإذا ما وصل الشاب الى مرحلة المراهقة انضم الى أقران يشاطرونه العادات والسلوكيات فتحل " **جماعة الفريق** " في مقام التأثير الأول بدل المدرس لأن المراهق يشعر معهم بنوع من الاستقلالية والفاعلية وغالباً ما تكون الشخصية المؤثرة في جماعة الفريق مثلاً يحتذي

به الآخرون ويقلدونه في لباسه وعاداته وطريقة كلامه وبالطبع في أفكاره وأقواله ، وقد يكون هذا الفريق ذا طبيعة رياضية أو ثقافية أو فنية أو حزبية أو دينية يقوم عليها أعلمهم وأفقههم .

يتلقى الطفل بواكير تنشئته الاجتماعية **Family orientation** ومن خلال **أسرة التوجيه الأسري** **Non formal**،ويكتسب في أجوائها بعض المعاني والعادات بما يسمى التربية غير المنتظمة **Formal**. ومن خلال التوجه المدرسي يتلقى معارفه وعلومه بصورة تربوية ومنظمة **education** يصبح السلوك قائماً على التعاطف **Companionship family**.ومع **أسرة الرفقة** **education** لها توجه معين **Group atmosphere** المتبادل بين أعضائها ثم يدخل الفرد بعد ذلك في فضاء **جماعة** وطابعها العام المميز ولديها القدرة والتنظيم الكافيين للتأثير المباشر على تفكير وسلوك أعضائها .

ومن خلال مجموع هذه الفضاءات إضافة إلى تأثير الأعراف والعادات يكتسب المرء **ثقافة الجماعة** ويصبح بها عضواً وشخصاً مستقلاً في آن واحد متمسكاً بفلسفتها في الحياة وبالسلوك الاجتماعي القائم على تبادل المعاني وممارسة التأثير المتبادل .

ولما كانت التربية بشقيها : التعليمي والتدريبي هي عملية يتم بموجبها نقل المعرفة من جيل لآخر بصورة منتظمة , وهي عملية تهدف إلى تنمية الفكر والأخلاق وتطوير القوى العقلية وفق أدوات تربوية وبرامج مستمرة ومتعاظمة , فان إسهام **التنشئة الدينية في العملية التربوية** أمر بالغ الأهمية ، خاصة وقد وجدنا أن المناهج التربوية التي استثنت القيم الدينية قد أخفقت في **أنسنة الحياة** كما أخفقت في **أنسنة الأجيال الجديدة .**

وهانحن نرى التطرف والإرهاب الفردي والجماعي والدولي يشرئب برأسه من جديد ونرى جماعات تمجد الأيدلوجية القومية وأحزابا تعتمد العنف النفسي **والإرغام المشرع** لاضطهاد الأقليات الأثينية والدينية, بل ونرى جماعات دينية تدعو إلى محق الآخر وفق تفسيرات وأراء متطرفة لمدارس متمذهبة **Doctrinal** . والأفدح من ذلك نشهد انخراطا متزايدا لليافعين في صفوف الجماعات المتطرفة.

وبناء على ما تقدم نستطيع القول أن نجاحنا في إحلال قيم التعايش والتعاطف والسماحة لم يصل إلى الحد المطلوب وان نجاحنا مناط بقدرتنا على تحقيق الأمور التالية:

1 - **أنسنة التربية** بمختلف مستوياتها

وميزان تلك القدرة على إحلال التعاطف محل التنافر، والوداعة محل العنف . والتفكير الايجابي محل التفكير السلبي ، وهدا يقوم على عاتق المنزل والمدرسة.

2 - أنسنة المجتمع

وميزان ذلك نمو المجموعة العاقلة ، وتطوير مذهب أخلاقي قائم على المشاركة والمواطنة من موقع التباين الديني وإبراز دور الأقليات في إقامة حضارة الأكثرية (الإسلامية في حالتنا نحن) وهذا مناط بالمفكرين والتربويين القائمين على توجيه الجماعات.

3 - تقوية التماسك الاجتماعي S .Cohesion

وميزان ذلك تغيير النزعات السلبية وتنمية الإرادة الخيرة وتقوية الاعتماد المتبادل وتكامل الحاجات، وربطها بمنظومة القيم وحقوق المواطنة وواجباتها بحيث تعبر المواقف عن ترابط الأفراد ثقافيا واجتماعيا ووطنيا ،وهذا مسؤولية المنابر الثقافية والإسلامية.

4 - الالتفاف حول عالم الأفكار لا مجموعة الأشخاص

وميزان ذلك تلاشي المجموعات المتطرفة وحلول السلم الاجتماعي محل القلق والخوف والافتقار للأمن ثم التعاطي الرشيد بين الأفراد والمؤسسات والتعلم على احترام الشرعية ونبذ التمرد والاعتداء، والتعلم على العيش والتعايش في أجواء من الاحترام والسماحة في تعامل الفرد مع الآخرين, وهذا واجب القائمين على التوجيه الديني من مختلف منابره.

إن الالتزام بعالم الأفكار يقوي ملكة النقد الفكري ويحول دون الانجراف مع الأهواء غير العاقلة **Irrational passions** ويعدد مناهل المعرفة ومدارسها لأن تعدد المدارس كفيل بإزاحة التعصب

Fanaticism _وكفيل بإبعاد الفرد عن الالتزام بالحرفية المطلقة عما هو قابل للتفسير والاجتهاد , وقراءة النص غير الموقوف على ضوء سياق الزمان والمكان.

إن تشابك العلاقة بين الدين والثقافة والتربية وتناغمها أساس العمل لتنمية **السلوك الموجه نحو الهدف Goal – directed behaviour** وأساس حل معضلة التعلم **Learning dilemma** الهادف ونجاح التوجيه القيمي **Value orientation** وهذا لا يتم إلا إذا تعاضدت المؤسسات التربوية من مختلف منابرها وبخاصة التوجيه الديني في عملية الانتقال من الواقع الافتراضي **Virtual reality** الذي نتناوله في المنتديات إلى **واقع حقيقي Authentic reality** نعمل على تحقيقه معتمدين على عملية اختبار هدا الواقع

وتحديد نقاط التركيز ولغة التعامل والجهات المقصودة بأعمالنا وتحركاتنا إذ ليس من المستغرب أن نجد تفاوتا في التوجيه بين ما تقوم به الأسرة والمدرسة والمجموعات الاجتماعية والمؤسسات الثقافية والإعلامية.

ولو تناولنا هذه الحلقات ودورها في التنشئة على التسامح لوجدنا أن هناك ضرورة ملحة لاعتماد **برامج متتابعة ،** منظمة للسلوك وكابتة لفكرة الصراع عن طريق ترتيب التعبير عن النزعات بين ال "هو" وال " أنا " وصولا إلى شخصية "الأنا المتفهم" وال" أنا المعتدل" ثم ال " نحن" المتباينون والمتعاطفون .

ولتحقيق دلك نحتاج إلى **فلسفة توجيه** قوامها الأمور التالية :

- **العيش المشترك ضرورة حيوية**

نجاح هذه الفلسفة مرتبط ارتباطا وثيقا بتبني الأسرة لها بالدرجة الأولى ثم المدرسة ثم المسجد مهتدين بقوله صلى الله عليه وسلم **"الخلق كلهم عيال الله ، وأقربهم إلى الله أنفعهم لعياله"**

إن ترسيخ عقيدة **الأخوة الإنسانية** مدلول النداء الرباني " **يا بني آدم** " يؤسس لمحور **التفكير الايجابي** نحو الآخر :الأخ والمواطن ,وتجعل النظرة إلى ديناميكية المجتمع على إنها **حركة تشاركيه تشاوريه Deliberative**

لا ديناميكية تعاطي بين كيانات تمثيلية Representative يصبح معها الفرد المنتمي لأحدها ندا للآخر، يدافع عن مصالحها بمنأى عن فكر الحق والعدل والقانون ، بل العكس هو الصحيح إذ أن الإسلام **يحثنا على المشاركة في الأفراح والأتراح** لكل أعضاء المجتمع تقوية لأواصر المودة لقوله تعالى في **الآية 5 من سورة المائدة " اليوم أحلت لكم الطيبات ، وطعام الدين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم "** ويؤسس على حسن التعامل مع الجميع " **وقولوا للناس حسنا"** وغني عن القول أن نجاح هدا الأمر مناط بالأبوين والموجه الديني بالدرجة الأولى لكون المنزل والمسجد ميدانين للتعليم المستمر.

- **تعدد العقائد إرادة ربانية:**

يقول تعالى في **سورة يونس الآية 99 " ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا،أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين"**. وقوله تعالى: " **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " الكهف 29** فمشيئة الله تعالى في تعدد العقائد تنفي وتدين عملية الإكراه أو الدفع للمطاوعة والإذعان **Compulsion** لأية عقيدة **Doctrine** سماوية كانت أم أرضية ، لأن الإكراه في المعتقد يصطدم مع المفاهيم الإسلامية الكبرى ويقود

إلى النفاق الاعتقادي المتستر ، وهو أخطر أسلحة تدمير المجتمع وقد ذمه القرآن في مواضع كثيرة فكيف يستساغ إجبار الآخرين عليه ؟!

- **حرية التدين وحرية التعبير عن الثقافة الدينية قيمة أخلاقية كبرى:**

والقاعدة في ذلك " **من كان له دين خير ممن لا دين له** " لأن القيم الدينية مرجعية أخلاقية يحاسب المرء على أساسها . ويدخل في حرية التدين حق إقامة دور العبادة وحصانتها و**حصانة Immunity** رجال الدين حتى في أوقات الحرب وفي أرض الدولة المعتدية ، كما تدخل أيضا المحافظة على التراث الديني والدفاع عنه لكونه ملكا لأصحابه.

- **الانتقاص من الأديان رذيلة ، والإشادة بمآثرها فضيلة ، وترك الحساب على الله عقيدة وإيمان .**

وفي هذا تدخل كافة الأديان والمعتقدات لقوله تعالى في سورة الأنعام 106 – 108 " اتبع ما أوحي إليك من ربك ، لا اله إلا هو ، وأعرض عن المشركين. ولو شاء ربك ما أشركوا , وما جعلناك عليهم حفيظا ، وما أنت عليهم بوكيل . ولا تسبوا الدين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ، كذلك زينا لكل أمة عملهم ، ثم الى ربهم مرجعهم فينبؤهم بما كانوا يعملون" وهذا يعني **أن نهي المسلم عن سب أتباع الديانات الأخرى فريضة عينية** سيسأل عنها المسلم أمام محكمة السماء وستكون مسؤوليته تجاهها **مسؤولية شخصية** .صحيح أن حرية الكلمة والتعبير مصانة ولكن انتهاك حرمتها جريمة لا يسلم مرتكبها من مؤاخذة في هذه الدنيا أو في الآخرة. ثم أن
القرآن الكريم يتناول جوانب من قصص الأنبياء ومآثر المؤمنين بهم فيذكرنا **بمؤمن آل فرعون من بني إسرائيل " وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ....".28 من سورة غافر**
كما يذكرنا **برسل المسيح عليه السلام في سورة يس " واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اد جاءها المرسلون ، اد أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما ، فعززنا بثالث ، فقالوا إنا إليكم مرسلون..."**إلى آخر ما ورد عنهم .

ويحذرنا من الانسياق مع إلقاء التهم الجماعية كما حدث في انكلترا أيام الطاعون إذ ألقوا المسؤولية على اليهود ، بل جعل **ارتكاب المخالفات مسؤولية فردية** لا تتعدى إلى الغير.فيقول تعالى **في الآية 75 من ال عمران**

" ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما . وسيرة **Historiography** المجتمع المسلم وتاريخ الحضارة الإسلامية تشيد بمشاركة غير المسلمين في بناء هده الحضارة لأنهم من أبنائها وان كانوا ليسوا على دين أعلامها ، وهكذا كان الأمر في بغداد كما في دمشق والقاهرة أيام الخلافة .

- **التسابق في بناء المجتمع عمل حضاري**

لما كانت عضوية الجماعة موجهة للسلوك ومحددة لمساره فان الواجب يدعونا إلى شحن مقومات الشخصية الاجتماعية **بمقومات الشخصية الأخلاقية وتربية الوجدان** الذي يحدد قيمة الشيء ليسيطر على التفكير وفق معطيات المعرفة التي تلقاها الفرد ، وبذلك يحدث التعاطف بين الجميع والتسابق إلى خدمة المجتمع وتحقيق الخير وفق قاعدة **" فاستبقوا الخيرات "** . ومن خلال العمل المشترك تتعمق المعرفة المتبادلة وتزداد الخبرة التعاملية وتزداد الألفة والمحبة

- **التعريف بالأديان مطلب تعايشي**

الأسرة كما هي المدرسة مطالبة بتعليم أبنائنا معالم الأديان كلها **وفق ما هم يرونها ويعتقدون بها** حتى يكون التعامل بين أتباع الأديان قائم على واقع المعتقد، وحتى لايختزن الفرد شحنات خبيئة مضادة لعملية التآلف ذلك أن اللاشعور الجماعي هو مخزن الذكريات الموروثة عن الأسلاف ، نحن واجبنا إذا أن نخزن في لاشعور الطفل واليافع كل ما يدفعه إلى التعاطف والتوافق والتوادد وفق أسس معرفية تؤهله للتعامل مع الآخر.

- **الوسائل والوسائط Means & Tools**

نجمل القول في ضرورة وضع **برامج** تربوية تثقيفية **راجعة** تتضمن المحاور السابق ذكرها ، وأقصد بالراجعة أنها تؤثر على المقصودين من هده البرامج كما تؤثر على واضعيها ومنفذيها وهدا يقتضي -

بالضرورة – **فك عزلة المفكر المتدين وعودته إلى الانغماس في السياسة الاجتماعية** حتى يكون العمل متكاملا وعلميا ومتعدد المدارس،

اد ليس من المعقول أن نترك توجيه الفرد لأسرة مشحونة بالتجارب السلبية أو مدرس متحزب أو رجل دين متعصب ، بل لابد من إعادة هؤلاء إلى جادة الصواب حتى ينمو الطفل في أجواء الصفاء والايجابية، كما أنه ليس من المعقول أن **تتشاكس توجيهات الحلقات التربوية** أو تتناقض مكذبة بعضها بعضا فيقع الطفل فريسة هدا التناقض **Contradiction** فلا يدري أيهما يصدق وأيهما يتبنى. فنحن بحاجة إذا إلى **برامج توعوية للمربي** كما نحتاج إلى برامج تربوية للطفل، وهنا يبرز دور **المسجد والإعلام** في التأثير على" المثل الأعلى المنزلي" كما يبرز دور **التخطيط التربوي** في التأثير على " المثل الأعلى المدرسي" وتبرز أيضا الأجواء الثقافية في التأثير على التعاطي بين " جماعات الفريق" ودور **التوجيه الإداري الديني** في رسم معالم عمل الموجه الديني وأقواله ، واعظا كان أم خطيبا أو مدرسا أو حتى متحدثا باسم الدين.

ولعل التركيز على الوسائط التالية يساعدنا على تنشئة الأجيال على الحوار والتسامح من المنظور الديني.

1 - الكتاب الهادف

الكتاب الذي يتناول محور التنشئة ويتبنى فلسفتها يجب أن يكون **موجها للطفل كما هو للمربي** حتى يتم التكامل والتناغم السابق ذكرهما وحتى تتم أيضا **التربية الراجعة** المنشودة.

ولابأس من **التركيز على الكتاب المدرسي** ، ولأن التعليم المدرسي – كما سبق ذكره – هو تعليم منتظم ومبرمج ، إضافة إلى أنه تعليم تطبيقي ، فوضع **مادة للتربية الاجتماعية** تحت أي مسمى يراه التربويون لمختلف مراحل التعليم تعرف بالأديان وتدعو إلى تآلف معتنقيها في إطار وحدة الجماعة واحترام الخصوصية والعمل المشترك أمر بالغ الأهمية . ومن هنا أدعو المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة " **الاسيسكو ISESCO** ونظيرتها **اليونسكو UNESCO** لإعداد محتويات مثل هد المادة وتعميمها على الأعضاء شريطة أن لا يتناول المحذورات لمختلف الأديان بل أدعوهما **لافتتاح مدارس** في بعض العواصم العالمية بحيث تضم نسبا معينة من الطلبة المنتمين إلى أديان متباينة تخرج أفرادا لا ينقصهم التأهيل الديني ولكن تحت خيمة الود والتعاطف والاحترام المتبادل.

2 - أفلام الكرتون وبرامج الأطفال التلفزيونية:

قيل أن " **العلم في الصغر كالنقش في الحجر**" وهذا ينطبق على البرامج المرئية خاصة وأن أكثرها لايهدف سوى التسلية المحضة ، فلو كان هناك من **ينتج أفلاما** تتبنى فلسفة التنشئة الاجتماعية على الحوار والتسامح ومن يشرف على مواقع انترنت تفاعلية **INTERACTIVE** لكان ذلك رافدا مهما في عملية تكامل التربية ، والقائمون على التوجيه الديني مطالبون أكثر من غيرهم بإشاعة هده المفاهيم وتعميقها.

3 - التعامل مع المحيط الجغرافي :

إقامة علاقة **مودة بين الجيران** وبخاصة المتبايني العقائد تقود إلى انخراط أبنائها في جماعة الفريق حيث تتوطد الصلات بينهم وتتنامى ، تطبيقا للأمر القرآني في **الآية 36 من سورة النساء**

" واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب...."

وهدا ما نمارسه ونؤكد عليه في توجيهاتنا اليومية.

4 - الأنشطة الشبابية والثقافية

الرحلات المدرسية ، والمخيمات الصيفية ، والأعمال التطوعية ، وكذا الأنشطة الرياضية تصهر الفرو قات أو تدينها في بوتقة العمل المشترك ، فحري بنا أن نكثف من هده الأنشطة في إطار الأخلاقيات الدينية والاجتماعية ووفق ما تحتمله جملة العادات والأعراف والتقاليد .

الخاتمة

بهدا الاستعراض للتحديات التي تحول دون تنشئة الأجيال على الحوار والتسامح والاحترام المتبادل للمعتقدات والخصوصيات الدينية المتباينة يجدر بنا – وقد ثبتت النوايا الحسنة والخيرة في هدا الميدان – أن نعلم أباءنا حقيقة ما يعتقده الآخرون لتكون معرفتهم يبعضهم أساس تعاونهم وتآلفهم ، وأن نحول المفاهيم إلى ممارسة يومية بإدخالها في دائرة ضمير الفرد وحلقة إيمانه لتبقى مرجعا ومعيارا للنص والسلوك .

إن أنسنة جيل اليوم مسؤوليتنا نحن ، وهذا لايتم إلا في إطار وحدة الجماعة البشرية والوحدة الوطنية ، ولا يتم إلا من خلال الأنشطة المشتركة على مختلف المستويات التربوية والاجتماعية بحيث تصبح منظمة الأفكار التألفية مثلها الأعلى بدل مجموعة الأشخاص القابلين للخطأ والشطط.

ثم إن أنسنة الجيل لا تتم إلا بإشاعة ثقافة الرشد وبرامج التربية المتواصلة الكفيلة بتنمية السلوك الموجه نحو الهدف والتسابق في البناء الحضاري مستخدمين ما يتوفر لديهم من وسائط ووسائل تربوية ناجعة.
وأخيرا أؤكد على أن عملنا لن يكتب له النجاح المنشود إلا إذا اتجه نحو الآباء والمربين حتى تكون التربية تفاعلية راجعة بحيث يؤثر جيل بالجيل الآخر. وسيكون نجاحه منقوصا حتما إذا لم تساهم المؤسسات التربوية الدولية كالاسيسكو و اليونسكو في عملنا التكاملي المناط بنا جميعا .

فليكن عملنا موازيا لعزمنا ليكون غدنا خيرا من يومنا

التنشئة الدينية والتحديات المعاصرة في عصر العولمة

أغار محمد عبد الكريم

01 - أهمية التنشئة الدينية

المقصود بالتنشئة الدينية ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان وتعويده منذ تفهمه أركان الدين وتعليمه من حين تمييزه مبادئ الأحكام الدينية.

ومما لا شك فيه أن التنشئة الدينية هي أساس إصلاح الأجيال وملاك تربيتهم الخلقية والنفسية، وهي منبع الفضائل ومبعث الكمالات بل هي الركيزة الأساسية لدخولهم في حظيرة الإيمان، وبدون هذه التربية الدينية لا ينهض جيل بمسؤلية ولا يتصف بأمانة ولا يعرف غاية ولا يتحقق بمعنى الإنسانية الفاضلة ولا يعمل لمثل أعلى ولا هدف نبيل، بل يعيش عيشة البهائم ليس له همّ سوى أن يسدّ جوعته ويشبع غريزته وينطلق وراء الشهوات والملذات، ويصاحب الأشقياء والمجرمين وعندئذ يكون من الزمرة الفاجرة والفئة الإباحية الضالة.

أما القانون وحده فهو لا يكفي لضبط السلوك الإنساني و" القانون أمرٌ لا بد منه لتنظيم شؤون الجماعة وتحديد علاقاتها ولكنه لا يصلح وحده ضابطا لسلوك البشر لأن سلطانه على الظاهر لا على الباطن، ودائرته في العلاقات العامة لا في الشؤون الخاصة. ومهمته أن يعاقب المسيء دون أن يستطيع مكافأة المحسن، على أن التحايل على القوانين ميسور، وتطويع نصوصها للأهواء مستطاع، والهرب من عقوباتها ليس بالشيء العسير، وإذا كان القانون عاجزا عن أن يكون زاجرا عن الشر ورادعا عن الجريمة والفساد، فإنه لأعجز وأعجز عن أن يكون دافعا إلى الخير أو باعثا على حق أو حافزا على عمل صالح.

ومهما افترضنا في القانون الإنساني من مطابقة العدل والحق، فإنه على كل حال ليس له قوة ذاتية وإنما قوته في " الحكومة" القائمة على رعايته وتنفيذه." [1]

ولقد عرف الناس بالمشاهدة والتجربة واستقراء التاريخ أن العقيدة الدينية لا يغني غناءها شيء في تربية الضمير وتزكية الأخلاق وتكوين البواعث التي تدفع الأفراد إلى عمل الخير وأداء الواجب وإن لم يكونوا بأعين الرقباء وإن لم يكن السوط على الحائط.

---

[1]- الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوي ، ص – 205

ولهذه الصلة الوثيقة بين الدين والأخلاق انتبه علماء التربية والاجتماع في كثير من الأمم فأصدروا توجيهاتهم وأعلنوا عن آرائهم ووجهات نظرهم بأنه من غير دين لا يتمّ استقرار وبغير إيمان بالله لا يتحقق إصلاح ولا يتقوّم خلق. وإليكم طائفة من آرائهم وتوجيهاتهم.

- " يقول الأديب الفرنسي الشهير – فولتير Voltaire – ساخرا من طبقة الملحدين الماديين المشككين : لِمَ تشككون في الله، ولولاه لخانتني زوجتي، وسرقني خادمي !!... "
- ويقول الدكتور – هنري لنك (Henry Link)- الطبيب النفسي الأمريكي في كتابه العودة إلى الإيمان (Return to the faith) : " فإن هؤلاء الآباء الذين كانوا يتساءلون كيف ينمّون عادات أولادهم الخلقية ويشكلونها، في حين ينقصهم هم أنفسهم تلك التأثيرات الدينية التي كانت قد شكلت أخلاقهم من قبل، كانوا في الحقيقة يجابهون مشكلة لا حل لها، فلم يوجد بعد ذلك البديل الكامل الذي يحل محل تلك القوة الهائلة التي يخلقها الإيمان بالخالق وبناموسه الخَلقي الإلهي في قلوب الناس..."
- وقد أعلن الفيلسوف – كانت (Immanuel Kant) – أنه لا وجود للأخلاق دون اعتقادات ثلاث: وجود الإله، وخلود الروح، والحساب بعد الموت." [2]
- " وقال الفيلسوف الألماني – فيخته-(Johann Gottlieb Fichte : " الأخلاق من غير دين عبث" .
- وقال الزعيم الهندي المعروف –غاندي- " إن الدين ومكارم الأخلاق هما شيء واحد لا يقبلان الانفصال ، ولا يفترق بعضهما عن بعض ، فهما وحدة لا تتجزأ، إن الدين كالروح للأخلاق ، والأخلاق كالجو للروح ، وبعبارة أخرى الدين يغذي الأخلاق وينميها وينعشها، كما أن الماء يغذي الزرع وينميه."
- وقال القاضي البريطاني – دينتج (Denning)- معقبا على فضائح وزير بريطاني سابق في علاقة خلقية :" بدون الدين لا يمكن أن تكون هناك أخلاق، وبدون أخلاق لا يمكن أن يكون هناك قانون !!.." [3]

ومن هنا يتبين أن الدين هو المصدر الفذ المعصوم الذي يعرف منه حسن الأخلاق من قبيحها، والدين هو الذي يربط الإنسان بمثل أعلى يرنو إليه ، ويعمل له، والدين هو الذي يحد من

[2]- تربية الأولاد في الإسلام - عبد الله ناصح علوان جزء 1 – ص- 172 – 173

[3]- المرجع السابق ص 180

أنانية الفرد، ويكفكف من طغيان غرائزه، وسيطرة عاداته، ويخضعها لأهدافه ومثله، ويربي فيه الضمير الحي الذي على أساسه يرتفع صرح الأخلاق.

02 - التنشئة الدينية أمام تحديات عصر العولمة

والآن نحاول أن نحدد نوعية الأزمة وطبيعة المشكلات التي نواجهها في العصر الراهن تجاه التنشئة الدينية للأجيال مع التركيز على تحديات العولمة الثقافية والفكرية والعقدية التي يواجهها شبابنا وفتياتنا والأخطار والفتن الأخلاقية التي تحيط بهم من كل جانب مع محاولة تقديم الحلول الدينية السليمة لهذه المشكلة والقادرة على أخذ هذه الأجيال إلى شاطئ النجاة وحمايته من الغرق في هذا البحر المتلاطم المليء بالتيارات والفتن والشهوات وأمواج الشر والفساد ووقايتهم من هذا الجو الملوث بالأفكار المنحرفة والشبه الزاحفة.

إن الشباب هم الفئة الأكثر تضررا من الجوانب السلبية والإفرازات السيئة لهذا العصر، عصر العولمة. فهم يعيشون اليومَ أزمة نفسية وفكرية وسلوكية نتيجة للتناقض بين القيم الدينية التي يؤمنون بها والقيم المادية التي أصبحوا متأثرين بها ويمارسون كثيرا منها تحت ضغط وإلحاح وسائل الإعلام والقنوات الفضائية أو تحت تأثير عادات وموضات اجتماعية لا صلة لها بأديانهم، لقد أصبحوا في جمهورهم جيلا تائها ضائعا ضعيف الإيمان قليل المعرفة والالتزام بعقائده الدينية فكانت النتيجة أن أصبح فريسة سهلة لأعداء الأديان وأعداء الفضيلة والأخلاق من أصحاب الإعلام الفاسد والبث الأفن المباشر وقنوات العبث الفاجرالتي بات واضحا لكل ذي عقل وبصيرة، أنها تفسد أكثر مما تصلح، وضررها أكبر بكثير من نفعها، إذ لا هم لها ولا غاية سوى إثارة الغرائز والشهوات والترويج للفتن والمنكرات وتزيين الرذيلة والجريمة والمخدرات في أذهان الشباب والفتيات وإغراقهم بأمور عبثية لا طائل من وراءها وشبهات فكرية بليغ خطرها مدمر أثرها وجعلهم يعيشون حياة الغفلة والبعد عن الدين.

ففي مثل هذه البيئة الخطيرة يواجه الآباء والأمهات والمربون والمربيات الحريصون والحريصات على تنشئة أولادهم وبناتهم نشأة دينية صالحة تحديات عديدة، ونحاول هنا أن نحدد بعض التحديات التي نراها أشد خطرا على التنشئة الدينية في هذا العصر، عصر العولمة.

1. العولمة الثقافية

إن أخطر أنواع العولمة هي العولمة الثقافية التي أثرت تأثيرا سلبيا مباشرا في التنشئة الدينية. فالعولمة الثقافية قد طرحت تساؤلات جديدة وقديمة حول قضايا حساسة تمس العقائد والديانات إضافة إلى تسييد

وتغليب العلم - بمفهومه المحدود- على أي من الأسباب الأخرى للحياة. ويقول صناع العولمة إن القرن الحادي والعشرين هو قرن العلم والعولمة، هو قرن هيمنة العلم والعولمة على مسار البشرية، فالعلم والعولمة هما شعار العصر وأداة الحضارة المعرفية الجديدة. والخطورة لا تكمن في موقفهم هذا ، بل الخطورة الحقيقية تتمثل في قولهم إننا في عصر العلم لا في عصر الدين فقد أدى الدين في رأيهم دوره ولم يعد له في الحياة الحديثة مكان.

وحجة هؤلاء كما يشرح لنا الدكتور يوسف القرضاوي :

أولا: أن الحضارة لا قيام لها إلا بالعلم، والدين يعادي العلم، والغرب الحديث لم يبلغ ما بلغ من الرقى إلا حينما رفض منطق الدين، وآمن بمنطق العلم.

فإذا أردنا أن نجاري الغرب في مدينته وحضارته فعلينا أن نسير سيره، ونخلع ربقة الدين من أعناقنا، وإلا بقينا في نطاق التخلف والانحطاط.

ثانيا: التسليم بما ذهب إليه فيلسوف المدرسة الوضعية الفرنسية ((أوجست كومت - Aguste Comte -)) من القول بقانون الأدوار الثلاثة التى بدأت بالدين، وثنت بالفلسفة ، وانتهت بالعلم، وهو غاية المطاف.

ثالثا: ترديد ما قاله ماركس - (Karl Marx-) : إن الدين أفيون الشعب ، فيتعين منعه ومقاومته حتى يتخلص الشعب من الخنوع والتسليم والإذعان، وينهض للمطالبة بحقوقه، ويثور على الأوضاع الظالمة الفاسدة.[4]

حجة هؤلاء قديمة وهي جديدة أيضا يحيون رؤيتهم هذه عن الدين والعلم في صورة مستمرة بأسماء وشعارات مختلفة عبر التاريخ. تارة بالتنوير وتارة بالعلمانية والحداثة وما بعد الحداثة وباسم العولمة تارة أخرى. والمهم أن هذا العصر عصر العولمة يفرض الثقافة التي أقامت وتقيم القطيعة مع الله والدين ليبلغ حد الاستفزاز لأي لون من ألوان الإيمان بأي دين من الأديان. عندما يعرّف أحد الحداثيين الحداثة عند واحد من أبرز دعاتها المعاصرين الدكتور محمد أركون فيقول عنها : " إنها القول بمرجعية العقل وحاكميته وإحلال سيادة الإنسان وسيطرته على الطبيعة مكان أمبريالية الذات الإلهية وهيمنتها على الكون.[5]

فلا حاجة إلى بيان عظم خطورة هذه الرؤية وشراسة هذا التحدى أمام التنشئة الدينية. إذ أن مفهوم العولمة الثقافية كما يقول الدكتور فتحي يكن " مفهوم شامل سريع النمو والتغلغل يفرض ذاته من خلال

[4]-الدين في عصر العلم – الدكتور يوسف القرضاوي، طبعة وهبة، ص: 9،10

5_ مسيرة التقدم والحداثة بين أنصاف زيتون وأشبار أركون – مقالة في صحيفة (الحياة) – لندن – أنظر : مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية للدكتور محمد عمارة ، طبعة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ص: 37

وسائل شتى وتصعب مقاومته، هذا الزحف للعولمة من الخارج يواكبه حركة موازية من الداخل، من داخل الأمم المستهدفة ذاتها من خلال مؤتمرات يصنعها الغرب ويبرمج توسعاتها ونتائجها...[6]

2. عولمة القيم اللادينية

ومع العولمة الثقافية تتم أيضا عولمة القيم اللادينية المبنية على الرؤية الثقافية لدى صناع العولمة وإذا نحن شئنا أن نضرب مثلا على نماذج لعولمة القيم الغربية اللادينية تكفينا وثيقة ((برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية)) الذي عقد بالقاهرة سنة 1994م تكفي هذه الوثيقة وزيادة لتجسيد معنى عولمة القيم اللادينية العلمانية وفرضها على مختلف الأمم والشعوب والدول والحضارات والمعتقدات والثقافات.

فالأسرة قيمة من القيم الرفيعة عند جميع الأديان. والحفاظ عليها فطرة إنسانية فطر الله الناس عليها. ولهذه الأسرة مفهوم ديني يقيمها على الزواج الشرعي في ظل علاقات وواجبات وحقوق الأبوة والأموة والبنوة وفق منظومة من القيم تجعل هذه الأسرة واحة السكن والسكينة والمودة والرحمة المحكومة بالميثاق الغليظ، لكن وثيقة مؤتمر السكان كما يبين لنا د. محمد عمارة " تسعى لعولمة التحلل والتفكك الأسري، الذي نخر وينخر في عظام المجتمعات الغربية – التى عزفت عن ((الزواج)) واستبدلته ((بالرفقة)) .. والتى أصبح 40% من طفولتها تولد خارج الأسر الشرعية ، أي عن طريق الزنا، و 50% من هؤلاء الأطفال يعيشون خارج الأسر الشرعية – أي مع ((رفيق)) الأم، أو ((رفيقة)) الأب، - والتى يهدد الانقراض العديد من شعوبها بعد عدة عقود... وتهدد الشيخوخة الكثير من هذه الشعوب بعد عدة سنوات - .. تسعى وثيقة مؤتمر السكان لعولمة منظومة القيم الغربية المدمرة للأسرة، فتدعو – صراحة – و" بإلحاح الحكومات والمنظمات الحكومية الدولية، والمنظمات غير الحكومية المعينة، ووكالات التمويل، والمؤسسات البحثية إلى إعطاء أولوية للبحوث الحيوية المتعلقة بتغيير الهياكل الأسرية.." [7]

ويمكن تلخيص الهدف من عولمة الثقافة والقيم في النقاط الآتية :

- تغييب دور الأسرة والعمل على تفكيكها.
- تهميش دور الأم التربوي في صناعة الجيل وإعلاء دورها كعاملة خارج المنزل.
- إضعاف دور المؤسسات التربوية في التنشئة حسب معتقدات وأخلاق وثقافة المجتمع وحصر دورها في نقل معلومات أو إعطاء معارف عامة.

6 _ العولمة ومستقبل العالم الإسلامي – الدكتور فتحي يكن، طبعة مؤسسة الرسالة ناشرون، ص: 45

7 _"مشروع برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية " – القاهرة في 5- 15 سبتمبر سنة 1994م – الترجمة العربية الرسمية – الفصل الثاني عشر – الفقرة : 24 – طبعة سنة 1994م، انظر : مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية – د. محمد عمارة ، طبعة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص- 24

- إضعاف التكوين الديني لدى الشباب والنشئ ببث الشبه وإثارة الشهوات.
- الوصول بالأفراد إلى حالة سهولة التأثر بالثقافة الوافدة من خلال نشر الحرية الشخصية وما إلى ذلك من المفاهيم المغلوطة لدى صناع العولمة.
- إيصال الفرد إلى الشعور بالاغتراب الثقافي عن أسرته ووطنه وتراثه الديني.

ويتم تحقيق هذه الأهداف بآليات كثيرة وبالاستفادة من جميع التقنيات الحديثة.

3. وسائل العولمة وأدواتها:

وتقف وراء العولمة أسباب ووسائل كثيرة متطورة ومتكاثرة. وهي أيضا من المخاطر التي يتعرض لها الجيل الناشئ وتقف عقبة كبيرة أمام تنشئتهم وفق المعتقدات الدينية المطلوبة. ومن تلك الوسائل:

❖ وسائل الاتصالات:

- الإنترنت
- الهاتف على أنواعه (الثابت والمتحرك)
- التلكس – الفاكس

❖ وسائل الإعلام:

- المرئي (الأرضي – الفضائي)
- المسموع
- المقروء (صحف- مجلات- وكالات أنباء)

❖ وسائل التثقيف:

- المعاهد والجامعات
- مراكز البحوث والمعلوماتية
- دور النشر
- الكتب

❖ وسائل المواصلات:

الجوية (نقل الركاب – السياحة – الشحن)

البحرية (للركاب – الساحة – الشحن)

البرية (للركاب – السياحة – الشحن)

لقد ساهم تطوير تكنولوجيا الاتصال في تعميم مخاطر العولمة ومساويها وفي نقل مجموعة القيم العلمانية المعادية للدين ومعتقداته إلى أجزاء العالم المختلفة عامة وإلى عقول جيل الشباب بصفة خاصة حتى قال بعض العلماء إن الجيل الجديد ينشئه ثلاثة آباء : الأب والأم والتليفزيون، وليس االتيلفزيون وحده يعمل عمله، بل جملة تلك الوسائل السابق ذكرها تضجّ بأجيالنا وتحقق مجتمعة الانسلاخ عن الهوية الثقافية من خلال قوة تأثيرها وهيمنتها ومن خلال ضعف الجهات المقاومة لها التي تفتقر إلى الوسائل التقنية والتكنولوجيا فضلا عن فقدانها للحرية والقدرة على المواجهة. إنه انسلاخ عن الهوية بكل معنى الكلمة، وأجيالنا سائرون في ذلك النفق إذا لم نراجع حساباتنا ونستنفر طاقاتنا وقوانا في خضم هذه الموجة العارمة من الشر والفساد يعيش فيها الشباب مرحلة خطيرة للغاية يواجهون فيها تحديات عديدة ثقافية وفكرية وأخلاقية ويتعرضون لحرب ثقافية شرسة تستهدف الفتك بعقولهم وغسل أدمغتهم وتسميم أفكارهم وزلزلة عقائدهم وزعزعة ثوابتهم الدينية وتقويض قيمهم وأخلاقهم.

وهذه بعض التحديات التي يواجهها الآباء والأمهات والمربون أمام تنشئة الأجيال نشأة دينية في هذا العصر – عصر العولمة، وإذا كنا قد حددنا أمثلة من التحديات فما علينا إلا أن نبين كيف يمكن لنا أن نتغلب على تلك السلبيات أو على الأقل كيف تقلل منها. أولاً في ضوء ما تدارسناه سابقا يبرز التساؤل الآتي :

هل نحن الآباء والأمهات والمربين والمربيات موفقون وناجحون في تنشئة الجيل الراهن كما ينبغي أن يكون ، إنه سؤال مهم والإجابة عنه لا تحتمل التأخير وآمل أن يسهم في الإجابة عنه جميع المهتمين والمهتمات بقضايا الشباب والفتيات ومشكلاتهم وهم أمل هذا العالم وحاضره ومستقبله.

والحل الوحيد باختصار شديد هو تعميق الصلة بين الشباب والقيم الدينية، وأنه لا سبيل لوقاية شبابنا وفتياتنا من الآثار السلبية للعولمة وملحقاتها إلا بتحصينهم بعقائدهم الدينية.

04. المنطلقات الأساسية للحفاظ على هوية الأجيال وتنشئتها دينيا

وهنا نريد تقديم المقترحات الآتية كمنطلقات أساسية للحفاظ على هوية الأجيال الدينية أمام تحديات عصر العولمة.

- تدريب الأجيال على كيفية التعامل مع مستجدات الحياة ومتغيرات العصر بما يمكنهم من جلب ما فيها من المصالح والمنافع وتكثيرها والاستفادة منها ودرء ما فيها من المفاسد وتقليلها إن لم يتمكنوا من منعها.

- ولا يكفي التوجيه والإرشادات فقط، بل لا بد كذلك من وضع خططٍ وبرامج لإعداد الشباب والفتيات إعدادا عقديا وعلميا وفكريا ونفسيا وسلوكيا يتناسب مع التحديات والمشكلات التي تواجههم في هذا العصر وتمكّنهم من التمسك بثقافتهم وهويتهم الدينية.
- ويجب على الآباء والأمهات والمربيين وعلماء الدين تشجيع الشباب على أداء التكاليف الدينية من عبادات وطقوس ومعاملات وأخلاقيات وتهيئة المناخ الصالح والصحبة الطيبة والقدوة الحسنة والرقابة المستمرة في البيت وفي المدرسة وفي دار العبادة وفي كل مكان.
- وينبغي لمؤسسات التنشئة مثل المدرسة والجامعة ودار العبادة والإعلام بوسائله المختلفة أن تنطلق جميعها من أساس مشترك وتسعى لتحقيق غاية واحدة فيما يتعلق بتربية الأجيال ويكون ذلك وفق سياساتٍ وبرامج محددة للجميع مبنية على أسس دينية. ومن المهم أن تتضمن تلك البرامج والسياسات ما يمنع ذلك التناقض الذي يحدث أحيانا بين ما تدعو إليه وتقدمه مؤسسة من مؤسسات التنشئة في المجتمع وما تقدمه وتدعو إليه مؤسسة أخري.

وتعد الجامعات من أبرز مؤسسات المجتمع التي يمكن لها أن تمارس دورا مهما ومؤثرا في حماية أبناء المجتمع وبناته من الجانب السلبي للعولمة وملحقاته وخصوصا في بعدها الثقافي من خلال الأبحاث العلمية والندوات والمحاضرات الفكرية التي تعقدها كما تعمل على تطوير مناهجها وأساليبها التعليمية على نحوٍ يتم فيه توثيق صلة الشباب بدينهم وأن يكون هدفها بناء العقول لاحشو الأذهان، ولن يتم ذلك إلا بالربط بين النظرية والتطبيق في مقرراتها كلما كان ذلك ممكنا.

- ولا بد من اعتماد وسائل جديدة في الخطاب الديني على جميع المستويات وفي مختلف الميادين بهدف تحقيق الأصالة والمعاصرة لمواجهة سلبيات العولمة وتلافي مخاطرها الحالية أو المستقبلية بلا إفراط أو تفريط.
- إعداد عناصر فعالة مستوعبة لأحكام الدين وأساليب وتقنيات العصر المتطورة لتغذية وسائل الإعلام وإحداث تغيير ملموس يهدف إلى تنشية أجيال قادرة على التفكير والتغيير في إطار القيم الدينية الراسخة.
- وعلى المؤسسات التعليمية والتربوية والاجتماعية والإعلامية وهيئات الشباب إقامة ندوات توعية وإجراء بحوثٍ ميدانيةٍ ترصد ظاهرة العولمة في مختلف الجوانب الثقافية والعقدية والسلوكية. وذلك لتوعية الأجيال الناشئة بأخطارها على مختلف المستويات الثقافية والدينية.

المراجع

1. مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، د. محمد عمارة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،2005م
2. مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية ، د. محمد عمارة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع 2006.
3. العولمة ومستقبل العالم الإسلامي ، د. فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة، 2007.
4. الدين في عصر العلم، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، 1995 .
5. الإيمان والحياة ، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة ، 1982.
6. العولمة في ميزان الإسلام ، من رسائل جمعية الإصلاح الاجتماعية، الكويت ، 2001
7. تربية الأولاد في الإسلام ، عبد الله ناصح علوان ، دار السلام - القاهرة ، 1995.
8. أزمة الشباب المسلم في عصر العولمة الثقافية –مرزوق بن محمد العشير ، مقالة في صحيفة الجزيرة ، 2000.11.17م .
9. سلبيات العولمة وتأثيرها على الجيل ، د. سناء بنت محمود عابد الثقفي و د. فوز عبد اللطيف كردي ، ورقة عمل، موقع www.drfouz.com

دور الأسـرة في تنشئــة الجيـل الجديـد من منظور ديني

الدكتور عبد الكبيـر العلــوي المـدغــري

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

الأسرة هي النواة الصلبة في المجتمع وأساسه، وهي قائمة في الإسلام على العلاقة الشرعية والميثاق الغليظ الذي بين الزوج والزوجة.

يقول الله تعالى: **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة...).**

ويقول عز وجل **(وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا)** والذرية التي تنشأ من تلك الأسرة ذرية مؤمنة بالفطرة، شهد الله لهم بالإيمان وأشهدهم على أنفسهم حين قال تعالى: **(وإذ أخذ ربك من بني آدام من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)** الأعراف 172.

وقد اعتنى الإسلام بتلك الذرية عناية فائقة سواء بواسطة التوجيه الأدبي والأخلاقي والتربوي الذي يحمل الآباء مسؤولية الرعاية، والتربية، والتنشئة الصالحة، أو بواسطة الأحكام الشرعية التي تحدد حقوق الطفل وواجبات الأبوين نحوه، ووسائل الإلزام الشرعي التي تخرج الأمر من دائرة الاختيار إلى دائرة التكليف، ومن دائرة الرخص إلى دائرة العزيمة.

لقد اختار الغرب نظاما اجتماعيا حداثيا يمتاز بالحرية والاختلاط بين الجنسين منذ الصغر، واستقلال المرأة واستقلال الأولاد عن الأبوين منذ سن مبكر، بالإضافة إلى ارتباط النساء بالرجال بعلاقات غير شرعية، وقبول الأولاد الطبيعيين الناتجين عن تلك العلاقة، والزواج المثلي، وغير ذلك من مظاهر المجتمع الحداثي التي أدت إلى ظهور أجيال متمردة على النظام الأسري التقليدي، وإلى تفكك الأسرة والتوجه نحو الفردانية التي تريد أن تجعل الفرد هو الأساس وهو النواة الصلبة للمجتمع بدل الأسرة.

إنها قيم جديدة تولدت عن الليبرالية، وعن العولمة، وعن الفلسفة المادية ونضال منظمات المجتمع المدني والمنظمات النسائية، من أجل التمكين للمبادئ والقيم الكونية لحقوق الإنسان، وحقوق المرأة والطفل.

ونحن لا ننتقد هذا النظام، وإنما ذكرنا بعض الخصائص والمميزات والمعالم التي جعلته مختلفا عن نظامنا، مع العلم أننا نقبل التنوع، ونرحب بالاختلاف، ونحترم اختيار الآخرين.

ولكننا في نفس الوقت لا نقبل غزو هذا النظام المجتمعي الحداثي لديارنا، والإصرار على تغيير التشريعات المتعلقة بالأسرة والمرأة والأطفال كمقدمة لتكريس النظام الأسري الحداثي.

إن فرض مبادئ وقيم الحضارة الغربية على أمتنا الإسلامية، سيدخلنا في فتنة صراع الحضارات، وهذا ما لا نتمناه لأنفسنا وللآخرين.

إن الحضارات الإنسانية تستطيع أن تخدم الإنسان بتنوعها واختلافها وما فيها من تعدد، وابتكار، وإبداع، ونحن ندعو إلى مد جسور التواصل والتعارف مصداقا لقول الله عز وجل: **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم).**

وإننا مقتنعون بوجود أنظمة مجتمعية ممتازة لدى غيرنا، وأشياء كثيرة صالحة للاقتباس، وأشياء كثيرة كانت وراء التقدم والتطور في المجتمع الغربي تتعلق بالتربية، والتعليم، وتعليم البنات وتأهيلهن لاكتساب المعارف، والوصول إلى أعلى الدرجات في جميع الميادين، وما تم توفيره للطفل من رعاية صحية وحماية قانونية.

وكل ذلك وغيره من محاسن ذلك النظام، من واجبنا أن نطلع عليه، ونقتبس منه، وتقليد غيرنا فيه بلا حرج ولا تردد.

ونقدم هنا جملة مما جاء به الإسلام في رعاية الأجيال الجديدة وتنشئتها التنشئة الصالحة ومسؤولية الأسرة في ذلك.

ونستطيع القول إن الإسلام جاء بمنظومة تربوية تنسجم وتتكامل مع تعاليمه الدينية، سواء منها تلك التعاليم التي تتعلق بالعقيدة، أو تلك التي تتعلق بالشريعة، فهي منظومة تربوية لها روح، وغايتها تنشئة الأجيال على الإيمان، والإسلام، وعمارة الأرض وإصلاحها، وتكوين خير أمة أخرجت للناس، وتحقيق العبودية لله عز وجل والتي هي غاية الخلق **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).**

ولذلك كان أول شيء يلقن للطفل في الإسلام بعد ولادته مباشرة هو (كلمة لا إله إلا الله) عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ‹‹ افتحوا على صبيانكم أول كلمة بـ: لا إله إلا الله››[1]، وعن أبي رافع قال: ‹‹رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة›› وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم: ‹‹ أذن في أذن الحسن اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى››.

هذا جانب العقيدة في التربية الإسلامية.

أما جانب الشريعة والأحكام الشرعية، فأول ما نفتح به على صبياننا إعدادهم لأداء ركن الصلاة بتأنيسهم بحفظ آيات من القرآن الكريم، حتى إذا بلغوا سبع سنين، أمرناهم بالصلاة، فإذا بلغوا عشرا ولم يصلوا ضربناهم عليها وحملناهم عليها حملا. وفي هذا الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ‹‹ مروا أولادكم بالصلاة إذا كانوا بني سبع واضربوهم عليها إذا كانوا بني عشر››.

ثم بعد ذلك يأتي التأديب بآداب القرآن، والسنة، والتعليم الشرعي والمادي، واكتساب المعارف والمهارات، وتربية الجسم وسائر القدرات، والترقي في مدارج الكمالات، وإتقان التكنولوجيا، والمهن، والصناعات، ومزاولة الاختراعات، وتطوير الابتكارات والإبداعات في جميع المجالات، مما يؤدي إلى قوة الأمة وازدهارها وعزتها ورقيها، ويسهم في نمو الحضارة واتساعها، وسعادة الإنسانية وأمنها وسلامها.

وسنلاحظ أن الشريعة الإسلامية وفرت للطفل مدونة كاملة ودقيقة وشاملة تغطي جميع مراحل حياته وجميع أطوار طفولته، وتضع ضمانات تحمي حقوقه في الأحوال العادية وفي الأحوال الغير العادية وفي جميع الظروف.

الإسلام اهتم بالطفل نطفة في صلب أبيه، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ‹‹ تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس›› وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن نختار لأمهات أولادنا النساء الغريبات عن أسرنا، حرصا على قوة النسل، فقال صلى الله عليه وسلم: ‹‹ اغتربوا لا تضووا›› أي حتى لا تضعفوا. تزوجوا الغريبات ولا تتزوجوا القريبات، حتى لا يتطرق من ذلك ضعف إلى نسلكم، وهذا ما كانت تفعله العرب وسجله الشاعر في مقام الفخر بقوله:

فتى لم تلده بنت عم قريبة ليضـــ

ـــوى وقد يضوى سليل الأقارب

(1) تحفة المودود لأبي القيم

يصفه بالقوة والصلابة.

وحرم الشرع الكريم الزنى، حتى لا تتطرق الأمراض التناسلية إلى الجنين وتضر به، وحمى الجنين في بطن أمه، فمنع إسقاطه وإجهاضه.

فمما روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن امرأتين من هذيل تخاصمتا، فرمت إحداهما الأخرى، فأسقطت جنينها، فقضى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بغرة: عبد أو أمة.

ثم إن عناية الشريعة الإسلامية بالجنين، امتدت آفاقا أخرى، فأباحت للمرأة الحامل الإفطار في رمضان، رفقا بجنينها وحتى لا يتضرر بالصيام، ومنعت إقامة الحد عليها، إلى أن تضع جنينها، رحمة بها ورحمة بذلك الجنين، وحماية له، كما أن الشريعة الإسلامية قررت للمرأة الحامل نفقتها وبقاءها في مسكن الزوجية إلى أن تضع حملها، وحتى لا تشرد الزوجة الحامل بعد الطلاق أو الوفاة، فيصاب الحمل بضرر.

ثم إن الشريعة الإسلامية اعتنت بهذا الجنين عندما يخرج إلى الدنيا، وأبرمت له أحكاما تظهر مدى العناية به في أبسط الجزئيات وأدقها، فشرع لنا الأذان في أذن المولود اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى كما تقدم، حتى يكون اسم الله تعالى أول ما يقع على هذا الطفل، ويحنك الطفل، بتمرة وتذبح له العقيقة في سابعه. والعقيقة مأخوذة من الشعر الذي يكون فوق الرأس، لأنه في يوم السابع تذبح العقيقة ويحلق رأس الصبي، وتسمى تلك الذبيحة التي ذبحت بمناسبة حلق ذلك الشعر الذي هو العقيقة عقيقة، ويسمى الطفل.

والاسم من حق الأبوين، لكن إذا تنازعا فهو من حق الوالد لأنه الذي يذبح العقيقة، وهو الذي تقع عليه نفقة الولد، ومن حق هذا الولد على أبيه شرعا أن يتخير له الاسم الحسن، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ‹‹ إذا أبردتم إلي بريدا فأبردوه حسن الاسم حسن الوجه››. ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر بحلب ناقة فقام رجل ليحلبها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ‹‹ ما اسمك؟ قال: مرة، قال: أقعد، ثم قام رجل آخر ليحلبها فقال: ما اسمك؟ قال: جمرة، قال: اقعد، ثم قام ثالث ليحلبها فقال له: ما اسمك؟ قال: يعيش، قال: أحلبها››. ويروى أن سيدنا عمر بن الخطاب – وهذه الرواية رواها سيدنا نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما – كانت له بنت تسمى عاصية فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة. وهكذا شرع لنا الإسلام العناية حتى باسم الطفل واختيار أحسن الأسماء له.

ومع الاسم تأتي قضية النسب. والطفل بطبيعة الحال إما أن يكون معلوم النسب وإما أن يكون مجهول النسب. ومجهول النسب، هذا هو ما يعبر عنه باللقيط، هذا الطفل اللقيط الذي لا يعرف له أب أو أم، لم

تحرمه الشريعة من عنايتها ورعايتها، فعاملته نفس المعاملة التي يعامل بها معلوم النسب، ووفرت له جميع الضمانات للعيش الكريم، فقررت الشريعة الإسلامية أن اللقيط يكون لمن التقطه، وتلزمه نفقته إذا كان قادرا عليها، فإن لم يكن قادرا عليها فنفقة هذا اللقيط في بيت مال المسلمين.

ويروى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاءه رجل قد التقط لقيطا فقال له: خذه، لك ولاؤه وعليك نفقته، وهذا الشخص الذي يلتقط اللقيط ويكون له لا ينسبه إلى نفسه ولا يدعيه ولا يتبناه، لأن التبني ممنوع في الشريعة، وإنما تكون له الولاية عليه، والولاية إما ولاية على النفس، وإما ولاية على المال. وهكذا يباشر الشخص على هذا الطفل هذه الولاية بشقيها، ويبقى عنده إلى أن يتنازل عنه فيضم إلى ملجأ من ملاجئ الأيتام وينفق عليه من بيت مال المسلمين، أو تختل الشروط الواجبة في الملتقط كأن يرتد عن الإسلام فلا يصبح صالحا لولاية هذا الطفل، أو تظهر على أخلاقه ما تخشى منه على مستقبل هذا الطفل فننتزعه منه شرعا ونعهد به إلى من نطمئن على الطفل عنده.

هذا الطفل اللقيط إذا التقط في دار الإسلام فهو مسلم ولو التقطه نصراني، وإذا التقط في دار الكفر، فإذا التقطه مسلم فهو مسلم، وإن التقطه غير مسلم فهو غير مسلم. الشريعة الإسلامية اهتمت بهذه المسألة أيضا لأن إسلام الطفل تترتب عليه أمور كثيرة وهذا الطفل اللقيط من واجب من التقطه تعليمه وتهذيبه وتعليمه صنعة أو حرفة يصبح معها عضوا نافعا، صالحا في المجتمع.

والطفل كما يكون مجهول الأبوين يكون مجهول الأب، وكذلك قد يكون معلوم الأبوين ولكنه ولد بطريقة غير شرعية. هذا النوع من الأطفال بشقيه: الشق المجهول الأب والمعلوم الأم، والشق المعلوم الأبوين والمولود بولادة غير شرعية، أيضا لم تهمله الشريعة واعتنت به عناية كبيرة. فإذا كان الطفل مجهول الأب معلوم الأم فحقوقه مترتبة في ذمة أمه، عليها نفقته وحضانته وتربيته والعناية به، ويتوارث معها، ويكون أخواله أولياءه ولاية النفس وولاية المال. فإن لم يكن له أخوال يقومون بواجب الولاية فالقاضي ولي من لا ولي له. ففي جميع الأحوال لا نجد فرصة تضيع فيها حقوق الطفل في حضن الشريعة الإسلامية. كذلك الطفل المعلوم الأبوين والمولود بطريقة غير شرعية وهو ابن الزنى والذي وقعت ولادته بأي طريقة أخرى من الطرق غير الشرعية على حسب ما سنبينه. هذا الطفل أيضا، إذا كان لا يرث أباه ولا يرثه ولا ينسب إليه، ولا تقع على هذا الأب الغير الشرعي نفقة ولا شيء من الحقوق، فإنه بالنسبة للأم عكس ذلك: فأمه هي التي ينسب إليها وهي المكلفة بنفقته وحضانته وولايته. فإذن الشريعة الإسلامية، كما اعتنت بالطفل المعلوم النسب ومتعته بجميع الحقوق والضمانات كذلك اعتنت بالطفل مجهول النسب، واعتنت بالطفل مجهول الأب معلوم الأم، واعتنت بالطفل معلوم الأبوين، والمنحدر من طريقة غير شرعية.

من هذه النظرة السريعة تتبين عناية الشريعة الإسلامية بالطفل في أحرج الظروف والأحوال، وفي الأوقات التي يكون الطفل فيها أحوج ما يكون إلى من يمد له يد العون والمساعدة والدعم. وهنا تتبين حقيقة: سماحة الشريعة الإسلامية، ويسرها.

لكن كما تضيع حقوق الأولاد لأسباب راجعة إلى ما ذكرنا تضيع حقوق الأولاد أيضا لأسباب صناعية، ونقصد هنا أنه في السنين الأخيرة أخذ يظهر نوع جديد من الأبناء، ناتج عن التلقيح الاصطناعي أو ما يعرف بأطفال الأنابيب، وهذا النوع لابد أن نهتم به وأن نبحث في الشريعة الإسلامية عن أحكامه حتى لا نفاجأ بوقوع حالات يستعصي علينا حلها، ولا نجد للأبناء المنحدرين منها الحلول إلا بعد فوات الأوان.

وهذا التلقيح الاصطناعي يمكن أن يسمى بجميع صوره بـ ‹‹ التخليق››، لأن الخلق هو بيد الله تعالى وهو القادر عليه وحده، لأنه هو وحده الموجد لمادته الأولى والمخرج لها من العدم، أما التخليق فلا يتعدى معالجة المادة الأولية معالجة تؤدي إلى إظهار ما فيها من الخلق.

وقد عرف علماء الإسلام هذا التخليق وبحثوه من الناحية النظرية، ولكنهم لم يتابعوه من الناحية التطبيقية إلى أن يصلوا به إلى ما وصل به الغرب اليوم. فإذا رجعنا إلى مقدمة عبد الرحمان ابن خلدون نجد أن ذكر عملية التلقيح الاصطناعي وعملية التخليق في مقدمته بصورة واضحة، وذلك عندما كان يتحدث عن الكيمياء فقال: إذا سلمنا لمن يشتغل بالكيمياء قدرته على صنع الذهب من الحديد فإننا سنسلم للإنسان قدرته على تخليق الإنسان من الماء الذي يخلق به وهذا – قال ابن خلدون- لا يتسنى له إلا إذا كان محيطا بجميع أجزائه وأطواره ونسبته وتركيب ذلك، وعلم ذلك كله علما لا يعزب عنه فيه أي جزئية من جزئياته، وأنى له ذلك؟! وقف هنا ابن خلدون، وهذه إشارة كافية للدليل على أن علماء الإسلام بحثوا هذا الموضوع.

ثم جاء العلم الحديث وتم في بريطانيا سنة 1977م تلقيح لقيحة من الرجل والمرأة داخل أنبوب، ثم إرجاعها إلى رحم الأم، وولدت بعد ذلك الطفلة التي اشتهرت باسم طفلة الأنبوب، كما أنه انتزع جنين من رحم أمه، عمره خمسة أشهر، واحتفظ به في أنبوب اصطناعي، ثم وضع في رحم امرأة أخرى وولدت تلك المرأة، وتتابعت عمليات هذا النوع من التخليق، واستمرت حتى نتج عنها ما يسمى ببنك ماء الإخصاب ونتج عنها كذلك ما يسمى بتلقيح أو زرع المبيض أو زرع الرحم، ونتج عنها كذلك ما يسمى بالحمل بعد الوفاة وما إلى ذلك من العمليات. والعلماء، علماء الشريعة الإسلامية منذ أن بدأوا يتسامعون بأخبار هذا الفن الجديد، أخذوا يفكرون بجد في موقف الشريعة من هذا الأمر. وأصدروا فتاوى وعرضت القضية على مجمع الفقه الإسلامي بجدة، وأصدر فيها قرارات، ملخص هذا كله أن التلقيح الاصطناعي له أسلوبان:

أسلوب التلقيح الاصطناعي الداخلي وله صورتان:

الصورة الأولى: أن يكون الطرف الثاني زوجا للمرأة فيقع تلقيحها داخل رحمها من زوجها، هذه الصورة الأولى.

والصورة الثانية: أن يكون الطرف الثاني أجنبيا عن المرأة.

وقررت هذه الفتاوي والقرارات أن الإبن في الصورة الأولى يكون شرعيا، لأن عملية التلقيح تمت بين الزوجين فقط، وهي عملية داخلية في الرحم.

وأما في الصورة الثانية، فالولد فيها غير شرعي ولا ينسب إلى ذلك الأب، ولا يترتب له أي حق من الحقوق الشريعة، وإنما ينسب إلى المرأة التي ولدته.

والأسلوب الثاني: هو أسلوب التلقيح الصناعي الخارجي وله خمس صور، وهذا التلقيح هو الذي يتم فيه التقيح خارج الرحم داخل أنبوب أو طبق اصطناعي، وتبقى هذه اللقيحة في هذه الآنية إلى أن تتكاثر وتتقسم وتصل إلى حد معين وأجل مضبوط، ثم بعد ذلك تزرع في رحم الزوجة أو في رحم امرأة أخرى وله خمس صور.

الصورة الأولى: أن تؤخذ اللقيحة من الزوجين وعندما تنمو وتنقسم وتتكاثر وتزرع في رحم الزوجة نفسها، هذه الصورة الأولى، وقرر العلماء أن الولد في هذه الصورة شرعي وبنوته شرعية.

الصورة الثانية: أن تؤخذ اللقيحة من الزوجين ثم تزرع في رحم الزوجة الثانية لذلك الزوج في حال تعدد الزوجات، أي ضرتها تنوب عنها في الحمل، هذه الحالة قال العلماء أيضا: إن الولد شرعي وينسب إلى ذاك الأب لأنه ليس هناك طرف أجنبي.

والصورة الثالثة: أن تؤخذ اللقيحة من الزوجين وتزرع في رحم امرأة أجنبية متزوجة بالغير، هذه الحالة قرر العلماء أن الولد غير شرعي ولا ينسب إلى ذلك الأب.

الصورة الرابعة: أن تؤخذ اللقيحة من شخصين أجنبيين وتزرع في رحم الزوجة نفسها، هذا الولد أيضا في هذه الحالة غير شرعي.

والصورة الخامسة: هي أن تؤخذ اللقيحة من شخص أجنبي وامرأة أجنبية وتزرع في امرأة تتطوع بالحمل أو تستأجر رحمها، وهذه الحالة أيضا، حالة تكون فيها البنوة غير شرعية.

هذا ملخص هذه الفتاوي والقرارات التي عالج بها العلماء هذا المشكل وهي معالجة جديدة وبذلوا فيها – جزاهم الله خيرا- كامل الجهد.

واهتمت الشريعة بوضعية الطفل في حال انفصام العلاقة الزوجية بالطلاق، أو التطليق، أو موت أحد الزوجين، فوضعت نظام الحضانة ونظام الولاية على النفس والولاية على المال.

واعتنت الشريعة بالطفل يتيما، وأكد القرآن الكريم على ذلك في عدد من الآيات كلها تحض على رعاية الأيتام وصيانة أموالهم، والسهر على مصالحهم وتحرم الاعتداء على حقوقهم، ويكفي قوله تعالى: **(فأما اليتيم فلا تقهر)** وقوله سبحانه: **(إن الذين ياكلون أموال اليتامى ظلما إنما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا)** النساء 10. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ‹‹أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين – يشير إلى السبابة والوسطى، وفرج بينهما›› أخرجه البخاري.

وبعد هذه الإشارات إلى هذه المجموعة من الأحكام الشرعية التي أوضحت عناية الإسلام بالطفل في الرخاء والشدة وفي اليسر والعسر وفي جميع أحواله وظروفه الشخصية والاجتماعية والمعاشية لضمان تنشئته التنشئة الصالحة، وحفظ حقوقه كلها، وتوفير جميع الضمانات التي تحميه وتساعده على النمو الطبيعي في الوسط الطبيعي الكفيل بجعله إنسانا صالحا لنفسه ومجتمعه وأمته.

ننتقل إلى بيان عناية الإسلام بتربية النشىء، ودور الأسرة في ذلك، وكيف اهتم علماء الإسلام بهذا الموضوع ورسموا معالم النظرية التربوية الإسلامية التي تضطلع الأسرة فيها بدور أساس.

لقد أشار نبينا سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إلى ما للأسرة من تأثير على تربية الناشئة منذ وقت مبكر من حياة الطفل حين قال: ‹‹ كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه››(1).

كما أن الإسلام اهتم بضمان الرحمة، والعطف، والحنان في هذا الوقت المبكر من حياة الطفل، وقد أعطى نبينا عليه السلام المثل، ورسم القدوة للمسلمين في ذلك، أخرج البخاري في صحيحه عن أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها››.

(1) أخرجه البخاري

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد، ما قبلت أحدا منهم، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ‹‹من لا يرحم لا يرحم››.

وفي هذا الجو المفعم بالرحمة والحب والعطف والحنان أمر الإسلام بالعناية بتأديب الطفل وغرس مكارم الأخلاق في نفسه وغرس حب العلم والتعلم في قلبه والتدرج به في تحفيظه آيات القرآن الكريم وتلقين مبادئ العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها.

كما جعل الإسلام طلب العلم فريضة في حق كل مسلم بلغ سن التكليف، فينتقل الطفل إلى مرحلة أخرى يصبح فيها طلب العلم واجبا وليس مجرد حق، وتصبح الأسرة ملزمة بإعانته على طلب العلم، والأمة ملزمة بإعداد المدارس والكتب وكل ما يفتح أمام النشىء أبواب التبحر في العلوم والمعارف.

وقد اهتم علماء الإسلام كما أسلفنا ببناء تصور كامل لما يجب أن تكون عليه تنشئة الأجيال، والعملية التربوية بصفة عامة من منظور إسلامي، وألفوا في ذلك الكتب النفيسة والرسائل الحسنة.

ومما أذكره في هذا الباب كتاب لملك المغرب السلطان العالم سيدي محمد بن عبد الله تحت عنوان: ‹‹مواهب المنان بما يتعين على المعلمين تعليمه للصبيان››.

كما أن الإمام أبا حامد الغزالي والمؤرخ عبد الرحمان بن خلدون، وأبا بكر بن العربي المعافري، وأبا عمر بن عبد البر، وأبا الحسن القابسي، وغيرهم من كبار العلماء كتبوا قبل ذلك وبعده، وخلدوا أراء في علم التربية التزم بها الناس وساروا على هديها، وكانت منهجا في المدارس والتكايا والحوزات والمحاضر، الشيء الذي يدل على أن العملية التربوية في عالمنا الإسلامي كانت في بؤره اهتمام المجتمع والدولة والعلماء.

وقد أحسن الدكتور محمد أحمد الصالح بجمع كثير من تلك الآراء والأقوال وتقديمها في كتابه (الطفل في الشريعة الإسلامية).

ومما يؤكد ذلك ما رصدته الأمة من أوقاف عظيمة القدر والقيمة للإنفاق على التربية والتعليم، وبناء المدارس، وإيواء الطلبة وإطعامهم، وأداء أجور المدرسين، وإقامة المكتبات.

ومازالت مدارس العلم ببناياتها البديعة وزخارفها الرائعة وملحقاتها السكنية والصحية شاهدا على عناية المسلمين بهذا الجانب الأساسي في بناء الإنسان.

كما اهتم الإسلام بصحة الناشئة، وحض على تعليمهم أنواع الرياضات، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ‹‹علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل››.

ووضع أسس العناية بالصحة وأولها تربية النشء على النظافة والاقتصاد في المأكولات، وجعل لذلك آدابا مبسوطة في كتب الحديث ومكارم الأخلاق، وحض على السمت الحسن، وأخذ الزينة في المساجد واستعمال الطيب.

كما أمر بتدريب الأولاد على تدبير المال قبل البلوغ حتى يحسنوا التصرف فيه وإنفاقه بعد البلوغ فقال تعالى: **(وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم)** النساء، الآية 6.

ويتضح مما سبق أن الإسلام رسم للأسرة منهاجا واضحا لتنشئة أبنائها التنشئة الصالحة، وجاء بمنظومة تربوية وخلقية كاملة، وهيأ الطفل لها بما ضمن له من حقوق وبما وضع على كاهل أسرته من واجبات، كما أن النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي جاء به الإسلام خلق بيئة صالحة لصياغة النشء صياغة راقية تنتج الإنسان المتعلم، المثقف، المتحضر، المتمدن، المستقيم، المتدين، السمح، اللطيف، القوي، الشجاع، الشهم، القادر على كسب عيشه بكده وجهده، والمتشبع بالإحسان لوالديه وزوجته وأبنائه ومجتمعه وأمته، والإنسان في إنسانيته وكرمه مع الخلق.

ونعود إلى دور الأسرة في تنشئة الأجيال في عصرنا الحاضر لنقول إن الأسرة أصابها ارتجاج كبير بسبب الغزو الفكري والثقافي، وهجوم المد الحداثي من خلال القنوات الفضائية، والبعثات التعليمية الأوربية والأمريكية، والمواقع الإلكترونية.

إن أسرتنا مازالت بحمد الله أسرة إسلامية أصيلة.

ولكن الفتنة المحيطة بها فتنة كبيرة خطيرة.

فتنة في المدرسة التي اختلطت فيها المدارس الأجنبية بالمدارس الوطنية والمدارس الأهلية التجارية الباهضة الكلفة بالمدارس الرسمية المجانية السيئة الحال، والمدراس التي لا تعلم النشء حرفا من العربية ولا آية من القرآن، بالمدارس التقليدية التي تقتصر على القرآن والعلوم الشرعية بأسلوب عتيق.

وفتنة في المدرسين ومنهم الصالحون ومنهم دون ذلك.

وفتنة في الكتاب المدرسي.

وفتنة في المنهاج وفي طرق التدريس.

وتحيط بالأسرة فتنة الشارع وما أصبح يعج به من فساد في كثير من البلدان، وفتنة هذا المد الظلامي الجارف الذي أصبح يقدم الإسلام في صورة الإرهاب المدمر وما نتج عنه من عداء للإسلام وحرب ضده وهجوم على مقدساته، فأصاب الأسرة بالرعب خوفا على مستقبل أبنائها وحيرة في أمر تعليمهم.

إن مهمة الأسرة في تربية النشء أصبحت صعبة وسوف تزداد صعوبة مع الأيام، والوضع يزداد كل يوم انحدارا وتعقيدا.

ونحن لا نزعم أننا قادرون على تقديم خطة أو برنامج للإصلاح، ولكننا نهيب بمن في مقدورهم فعل ذلك، وهم رجال الفكر والعلم والمسؤولون على قطاع التربية والتعليم والأسرة والإعلام أن ينكبوا على إعداد الدراسات العلمية والتقنية اللازمة ورفعها إلى دوائر القرار.

كما أننا محتاجون إلى الاستماع إلى الأسر عند رسم أي سياسة مستقبلية تهم تنشئة الأجيال.

ومحتاجون إلى تشجيع المؤسسات المدنية المكلفة بحماية الأسرة والطفولة لاسيما تلك المؤسسات الوطنية النابعة من صميم مجتمعنا، لا تلك المؤسسات المسخرة من المنظمات الأجنبية والممولة بأموال مشبوهة.

وفي إطار حوار الأديان فإن دور الأسرة في تنشئة الأجيال دور مشترك، ويتعين على الزعامات الدينية لجميع الديانات السماوية على الخصوص أن تتعاون في الحفاظ على تماسك الأسرة واستمرارها وحمايتها من الانحلال، ودعم دورها في تنشئة الأجيال، وهي رسالة مشتركة ومجال خصب نستطيع أن نتعاون فيه بسماحة وأريحية وصدق.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

بســـــــــــــــم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى

تأثير التربية الأسرية على النشء

د. اكرم كلش

الحصن

إن الأسرة السليمة بالنسبة إلى أفرادها مثل الحصن تحصنهم ماديا و روحيا، هذا المأوى الحميم حصن للرجل ، حصن للمرأة ، حصن للأولاد ، حصن للمسنين... ولذلك وصف القرآن الكريم المتزوجين بالمحصنين والمتزوجات بالمحصنات فيؤمن على الأولاد الذين ينشؤون فى هذا الحصن من الضياع ماديا و روحيا وخلقيا .

إن أساس أسرة سليمة يعتمد على نكاح صحيح وإن تاريخ الانسانية لم يكشف طريقا سليما غير النكاح الصحيح للأسرة السعيدة ولتنشئة الاجيال فلا شك أن النكاح طريق مشروع وحيد للأسرة السليمة من آدم حتى خاتم النبيين محمد عليهما الصلاة والسلام .

فالزوجان اللذان يوحدان حياتهما بالنكاح الصحيح مرحبان ومؤيدان من قبل أقربائهم منذ بداية الإنسانية ولا شك أن هذا الترحيب و التأييد المتعاهد عند الناس منذ القديم من آثار تعاليم الانبياء و الرسل عليهم السلام التى رسخوها فى الناس ولذلك أصبحت الأسرة النواة الرئيسية للمجتمع .

ولا بد من إرساء قواعد هذه النواة الحيوية على أسس متينة لضمان الصحة والاطمئنان الأسري و نظرا للدور الهام الذي تلعبه الأسرة في تربية الأطفال الذين سيشكلون رجال المستقبل من النواحي المادية والمعنوية . ولهذا السبب ، تحظى المؤسسة الأسرية بأهمية قصوى من أجل خلق مجتمع صالح بكل معني الكلمة.

ومن هذا المنطلق فقد وضع الدين الحنيف مبادئ هامة للغاية في هذا المجال و أراد أن تعم في الأسرة المحبة والاحترام عوضا عن الاحتكاك والاصطدام ، والتفاهم ورحابة الصدر عوضا عن الجزع والتململ ، واحترام الحقوق عوضا عن انتهاكها ، والعفة والحياء والولاء والإخلاص والثقة عوضا عن الخيانة ، والاستقامة والنزاهة وحسن النية عوضا عن النفاق والخداع ، والاعتدال والتوازن عوضا عن التقلب والتزعزع . ولم يكتف الدين الحنيف بذلك بل اهتم أيضا باجتثاث كافة العناصر التي يمكن أن تسفر عن

تفكك الأواصر الأسرية . ولهذا السبب ، حرم الدين الزنا وأكد على ضرورة الابتعاد عن هذه الفاحشة ما ظهر منها و ما بطن .

إن المنزل الأسري هو الحيز الذي يلتجئ إليه الزوجان اللذان يكنان الولاء المتبادل واللذان يضحيان برغباتهما لقاء صالح الأسرة وسعادتها . ولا بد في هذا الإطار من الإشارة إلى أن السعادة والاطمئنان الدائمين لا يمكن أن يتحققا إلا في مثل هذا الحيز الأمثل . إن اللذين يعملون على إضعاف الدفء العائلي تحت ستار الدفاع عن الحرية إنما يسهمون في الواقع في زوال ذلك الدفء الحيوي إلى الأبد .

إن الشخص الذي يتعاون مع عقيلته على تأسيس بيت الزوجية سوف يكون مستعدا لتحمل المسؤوليات الملقاة على عاتقه . فالمسؤوليات هنا ليست إزاء نفسه فحسب بل إزاء عقيلته وأولاده أيضا . لان العقد الذي وقع عليه يوضح بحد ذاته بأنه على أتم الاستعداد للنهوض بما عليه من واجبات ومسؤوليات . وهذا يعني أن ليس بإمكانه القول بأن " هذه هي حياتي لي الحق بالعيش فيها كما أشاء " .

وعلى الرغم من أن المفهوم العائلي الذي وضعه خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم قد اعتمد على عقد مدني بالدرجة الأولى إلا أنه اكتسب صفة المؤسسة المقدسة . لأن الزواج عبارة عن نشاط يهدف إلى حماية العفة وتربية الأطفال وضمان استمرار الذرية الصالحة وإسداء الخدمات الكبيرة للإنسانية جمعاء . إن المفهوم الرئيسي الذي أكده خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام يتمثل في ضرورة اعتماد هذه المؤسسة المقدسة على بعض الأسس المتينة مثل المحبة والاحترام واللطف والثقة والولاء واحترام الحقوق والإخلاص والأمانة والعفة والطهارة . ولهذا السبب ، يمكن الجزم بأن المنازل الأسرية المؤسسة على مثل هذه العناصر إنما هي منازل مؤسسة على دعائم قوية متينة ، أضف إلى ذلك بأن المجتمعات المكونة من أمثال هذه المؤسسات المقدسة هي مجتمعات قوية ذات جذور لا تبلى .

إن حماية العفة والطهارة شرط لابد من توفره من أجل استمرار السعادة والطمأنينة الأسرية . وليس بإمكان الأسرة أن تتسم بصفة الأسرة كما يجب إن أخفقت في حماية عفتها وطهارتها . لان الأسرة سوف تنهار أو تفقد عامل الطمأنينة لا محال إن أخفق أحد الزوجين أو كلاهما في المحافظة على هذا العنصر الحيوي .

ولهذا السبب ، فقد علق النبي صلى الله عليه وسلم أهمية قصوى على ضرورة حماية العفة والطهارة والمحافظة عليها . هذا ويمكن القول بان الدين الحنيف قد أبدى منتهى الحساسية إزاء حماية العفة والطهارة باعتبارها من أبرز ميزات الحياة العائلية .

لقد أمر القرآن الكريم الرجل المؤمن والمرأة المؤمنة أن يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم (النور: 30 ، 31) ، كما بأن الهدف من هذه التدابير (المؤمنون : 5، 8) هو صياغة مجتمع مكون من أفراد سعداء

تمكنوا من المحافظة على عفتهم وطهارتهم . وغني عن الذكر ، بأن الأسر التي سيشكلها أمثال هؤلاء سوف تكون متينة مؤسسة على التقوى .

لقد أمر القران الكريم الرجال والنساء ان يعيشوا في جو يسوده السلام والاطمئنان (النساء : 14) لأن الصدق والإخلاص وحسن النية هي التي تشكل في الواقع لبنات البنيان العائلي . إذ لا يمكن للأسرة أن تصمُد في مهب الريح إلى الأبد إن لم تكن مبنية على الصدق والإخلاص ، مثلها في ذلك مثل البناء الذي لا يمكن أن يصمد دون توفر المواد الخام التي تشكل دعائمه الأساسية ، وقد تنجح الأسرة في توفير احتياجاتها المادية بشكل أو بآخر وبقليل من الجهد ولكنها سوف تتحول إلى جثة هامدة بلا روح إن ساد فيها النفاق والخداع . ولهذا السبب ، لابد من التأكيد للمرة الأخرى بأن العلاقات المبنية على الصدق والإخلاص تتسم بأهمية قصوى في الجو الأسري .

لقد أوضح القران الكريم في الآية الكريمة التالية " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " (الروم : 21) بأن خلق الأزواج وبالتالي الزواج والعائلة من آياته سبحانه وتعالى ، وهذه الآية الكريمة لوحدها توضح مدى الأهمية التي يعلقها الإسلام على المؤسسة الأسرية من جهة وعلى الزواج الذي يعتبر من ضرورات الفطرة التي جبل عليها الإنسان منذ أن وجد على هذه البسيطة من جهة أخرى . وخير دليل على ذلك المغامرة التي استهلها أول إنسان في هذه الدنيا بصحبة عقيلته وأفراد أسرته . وهذا ما يشجعنا على القول بأن المنزل الأسري هو الحيز الذي يضم في أرجائه عامل الطمأنينة الذي يصبو إليه الإنسان أينما وجد . وفي هذا الإطار يمكن الجزم بأن الطمأنينة ليست إلا نَتاج المحبة والرحمة المتبادلة بين أفراد الأسرة الواحدة ، وهذا ما أشار إليه القران الكريم في الآية الكريمة "...ِ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ..." (النساء :19)

ويتضح من الآيات الكريمة المشار إليها بأن المحبة المتبادلة هي عماد الأسرة وأن الاطمئنان العائلي هو أحد أهدافها الحيوية.

كما تأتي الأسرة في مقدمة المؤسسات من زاوية تربية الأطفال و تنشأتهم نشأة صحيحة . وتعتبر المرأة التي تعاقدت على الزواج أحد حجري الأساس الذي يستوي عليه بناء الأسرة المجبول على المحبة . ولهذا السبب لم يكترث الدين الحنيف بالجمال المادي المؤقت بقدر اكتراثه بالجمال الروحي والخلقي الذي يسهم في زيادة قيمة الإنسان .

لاشك أن على الزوجين اللذين تعاقدا على الزواج ، الكثير من التبعات الملقاة على عاتقهما ، لأنهما سوف يكونان مسؤولين عن بعضهما ومنزلهما وأطفالهما ، ولقد أكدا استعدادهما لتحمل تلك التبعات بمجرد التوقيع على عقد زواجهما ورغبتهما في العيش في جو يسوده السعادة من خلال النهوض بما عليهما من واجبات .

ومن أهم هذه الواجبات الاعتناء بالأولاد من كل الجهات... من جهة حاجاتهم المادية والبيولوجية من مأكل وملبس وغيرهما ومن جهة حاجاتهم الروحية من حب وحنان و شفقة و غيرها و من جهة حاجاتهم التربوية من تعليم و تدريب وغيرهما .

ولا شك أن أساليب التنشئة الأسرية تحدد سلوكيات وانفعالات الطفل طوال حياته . ولذلك يؤكد الخبراء أن أي خلل في بنيان الأسرة يؤثر سلبياً في تشكيل نفسية وشخصية الطفل . لأن الولد يحتاج قبل كل شيء الى حضن الأم الحميم ورعاية الأب. لأنه ليس في العالم وسادة أنعم من حضن الأم كما يقال و لأن العلاقة بين الرضيع وأمه سر من أسرار الله تعالى فلا يرضع الرضيع عند الرضاعة لبن أمه فقط بل يرضع الحب والرحمة فى نفس الوقت . ولأن الحب والأمان الذي يقدمه الأبوان لطفلهما يعتبر من أهم الحاجات الضرورية في نموه النفسي، و هذا لا يقل أهمية عن حاجاته المادية . وأن أي حرمان للطفل من حنان الأم ورعاية الاب تظهر آثاره في صورة اضطراب في النمو الجسمي والنفسي والاجتماعي والخلقى ، وتلقي بآثارها على المدى البعيد من حياته .

ولذلك إن الأسرة السليمة بالنسبة إلي الأولاد مثل الشجرة التى تنشأ و تنضج ثمارها فى أغصانها، إذا ابتليت الشجرة بأي علة وتجففت أغصانها وأصبحت لا تستطيع تحمل ثمارها تضيع الثمار فى الغالب فالجهود التى تحاول إدامة حيوية الثمار فى الخارج بمداخلات خارجية و صنعية - مهما كملت- لا تكون بديلا عنها .

ولذلك يلزم علينا الوعى بأساليب رعاية الاجيال من كل الجهات ويلزم علينا أيضا اتخاذ التدابير اللازمة فى حفظ الأسر من التفكك لأن التفكك الأسرى من أهم العوامل السلبية فى إهمال الاطفال وفى الإساءة إليهم ولأن العائلة هي الوحدة الصغرى للمجتمع وإن الطفل كجزء من هذه الوحدة يتأثر بما تتعرض له هذه الوحدة من مشكلات وتمزقات تأثيراً سلبياً يعود بالضرر على الطفل والأسرة ثم على المجتمع بصورة عامة.

أثر دور العبادة في ترسيخ المبادىء الدينية السليمة

مار ثاوفيلوس جورج صليب

من المعلوم والمؤكد أنّ الدين هو مبدأ أساسي في حياة الإنسان، يعيش معه في الطبيعة، وفي سليقته هو ديّن ومتديّن. فمع الحليب يرضع الإنسان المبادىء الدينية وهي الطريق إلى الأخلاق السليمة. فيولد معه ويتجذّر يوماً بعد يوم حتى يعي الإنسان ويفهم ويميّز الأمور من الإقبال على عمل الخير والإدبار عن فعل الشر.

وفي كل الحالات يولد الضمير والوجدان لدى هذا المخلوق العجيب الذي خلقه الله على صورته ومثاله، وجعله سيداً للكائنات، ممثلاً ربه وخالقه في أمور الحياة وتدبير هذا الكون الكبير.

يرى علماء النفس وكل المفكرين أنه لا يوجد أيّ تأثير على الشعوب بقدر ما تؤثر المبادىء الدينية والعوامل الإنسانية التي تعتلج في أعماق هذا العالم الصغير الذي هو الإنسان كما يعرّفه الفيلسوف آحودامه السرياني من القرن السادس والفيلسوف هيغل العالم الألماني من القرن التاسع عشر، اللذان استعملا هذا الاصطلاح "الإنسان عالَم صغير"، الذي به تتجلى كل صفات الخليقة. وهو عامل بناء وهدم، خير وشر، إقبال وإحجام، فرد أو جماعة. وهو كلٌّ في الكل في مسيرة الكون وتقلبات الحياة.

ويرى هذان الفيلسوفان كما يرى سواهما، أنّ مقاليد الكون معطاة للبشر، والإنسان بمشيئة الله وقدرته ومواهبه يهتم بهذا الكون. فبعض البشر يصيبون الهدف السامي ويوزّعون المواهب والخيرات والبركات بسخاء، وفي معظم الحالات مجاناً. وهناك فئة من البشر، الشر ديدنها والتخريب وتفضيل الشر على الخير. لأنّ طريق الشر واسعة وسهلة بعكس طريق الخير الصعبة والضيّقة ... مما يسهّل لعامل الشر أن يستفحل وينتشر غالباً، ولا يقهره إلا عامل الخير الذي يعكس مشيئة الله في هذه الكائنات. وقد قال السيد المسيح: "ما أوسع الباب والطريق المؤدي إلى الشر، وما أضيق الباب والطريق المؤدي إلى الخير".

وفي كل الحالات، يبقى الإنسان محور هذا الكون، والعامل الديني يتربّع على عرش قلبه أكثر من أيّ عامل آخر. والدين يلزم من يمارسه بمكارم الأخلاق.

ومن هنا نقول إنّ للدين تأثيراً لا يوازيه أيّ أمر آخر في هذا الوجود، ذلك لأنّ الدين يحرّك العواطف ويثير المشاعر، والإنسان عاطفي بالطبيعة وترافقه هذه العاطفة في معظم سني حياته. حتى لو فكّر الإنسان أن يتحرّر من سلطة الدين وتأثيراته المتنوّعة، تبقى العواطف ملازمة له بنسبة أقل مما لو التزم وحافظ على مفاعيله. لكنه في كل الحالات هو صنيعة الدين والتديّن غالباً.

أودّ في هذه المناسبة أن أسوق خبرة وقعت في روسيا عندما نشأت الشيوعية وقامت الثورة بقيادة لينين عام 1917، ودفع كثيرون من المتديّنين أثماناً باهظة أدّت إلى استشهاد عشرات الآلاف بل مئات الآلاف من المتديّنين، لأنهم رفضوا التنازل عن الإيمان ولم يلتزموا الإلحاد.

وعاش هذا النظام نيّفاً وسبعين عاماً بإرهاب وظلم وتعدٍّ على الناس وعلى كراماتهم. وفي جو هذا الاضطهاد عانى الروس في ظل الإتحاد السوفياتي ظلماً لا توصَف آثاره ومؤثراته.

ولما جاء الرئيس السوفياتي ميخاييل كورباتشوف وأطلق شرارة البروسترويكا Prostroika أي الإصلاح. فأول ما بادر المواطنون السوفيات أنهم أعلنوا التزامهم الديني وتمسّكهم أكثر، ليس لدى المسيحيين فحسب، بل لدى المسلمين وسائر الأديان التي تمثّل نسيج الإتحاد السوفياتي.

ففي مساحة صغيرة تنفّس الناس نسمة الحرية وعادوا إلى الدين. وهكذا دواليك في أمم أخرى وشعوب لها أديانها ومعتقداتها وشعائرها الدينية، ليس هناك ما يضارعها في الالتزام والتمسّك بالمبادىء.

إذا استعرضنا تاريخ الشعوب ونظرنا إلى مبادئهم وعقائدهم وإخلاصهم، نرى معظم الشعوب تتمسّك بدينها وعقائدها أكثر من أيّ مبدأ آخر. لهذا إذا أحصينا قوافل الشهداء، نرى شهداء الأديان يفوقون أضعاف أضعاف أعداد الشهداء في كل أمة من الذين استشهدوا من أجل مبادىء غير دينية.

وأقول إنّ معظم شهداء الأوطان والسياسة لم يذهبوا إلى الاستشهاد وسفك دمائهم بالحرية التي اختارها المتديّنون وماتوا من أجل مبادئهم. وليس هناك ما يقارَن بمواقف المتديّنين وعمق إيمانهم والتزامهم وتفضيلهم الشهادة على ما سواها.

وهذا ما يؤكد أنّ تأثير الدين هو أقوى وأكثر من سواه في تكريس والتزام المبادىء الدينية من أية مبادىء أخرى.

فشهداء الأوطان هم مكرَّمون ومحبوبون وجديرون بالاحترام، وغالباً ما يكونون سبباً في ثبات مبادىء الأوطان ورسالاتها الخالدة، وهؤلاء كثيراً ما تعدّهم الأوطان في التكريس لخدمة العلم والتزام الجندية كمبدأ من مبادىء التجنّد الحر أو الإلزامي.

أما شهداء الدين فغالباً ما يختارون الشهادة بحرية مطلقة بعد ما تلقّوه من تعاليم ومبادىء وتشجيع على اختيار الشهادة طريقاً للوصول إلى ملكوت الله، تثبيتاً للعقائد الدينية التي يحملون وبها يؤمنون.

إنّ مصادر التعليم الديني تنشأ أولاً في المنزل، حيث يتلقى الأولاد مبادىء الدين عاطفياً من الوالدين والإخوة والأخوات والأقارب وهم الأكبر منهم سناً. ويبقى الكبار أبداً قدوة ومثالاً للأجيال التي تنشأ وتقوم في هذه العائلة أو تلك العشيرة أو القبيلة التي ينتسبون إليها.

والمصدر الثاني هو المجتمع الذي غالباً ما يطبع على الفرد والجماعات خصوصيات وميّزات، الدين هو في مقدّمتها. فينالها الفرد اكتساباً وبدون جهد أو عناء. وهذا ما يميّز مجتمعاً عن غيره، وهو الأكثر تداولاً وممارسة.

أما المصدر الثالث فهو المدرسة حيث ينتقل الفرد من أسرته ومن بيئته إلى مجتمع جديد وأوسع يوجّه فكره ورسالته التي هي التوجيه الديني غالباً، بالإضافة إلى العلوم والمعارف المتمثّلة بالتربية والأخلاق والعلوم على أنواعها. وهذه تجعل للإنسان منهجاً يتّخذه ومنهجيةً يلتزمها، والدين هو محورها بسبب الأخلاق والتربية التي تصير جزءاً لا يتجزّأ من حياته في سلوكه من جهة ما اكتنزه وأَلِفَه وتعلّمه ومارسه. والدين يأتي في طليعة ومقدّمة كل هذه المعطيات، لهذا فهو العامل الأول المؤثر في هذه المرحلة أيضاً.

المصدر الرابع هو عندما يغادر الإنسان مجتمعه وهو في مرحلة تمييز بين الأمور. فيبدأ يفكّر بأكثر جدية، ويشعر أنّ الحرية تؤهّله لأن يختار بين مبادىء الدين أو مبادىء الأخلاق أو الإيديولوجيات السياسية التي تشغل فكره وإحساسه وشعوره وقدرته. فيتأرجح بين ما نسمّيه مبدأ المحافظين أو المجدّدين والمتجدّدين أو أيّ مبدأ آخر يصادفه من جهة الاتصال أو التطلّع إلى ما يراه أفضل لحياته ومستقبله. وفي هذه الدوائر، لا بدّ للإنسان من أن يعود إلى طفولته ونشأته ومبادئه الأولى، مميّزاً بنور العقل والعلم والخبرة بين هذه وتلك من المبادىء والعقائد التي رافقت حياته، ولا بدّ من تأثير للدين من قريب أو من بعيد على حياته وأفكاره ومبادئه، والتي ترافقه مدى أيام حياته، وهي التي طبعت فطرته ونالت المكان الأهم في ذهنه وعاطفته.

أما دور العبادة، فرسالتها هي تسويق الدين وتقديمه لقمةً سائغة لقاصديها والمتردّدين عليها والملتزمين بعقائدها ومبادئها ورسالتها. وهي بهذه الحال تشبه النحلة التي حيثما حطّت وحلّت وانتقلت ووُجدت فالشهد رحيقها. ورحيق دور العبادة هو الشهادة للدين ونشر المبادىء وتثبيتها في أعمق أعماقها، فتكون بهذا الاتجاه المؤسسة الروحانية التي ديدنها وشعارها أبداً إقناع الناس أنّ الدين هو وسيلة للطمأنينة والحرية وراحة الضمير والخلاص، بل المنطلق الحسي للمحافظة على مفاعيل هذه التعاليم والإتيان بما يعزّز هذه الرسالة وينشرها كقاعدة حقيقية يبني الإنسان شخصيته فيها، ومنها ينطلق إلى المجتمع والعالم.

إنّ دور العبادة هي المكان الذي يعبّر عن الدين ومبادئه ورسالته السامية، كالوعاء الذي يستوعب كل ما نضع فيه. وهل يفكّر المتديّنون والملتزمون بالدين أن يختاروا غير مكارم الأخلاق والمثاليات العالية والعقائد السامية التي تقود إلى عبادة الله ومحبة القريب وإكرام المسؤول والدفاع عن الأوطان وحقوق الإنسان التي هي جزء لا يتجزّأ من أركان هذه الدور المقدسة. والإنسان أمام وقف الضمير والتمعُّن يدرك

أنّ هذه الدور التي يلجأ إليها ويمارس شعائره فيها هي كفيلة أن تحقق له ما لا يمكن أن يحققه بعيداً أو خارجاً عنها.

لهذا يسمي المسيحيون دار العبادة أو مكان العبادة كنيسة، والتي تعني جماعة المؤمنين أيضاً. فهي مكان يجمع المؤمنين، وفي نفس الوقت تشكّل هذه الجماعة مضامين لمفهوم الإيمان والمؤمنين ومكان عبادتهم. فالمكان مقدَّس والجماعة تُقدَّس ببركات هذا المكان المخصَّص والمكرَّس لعبادة الله أو الالتزام بمبادىء هذا المكان الذي يشعّ نوراً، فتنمو الأجيال بهذا الضياء المنبثق من السماء والذي تحمله النخبة والأصفياء هدىً وإرشاداً وتعليماً وتقويماً لكل المجتمعات أفراداً وجماعات.

والمسلمون يدعون مكان العبادة جامعاً يجمع المؤمنين، ومسجداً يمارس المقيمون فيه فضيلة العبادة والسجود لله العلي العظيم الحكيم، ودار علم وتوجيه ومنطلق هداية ورحمة يمارسها الناس في مسيرتهم في العالم.

عند التجارب والملمّات الصعبة والظروف العصيبة وجنون الطبيعة، من حرائق وفيضانات وزلازل وظروف صعبة وقاسية، يلجأ الناس إلى دور العبادة مستشفعين بالأولياء والأصفياء، طالبين حضورهم وإمدادهم بالنعم والبركات ليخفّف الله عنهم هذه الويلات والمصاعب، شعوراً من كل هؤلاء وإيماناً بأنّ الله على كل شيءٍ قدير، وبيت عبادته هو المكان الذي منه تُرفَع الصلوات والابتهالات إلى أعتاب السماء، فتخفّف عن الجميع هذه المعانيات. فتكون طمأنينة داخلية في أعماق هؤلاء، يشعرون أنهم مدعوّون ببركات مميّزة تبعثها هذه البيوت، كبيرةً كانت أم صغيرة، لأنّ الله يستجيب لعباده طلباتهم الحسنة الصادرة عن قلوب مفعمة بالإيمان، معزّزة بالرجاء، مثقلة بالمحبة، وخاصةً في الأماكن المخصّصة لعبادته. والله يعلّمنا "أنه كلما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فأنا أكون في وسطهم"، وكلامه ساطع لا يسقط أبداً.

وهذا التقليد سرى ويسري على كل الأجيال، وصار جزءاً أساسياً من ممارسة الناس لطلب مراحم السماء واهتمامها. ومصدر كل ذلك هو التربية الدينية الموروثة والمكتسبة.

وفي دور العبادة، تلقنت الأجيال معظم ما تعلّمته والتزمت به ومارسَته في حياتها. لهذا فدور العبادة هي مدارس دائمة صالحة "للتوجيه والتعليم والتقويم الذي في البر، ليكون إنسان الله متأهّباً ومهيّأ لكل عمل صالح".

إنّ دور العبادة منتشرة على مساحة الأوطان، بل على مساحة الكون. وهي الهدف والوسيلة في آنٍ معاً، يقصدها الناس ويجدون فيها ضالّتهم.

ومن هنا تأتي أهمية أثر دور العبادة في ترسيخ المبادىء الدينية السليمة، فهي مصنع الصالحين والصالحات وميدان إطلاق هؤلاء المختارين ليكونوا نوراً وضياءً للعالم، وهداية وإرشاداً لكل الناس. وما

نزال نتذكّر تأثير دور العبادة على طفولتنا، إذ كنا نجدها المركز الذي يجمعنا ويوفّر لنا الطمأنينة والاستقرار، بعد أن كانت دور العبادة وما تزال مصدر معرفتنا وثقافتنا، وهي بالتالي ملجأنا الحصين. وهكذا تترسّخ الأخلاق السليمة في العائلات والمجتمعات والأوطان.

وبالإجمال، إنّ دور العبادة كانت وما تزال وستبقى المكان الذي يوجّه البشر إلى ممارسة الفضيلة بكل معانيها ومضامينها. فهي بيوت الله، وحيث يحلّ الله فهناك البركات والنعم والخيرات وراحة البال وثبات الأخلاق السليمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحوار والإعلام الموجه للناشئة

أ. د. أحمد حلواني

أود أولاً بعد تحية عطرة أنقلها لكم من دمشق الشام حيث الأهل أهلكم والديار منفتحة على كل محبي العدل والتعاون والأخوّة الإنسانية. أن تسمحوا لي في البداية بتوجيه تحية إلى هذا المركز الذي تحتضنه دوحة قطر تعبيراً عن الفكر العربي كله، وبالتالي عن أبناء الأمة المتطلعين دائماً نحو إخوّة إنسانية تبني حضارة عالمية تنتفي فيها عوامل البغضاء والكراهية والعنف المؤدي إلى الحروب والتشرد والدمار والاحتلال. حضارة إنسانية تبني ولا تهدم تحمي ولا تهدد وتنتشر فيها أواصر المحبة والعدل والتعاون والمساواة.

فالشكر موصول لمن أسس وعمل ورعى في حوار الأديان لأن الأديان عماد من أعمدة البناء الحضاري والثقافي للشعوب، والحوار حاجة أساسية لإقامة جسور التفاهم بين الأمم والشعوب وهو من أهم انشغالات العالم اليوم في إعادة أنسنة الإنسان بإعادة قراءة التاريخ الفكري المسكوت عنه فالحوار يُنتج مقاربات لمفاهيم معمّقة تستطيع رفع اللبس عن الجوانب المختلف فيها.

هذا المركز يعمل لتهيئة الأجواء الملائمة لإجراء هذا الحوار وإيجاد الشروط الكفيلة بتوجيهه الوجهة الصحيحة وفق قاعدة الاحترام المتبادل للأفكار في إطار من الموضوعية والجدية وصولاً إلى اقتناع مشترك يعزّز الجهود الإنسانية لتقوية أسباب السلم والعدل وتدعيم دواعي الأمن في مفهومه الحضاري العميق والشامل.

ودعوتنا وحضورنا ومشاركتنا في إطار هذا المؤتمر الثامن هو من إيمانٍ بما ذكرت وتأكيدٍ وأنا في هذه المقدمة لا أعيد وأكرر كما قال الشاعر:

ما ترانا نقول إلا معاداً

أو معاراً من قولنا مكرور

إنما أريد من قولي إذا كان فيه إعادة التأكيدَ على المعنى والاستمرار في الإيمان به، وفتحَ جميع المجالات التي تساهم في ترسيخه والعملِ وفق أهدافه فالعالم المعاصر بأفكاره التنويرية أو ما يسميه البعض بالحداثوية في توجهاته المفتوحة يحتاج أكثر من أي وقت مضى للاستفادة من هذا المناخ الفكري لنشر مبادئ الحوار المعتمد على قبول الآخر من منطلق إنساني يوحّد الجهود من أجل عالم متآخ متفاهم متعاون في إطار حياة على كرة أرضية صغيرة في فضاء كوني كبيرة هي خيارنا ومجالنا الوحيد للحياة التي نرجوها كريمة للجميع.

وحين أتحدث بهذه المعاني وأنا المسلم الشامي العربي فإنما أنطلق من ثقة بالنفس لا تتزعزع ومن تراث عميق وغزير أفتخر به ومن مبادئ أعتنقها مستمدة من تاريخ حضاري كبير وقابلية لتطور مع فكر حضاري عالمي تحتاجه البشرية وتفاخر به كإحدى إنجازات النهضة والتنوير والدور الكبير في حمل رسالة للإنسانية جمعاء بالرغم مما تواجهه أمتنا العربية والإسلامية من مظالم واحتلال وفقر ومنع في تحقيق طموحاتنا وآمالنا.

إن ما أعرب عنه ينطلق من إيمان راسخ لدى الشعب العربي ولاسيما أبناء جيله الناشئ فهم يبحثون عن دور رائد لأمتهم يعتزون به ويمارسونه لإشادة عالم جديد مليء بمبادئ العدل والمساواة والتفاهم والتعاون والإخاء والتبادل التفاعلي والتطور.

في الحوار ووسائل الإعلام

يتناول الناس كافة التأثر والتأثير بطرق شتى أبرزها التفاهم والإقناع والنموذج الحسن، وأهم سبيل لهذا التأثر التأثير هو الحوار الذي يستند إلى مفهوم فلسفي أهم عناصره التواصل حيث فسّره سقراط بأنه السبيل لتوليد العقول وبلوغ الحقائق كما استخدمه أفلاطون لعرض أفكاره وقناعاته في حوار تمثيلي أسماه الجدل، أما أرسطو فرأى أن الحوار يستلزم متخاطبين يوصل جدلُهما إلى تأمل مشترك مثمر في موضوع خاضع للمناقشة والفحص.

وقد اغتنت الثقافة العربية بمفهوم الحوار وتشكلت في التراث الثقافي العربي أجناس من الحوار غزيرة أمدت الثقافة العربية بكثير من الإسهامات والنظريات، نستطيع أن نجد نماذج عنها مما حكاه أبو حيان التوحيدي في ((الامتاع والمؤانسة)) وفي ((المقابسات)).

وإذا كانت الثقافة العربية قد أعطت لمفهوم الحوار أبعاده الثقافية والحضارية في أوج الحضارة العربية الإسلامية، فإن الكثير من مثقفي اليوم يحاولون إعطاء الغرب وحضارته المعاصرة خاصّية التعامل مع مفهوم الحوار ببعديه الثقافي والحضاري مع التركيز على المفهوم السياسي.

لذلك نسبت فلسفة الحوار بالمعنى الاصطلاحي، إلى المفكر الإنمائي ((مارتن بوبر)) مؤلف كتاب ((أنا ـ أنت)) الذي ألفه بالألمانية عام 1938. والذي هدف فيه للوصول إلى علاقات حسنة بين الأمم وايديولوجيتها المختلفة عن طريق المفاوضة والعقود والاتفاقيات الموثقة والموثوقة بأطرافها المختلفة.

وقد كثرت في العقود السابقة الدعوات إلى ترسيخ الحوار أساساً لحياة الإنسانية في ظل الاحترام المتبادل والاعتراف بالآخر والتفاعل الحضاري المشترك والتبادل الفكري والسياسي بقصد الوصول إلى قواسم مشتركة ترسّخ مفهوم الديمقراطية على صعيد الأمم والحضارات كما هي على صعيد كل شعب ودولة وقد رفع الفيلسوف الفرنسي جارودي مفهوم حوار الحضارات في الوقت الذي رفع فيه صموئيل هانتغتون مفهوم صراع أو صدام الحضارات.

وفي المقابل تبنّى الرئيس محمد خاتمي الدعوة إلى حوار الحضارات مستنداً إلى قوله: ((إن الهدف من حوار الحضارات هو بلوغ الحرية والأمن والعدالة والرقي الروحي، أو ما يسمى بالتعبير الدارج الرقي الأخلاقي))[1].

كما رفعت شعارات وكتبت دراسات تدعو إلى الحوار بدل المواجهة على الصعيد العربي[2].

وصدرت كتب ودراسات تضمنت أدبيات الحوار الحضاري ومفاهيمه وفوائده على العالم[3].

---

[1]ـ انظر كتاب محاضرات في حوار الحضارات ـ المستشارية الإيرانية بدمشق 2001م ص10- 19- 20

ـ انظر كتاب حوار لا مواجهة ـ مجموعة مقالات ـ د. أحمد كمال أبو المجد ـ كتاب العربي، العدد السابع 1985 ـ [2]الكويت.

[3]ـ مجلة الباحث الاجتماعي ـ جامعة قسطنطينة ـ الجزائر العدد الخامس 2004م.

ـ من هذه الكتب والدراسات حوار الشمال والجنوب

ـأسسه ونتائجه ـ إشراف د. جورج قرم ـ معهد الإنماء العربي ـ بيروت 1977م.

ـ الحوار من أجل التعايش . د. عبد العزيز بن عثمان التويجري ـ 1977م.

ـ الحوار القومي الديني ـ مركز الدراسات ـ الوحدة العربية ـ مجموعة أبحاث ـ بيروت 1989.

ـ العرب بين الحوار الثقافي والانعزال ـ د. أحمد ثابت الدار الوطنية الجديدة ـ دمشق 2004م.

ـ مسارات وخبرات في حوار الحضارات ـ تحرير د. فادية مصطفى ـ القاهرة ـ 2004م.

ـ الحوار السياسي في الوطن العربي ـ د. أحمد حلواني

إن السند الفكري لقواعد القانون الدولي ومنظمات المجتمع المدني هو العدل والحق والمساواة بين الناس في جميع الحقوق والواجبات وهذا السند هو أصل ثابت من أصول الإسلام الذي يدعو إلى إقامة الموازين بالعدل والقسط بين الناس أجمعين.

فإذا استند الحوار إلى هذه القاعدة القانونية التي تحكم العلاقات الدولية وهدف الحوار إلى تقوية المفاهيم والمعاني التي ذكرتها جاء الحوار خيراً للإنسانية وعملاً صالحاً ينفع الناس ويمكث في الأرض ويعمّرها.

اسمحوا لي بعد هذه المقدمة عن الحوار أن أنتقل إلى الموضوع الأساسي ألا وهو دور الإعلام ووسائل الاتصال في مجتمع الأجيال الناشئة ولاسيما الطفل من منظور إسلامي عام متوقفاً عند أمرين أساسيين كمدخل للموضوع.

الأول: غاية الأديان والمذاهب المتنوعة وفق المفهوم العام.

والثاني: دور وسائل الاتصال الحديثة في مجال حوار الأديان بحكم الشفافية والعالمية (محل العولمة) وقبول الآخر بآرائه المنطلقة من فكره المتأثر ببيئته وظروفه بالمفهوم الديمقراطي الإنساني العالمي.

أولاً: ما هو دور الأديان:

لقد تحملت الأديان مع ظهورها كحاجة إنسانية نفسية مسؤولية تنظيم المجتمع لتأمين حياته التعاونية وديمومته الصحية بمعانيها النفسية والطبية والمادية وبالتالي ضمان حياة سليمة قابلة للتطور إذ ليس الهدف هو عبادة الله ـ فعبادة الله هي وسيلة لما قدمت، فالله ليس بحاجة إلى إنسان يعبده بالمعنى المباشر هو أكبر وأعلى لكن عبادته تؤمّن مرضاته لأن معنى العبادة هو الطاعة والطاعة هنا هي في تطبيق النظام الاجتماعي الذي شرعه الدين وفق نزوله من حيث التاريخ والمكان أو الزمان والمكان بقصد حياة هانئة.

ومع انتشار وسائل الإعلام والاتصال بتطورها السريع وتأثيراتها الكبيرة من خلال سهولة انتشارها وجاذبيتها واختلاف الشرائح المستقبلة لها من حيث سوية تعلمها وثقافتها وانتماءاتها والبيئات المحيطة بها والمؤثرة فإن الدراسات الإعلامية في مجال ترسيخ مفاهيم الحوار أو التسامح وقبول الآخر والتنشئة الفكرية بشكل عام هي إحدى أهمِّ مجالات الدراسات الإنسانية في هذا العصر، وهي دراسات تحتاج إلى بحوث ميدانية وتطبيقية مستندة إلى ثقافة معرفية واسعة وتخصصات تربوية ونفسية معمقة.

وهنا أريد أن أبدأ بفكرة عن مقوِّمات الإعلامي وهي مقومات لابد من توفرها عند كل راغب أو متجه للعمل في هذا الميدان تماماً كما توفر الاختصاص الطبي في الطبيب أو الكيميائي في المحلل المخبري أو الهندسي في الهندسة إلخ...

وأقصد أن الإعلامي هو ليس القادر على الإنشاء والصياغة التعبيرية فذلك منشئ أو كاتب إنما الإعلامي هو المتخصص في موضوع يهم المجتمع ويمتلك في الوقت نفسه المؤهلات الاتصالية والفنية لإعداد موضوعه.

ومن هنا فقد أكدتُ أكثر من مرة على أهمية أن تكون الدراسات الإعلامية مفتوحة لما بعد الإجازة الجامعية الأولى وفق مفهوم دبلومات التخصص والتأهيل الإعلامي لجميع الاختصاصات الجامعية بحيث يكون المجال مفتوحاً لتأهيل إعلاميين اقتصاديين وعلميين وقانونيين وزراعيين إلخ....

بعد فحص قبول أو مباريات انتساب توضع شروطها بدقة وعلمية.

مواصفات الإعلامي المتخصص بإعلام الطفل:

ويؤكد هذا التوجه تشارلز براون Charles Brown: "إن اختيار العاملين في حقل الإعلام يجب أن يتم على أسس سليمة، كما يجب أن لا يخوضوا هذا المجال إلا بعد اجتيازهم عدة اختبارات عملية وعلمية وشخصية، كما أنه لابد أن تمضي عليهم فترة اختبار للتحقق من صلاحيتهم لهذا العمل الخطر"[(4)].

وإذا كان الإعلامي (القائم بالاتصال) يتوقف عليه نجاح الخطة الإعلامية أو فشلها، فإن المؤسسات المعنية من صحف ومجلات ومحطات إذاعة وتلفزة تدقق بدراسة معمقة قبل أن تسلم أجهزتها الإعلامية لعناصر تنقصها الخبرة والعلم والمرونة وسعة الأفق والملكة الفطرية والثقافة الواسعة والسيطرة على التكنولوجيا المعاصرة حرصاً على مكانتها والمحافظة على جمهورها والاستزادة.

كما أن اختيار العناصر العاملة في مجال الإعلام الطفلي يجب أن تلقى مزيداً من الاهتمام والتمحيص، لأن هذا التوجه بحاجة إلى مهارات خاصة، وملكات متميزة، وثقافة نوعية تمكنهم من مخاطبة هذه الشريحة العمرية الحساسة عبر وسائل الاتصال المنّوعة، إذ لابد لمن يتصدى لإعلام الطفل المسلم أن تتوافر لديه مهارات وأخلاقيات فإلى جانب فهمه ومعرفته بأصول الدين، لابد له أن يتسم بالخلق الرفيع، والسلوك النموذجي، والإيمان الكامل برسالته والصدق في القول، لأن الأطفال تعدهم نماذج حية وقدوة لما يقولون أو

4 Brown Charles: Informing the people: New York. Pennsylvania State University, 1957, p, 22.

يكتبون وبالتالي فإنهم يتأثرون بسلوكهم بفعل غريزة التقليد والمحاكاة. فالتوجه للأطفال يحتاج إلى دخول عالمهم والحوار معهم في إطار المحافظة على الرحلة العمرية حتى لا يصطدم بها فيرفضها الأطفال لأنها دخيلة على عالمهم.

وعلى الرغم من أهمية مناهج الدراسة في المعاهد والمؤسسات الإعلامية التأهيلية فلابد أن تتضمن برامج علمية وعملية لإعلام الطفل بصفة عامة، ناهيك عن الطفل المسلم بصفة خاصة، وينعكس هذا بدوره على البرامج والفقرات والموضوعات التي تقدم في الإعلام المرئي والمسموع أو الصحف، بحيث يلبي احتياجات الطفل العقلية أو الوجدانية أو النفسية، وطموحاته العلمية والثقافية.

وفي هذا يقول: الأديب عبد الباقي يوسف

"إن كاتب الأطفال الذي يجد نجاحاً وانتشاراً وقبولاً لدى شرائح الأطفال كافة هو شخص ما يزال يحافظ على فطرية طفولته ويميل إلى عالم الطفولة.. ويعقد آمالاً على عالمها .... ويتابع فيقول: إنه ذاك الأديب الذي تفوح رائحة الرومانسية من أدبه.... إنه شخص يعرف كيف يمارس أبعاد ومزايا طفولته بعداً بعداً، وتفصيلاً تفصيلاً"[(5)].

مضمون الرسالة الإعلامية:

تعمد بعض الوسائل الإعلامية إلى التركيز على المناسك الإسلامية وشعائر العبادات دون إدماجها بأمور الحياة العامة وحاجيات الطفل الحياتية والمعرفية وهو أمر لابد من ملاحظته في مضامين الرسائل الإعلامية من منطلق أن مسائل العبادات وشعائرها هي وسيلة غايتها صحة البدن والعقل والمعاملة الاجتماعية والإنسانية أي وصحة التكوين المجتمعي.

بحكم أن الرسالة الإعلامية للطفل وفق الرؤية الإسلامية:

هي رسالة شاملة تتناول قضايا الطفل المختلفة وذلك انطلاقاً من النظرة الشمولية للرسالة الإسلامية التي جاءت شاملة لكل ما يهم الإنسان المسلم، ويأتي ذلك مصداقاً لقوله تعالى: **(ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)** [سورة النحل ـ آية 89].

---

[5]حساسية الكتابة القصصية للطفل ـ عبد الباقي يوسف ـ مجلة المعرفة العدد 565 ـ 2010م دمشق ص151.

وهي رسالة تقوم على الكلمة الطيبة، والحكمة البالغة؛ فلا تسيء لأحد، ولا تحمل معاني العنف أو العدوانية، أو النميمة أو الغيبة. ضمن وضوح في اللفظ، وبساطة في العرض، بعيداً عن التعقيد، كي تنسجم مع مستوى تفكير هذه الشريحة العمرية، كما أنها تحترم عقل الطفل، وتمنحه مساحة من الحرية الخلاقة منعاً للجمود العقلي والتحجر الفكري والتعصب الذي يظنه البعض جزءاً من التركيبة الفكرية للإعلام الديني، أو هكذا يريدونه في حين أن الحرية الخلاقة ستفتح مجالاً واسعاً للسعة الإيمانية والعمق والمشاعر الإنسانية.

والمهم هنا هو إكساب الطفل المعايير الصحيحة أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، كالحلال والحرام، وأن تجيب على تساؤلاته الكثيرة عن الله والملائكة والأنبياء والرسل، وغير ذلك من الأسئلة التي تزوّد الأطفال بمعلومات يبحثون عن إجابات عنها على أن يتم ذلك بذكاء وحنكة فتغذي عقله وتروي ظمأه[6]. وتساعده في المساهمة بالبناء الاجتماعي وفق دور واسع ومنفتح.

وهنا تصبح الرسالة الإعلامية مطالبة بما يلي: [7]

1. التنشئة الدينية السليمة للطفل منذ الطفولة المبكرة، منوهين إلى مسؤولية البيت والوالدين، وخصوصاً الأم. وهي التي قال فيها الشاعر:

الأمُ مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعباً طيّبَ الأعراق

2. عدم تحميل الأطفال ما لا طاقة لهم به، من خلال الاعتدال في التربية الدينية، والابتعاد قدر الإمكان عن القضايا الجدلية والمسائل الخلافية، في هذه المرحلة من العمر. استناداً إلى دراسة علم نفس نمو الطفل.

3. الإجابة السليمة الواعية عن تساؤلات الأطفال المعرفية المتشابكة مع المعلومات الدينية، بما يتناسب مع مستوى إدراكهم.

4. تنمية بذور الإيمان في نفوس الأطفال، حتى يشبوا مؤمنين ومخلصين ومستقيمين في سلوكهم لضمان مجتمع سليم هم عماده من حيث الأخلاقية التي تؤكد عليها الأديان جميعها.

---

[6] حامد عبد السلام زهران: "علم نفس النمو"، ط4- القاهرة - عالم الكتب، 1982، ص263.

[7] انظر د. محي الدين عبد الحليم - الرؤية الإسلامية لإعلام الطفل - مجلة الإسلام اليوم - العدد 13 - 1995م - الرباط - ص49.

5. التعامل بحذر وقدر مع برامج العنف والجنس والجريمة، للوصول إلى توضيح سلبياتها العامة والخاصة.

وإذا كانت هذه المكونات بحاجة إلى تفصيل وتفريد في جوانبها العلمية والفنية فقد يكون المجال غير مهيأ لهذه التفصيلات. بحيث تدخل في مهمة الفنيين بعد إعدادها وصياغتها العلمية وأقصد جوانب الإخراج والتصوير والتمثيل والأداء وفق طبيعة الوسيلة الإعلامية.

لكنني لابد أن أزيد وأؤكد أهمية عدم إنكار معتقدات أصحاب الأديان الأخرى أو التركيز على مخاصمتهم أو مخالفتهم اعتماداً في عدم الإنكار على الآية الكريمة **(ولو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعاً)**

ووسائل الاتصال الموجهة إلى الناشئة واسعة ومفتوحة سواء في جوانبها الموجهة للأطفال وهو ما نحتاجه في الإنتاج بدل الاعتماد على استيراد المنتج الغربي أو المعد لغير أطفالنا وناشئتنا.

ونستطيع أن نستذكر البرامج التي اقتُبست من الإنتاج الأمريكي وعرّبت بجهود فنية كبيرة مثل برنامج "افتح يا سمسم" والمفترض بعد التطور في الإنتاج الدرامي العربي أن يتحول المنتجون ولاسيما المؤسسات غير الربحية منها إلى إنتاج مسلسلات موجهة للأطفال والناشئة وفق المكونات والشروط التي بيّناها.

إذ إن توجه الإعلام الطفلي مكرس حالياً في غالبيته إلى الجانب الأسهل وهو المجلات والصحافة وهي على أهميتها ذات تأثير محدود قياساً على تأثير الإعلام المرئي والمسموع والذي ما يزال معتمداً على الاستيراد أو الدبلجة والتعريب.

وفي هذا يقول د. محي الدين عبد الحليم[8] أن إعلام الطفل يمكن أن تحمله وسائل إعلامية متخصصة كمجلة "المسلم الصغير" على سبيل المثال، ويمكن أن تحمله وسائل إعلامية عامة خاصة بالأطفال مثل مجلات "مشاعل" و"سمير" و"ميكي" و"أسامة" وغيرها، ويمكن أن تحمله وسائل الاتصال العامة، وكل واحدة من هذه الوسائل يجب أن تراعي جمهورها وتعالج قضايا الأطفال بمهارة وفطنة، ومعرفة دقيقة بظروفهم وقدراتهم، لاسيما وقد حققت وسائل الاتصال الحديثة درجة في الجذب والاستمالة والإبهار، حتى أنه من الصعب الفصل بين الوسيلة والرسالة، حتى ذهب أحد العلماء بأنهما أصبحا شيئاً واحداً. [9]

أما الأسس التي يقوم عليها إعلام الطفل المسلم فتنطلق من أن الهدف الأساسي في العملية الإعلامية هو ليس تعليم شكليات ممارسة الفرائض الدينية وإنما ترسيخ المفاهيم والقيم الأساسية التي يستهدفها الدين بقصد الوصول إلى حياة مجتمعية متكاملة كما بيّنا في المقدمة.

---

[8] المرجع السابق.

[9] Macluhan, Marchal: The Medium id the Message. Second Ed. Benguin Books. P. 28.

تقديم المثل والقدوة:

إن إعلام الطفل المسلم يمكن أن يحقق أهدافه من خلال القدوة، وما أكثر الأمثلة والنماذج الرائعة التي يمكن تقديمها للطفل المسلم في التاريخ الإسلامي، والتراث الفكري الكبير في الطب والفلسفة والرياضيات. وغير ذلك من النماذج الجديرة بالاقتداء والفخر من جانب الأطفال المسلمين شريطة أن تقدم بصورة مشوّقة وجذّابة في قوالب إعلامية فنية تحقق الجاذبية والاقتناع والتأثير.

يقول هاملتون جيب في النبي محمد (ص): «إنه ليس من قبيل المبالغة أن قوة تأثير شخصية الرسولρ على مواقف المسلمين وغيرهم والتي تلقى كل التبجيل، هي عبارة عن شعور تلقائي وطبيعي لا يمكن تحاشيه، سواء كان ذلك في عهد الرسول أو من بعده، لقد كان ذلك أكثر من مجرد إعجاب، ويكفي أن نذكر أن علاقة الحب والإعجاب التي غرسها الرسول في قلوب أصحابه، قد انبعث أثرها ومداها عبر القرون، ويتم إثارتها في قلوب كل جيل»[(10)].

وهكذا نرى أن القدوة هي المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل، لاسيما أن معرفة الأطفال، لا تكون عن طريق التلقين والشرح والإفاضة والتكرار فقد ينصرف الصغار وحتى الكبار عن هذا الأسلوب[(11)].

البساطة والوضوح في مخاطبة الطفل:

يقول رسول الله ρ «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم».

ومن هنا تأتي أهمية مخاطبة ملكات هذه الشريحة العمرية برفق ولين، لاسيما أن هذا الدين يخاطب فطرتهم التي فطرهم الله عليها، ويربط في تناسق وانسجام بين ما يتضمنه من حقائق وبين واقع الناس[(12)].

يقول المستشرق الإنجليزي توماس آرنولد: «إن فهم العقيدة الإسلامية لا يحتاج إلى مقدرة عقلية خاصة وملكات ذهنية كبيرة»[(13)]. فهذه العقيدة تخاطب أدنى المستويات العقلية والإدراكية، لأنها خالية من التداخلات والحيل النظرية أو اللاهوتية[(14)].

---

[10] Gib, AR. Hamiton: Studies on Cirilization of Islam. R. Pouik Routed and kegan. 1962.

[11] عبد التواب يوسف: "الإعلام الإسلامي وزرع القيم في نفوس الأطفال" - القاهرة - مؤسسة إقرأ الخيرية - 1992، ص10.

[12] محي الدين عبد الحليم: "الدعوة الإسلامية والإعلام الدولي". القاهرة - دار الفكر العربي - 1989، ص40

[13] ارنولد توماس: "الدعوة إلى الإسلام" ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية، 1971، ص254.

ويمكن تبسيط وتقريب المضمون الديني المتسامح والمعترف بالآخر إنسانياً بوسائل فنية جاذبة منوّعة ومتجددة.

مكانة اللغة في إعلام الطفل:

تتحمل اللغة المشتركة دوراً بارزاً في حياة الجماهير لأنها السبيل لفهم الأشياء المحيطة بهم، والطريق لربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض[15].

واللغة العربية يجب أن تأخذ مكان الصدارة في اهتمامات وسائل الإعلام العربية الموجهة للطفل، فهذه الوسائل تتحمل المسؤولية الأوفى في الارتقاء بالمستوى اللغوي للأطفال وصولاً إلى الإبداع الأدبي بدل الهبوط وتدني الأسلوب وركاكة الصياغة بقربها من العامية الفقيرة.

فالعربية إضافة إلى ملازمتها لدين الله، و قد حفظها الله بكتابه الكريم، ولسان نبيه المصطفى، كما أن الثقافة الإسلامية في صميمها ثقافة عربية بلسان من استقبلوا دعوتها وحكموا بشريعتها، وتوجهوا نحوها للتعليم والتقرب فأبدعوا فيها وتوسعوا بعلومها وترجموا إليها ومنها فتجلت فيها آيات الإبداع.

فإذا كانت وسائل الإعلام معنية بزرع المفاهيم والقيم الإسلامية في نفوس الأطفال، فعليها أن تعلمهم وتدربهم على استخدام لغة القرآن الذي لا يمكن تذوقه واكتشاف كنوزه إلا من خلال العربية، وفي ذلك يقول الله تعالى: **(كتابٌ فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون)** [سورة فصلت ـ آية 3].

أما الابتذال واستخدام بعض الألفاظ والكلمات الهابطة التي تتردد عبر بعض المسلسلات والبرامج في وسائل الإعلام، وعدم التقيّد بالأصول والقواعد اللغوية فسيؤدي إلى تأثر الأطفال بما يسمعون ويشاهدون، وبالتالي إلى شيوع الكلمات والمصطلحات غير اللائقة بينهم[16].

تقول الأكاديمية السعودية بصيرة الداوود في مقال لها في الحياة بعنوان (أبجديات التسامح الديني) [17].
"يرى الكثير من المثقفين السعوديين أن إدماج أو إدخال مادة تعليمية حوارية ضمن مواد التربية والتعليم ورياض الأطفال هو أمر ضروري وصحيح".

---

[14] حسن إبراهيم حسن: "تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي"، ط4، ج1، مكتبة النهضة المصرية، ص216.
[15] عبد العزيز شرف: "اللغة الإعلامية" ـ القاهرة ـ المركز الثقافي الجامعي، 1980، ص14.
[16] محي الدين عبد الحليم، وحسن الفقي: "العربية في الإعلام" ـ القاهرة ـ دار الشعب، 1988، ص38.
[17] صحيفة الحياة العدد 17342 تاريخ 27/ 9/ 2010م الموفق 18 شوال 1431هـ.

وتتابع "معنى الحوار هو أن تكتشف ذاتك قبل كل شيء ثم تكتشف غيرك وتحترمه كما هو وكما يريد أن يكون، أي بوجود اختلافات بينك وبينه في الوقت نفسه الذي تجمع بينكما قيمٌ مشتركة تمكّن من التبادل والتفاهم مع بعضكما البعض".

يرى ميشيل لولونغ أن عصر الحروب الدينية انتهى، ولكن عصر الحقد والاحتقار سيستمر ما دامت كل جماعة تنظر إلى الأخرى لا كما هي وكما تريد أن تكون وكما تشعر بوجودها وإنما من خلال صورة مشوهة.

والإعلام إلى جانب التربية والتعليم يستطيع أن يؤهل ناشئتنا وجيلنا القادم للوصول إلى صورة صحيحة لواقع الاختلافات والتعددية المذهبية من منطلق منطقي عقلي وظروف موضوعية وأهداف مجتمعية سليمة هي هدف الأديان والمصلحين والمتنورين بحيث تتماشى مع متطلبات وتطورات الحياة المعاصرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المصادر والمراجع:

1. الإعلام الإسلامي وزرع القيم في نفوس الأطفال ـ عبد التواب يوسف ـ القاهرة ـ مؤسسة إقرأ الخيرية ـ 1992.
2. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ـ حسن إبراهيم ـ حسن:، ط4، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
3. حساسية الكتابة القصصية للطفل ـ عبد الباقي يوسف ـ مجلة المعرفة العدد 565 ـ 2010م دمشق.
4. الحوار السياسي في الوطن العربي ـ د. أحمد حلواني:
5. مجلة الباحث الاجتماعي ـ جامعة قسطنطينة ـ الجزائر العدد الخامس 2004م
6. حوار الشمال والجنوب ـ أسسه ونتائجه ـ إشراف د. جورج قرم ـ معهد الإنماء العربي ـ بيروت 1977م.
7. الحوار القومي الديني ـ مركز الدراسات ـ الوحدة العربية ـ مجموعة أبحاث ـ بيروت 1989.
8. حوار لا مواجهة ـ مجموعة مقالات ـ د. أحمد كمال أبو المجد ـ كتاب العربي، العدد السابع 1985 ـ الكويت.
9. الحوار من أجل التعايش . د. عبد العزيز بن عثمان التويجري ـ 1977م.
10. الدعوة الإسلامية والإعلام الدولي ـ محي الدين عبد الحليم ـ القاهرة ـ دار الفكر العربي ـ 1989.

11. الدعوة إلى الإسلام ـ ارنولد توماس ـ ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين ـ القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية، 1971.
12. الرؤية الإسلامية لإعلام الطفل ـ د. محي الدين عبد الحليم ـ مجلة الإسلام اليوم ـ العدد 13 ـ 1995م ـ الرباط .
13. صحيفة الحياة العدد 17342 تاريخ 27/ 9/ 2010م الموفق 18 شوال 1431هـ.
14. العرب بين الحوار الثقافي والانعزال ـ د. أحمد ثابت الدار الوطنية الجديدة ـ دمشق 2004م.
15. العربية في الإعلام ـ محي الدين عبد الحليم، وحسن الفقي ـ القاهرة ـ دار الشعب، 1988.
16. علم نفس النمو ـ حامد عبد السلام زهران ـ ط4ـ القاهرة ـ عالم الكتب، 1982.
17. كتاب محاضرات في حوار الحضارات ـ المستشارية الإيرانية بدمشق 2001م.
18. اللغة الإعلامية ـ د. عبد العزيز شرف ـ القاهرة ـ المركز الثقافي الجامعي، 1980.
19. مسارات وخبرات في حوار الحضارات ـ تحرير د. فادية مصطفى ـ القاهرة ـ 2004م.

المراجع الأجنبية:

1. Gib, AR. Hamiton: Studies on Cirilization of Islam. R. Pouik Routed and kegan. 1962.
2. Macluhan, Marchal: The Medium id the Message. Second Ed. Benguin Books.
3. Brown Charles: Informing the people: New York. Pennsylvania State University, 1957.

المناهج الدراسية ودورها في ترسيخ القيم الدينية

أ.د. أسعد السحمراني

عناصر المنهج:

التربية مهمة رئيسة في تكوين شخصية الفرد بنيوياً، وهي عامل حاسم في صياغة شبكة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وبالتالي يكون الارتقاء بالفرد والمجتمع محتاجاً للارتقاء بالتربية.

والتربية تتناول على مستوى الفرد الجوانب الروحية، والنفسية، والعقلية، والجسدية، والاعتناء بهذه الجوانب مجتمعة تكون بإعطاء كل جانب ما يحتاجه دون غلو، أو دون تجاوز للحد المطلوب، وهذا ما تمّ التوافق على تسميته: الوسطية أو الاعتدال.

أما ميادين التربية ومواقعها الأساسية فهي: الأسرة، والمدرسة، والإعلام بكل وسائله وأساليبه، وبيت العبادة (المسجد أو الكنيسة أو سواهما).

وإذا كانت ورقة العمل هذه تتجه إلى موضوع ترسيخ القيم الدينية في الناشئة من خلال المناهج الدراسية فإن سياق البحث يستلزم أن يكون التمهيد بعناصر المنهج التربوي.

إن أهمية المنهج القويم تكمن في تسيير العملية التربوية بالشكل السليم، وإذا سارت العملية التربوية التعليمية دون منهج تصبح تائهة الخطى، ويؤدي ذلك إلى التشتت البنيوي الذهني والقيمي عند الفرد وتالياً في المجتمع، ويصل الأمر إلى ما هو في انقلاب كلمة "منهج" إلى نقيض خطير هو "جهنم".
عناصر المنهج التعليمي التربوي المتوافق عليها بين الخبراء أربع هي: الأهداف، والمقرر أو محتوى مواد التدريس، وأساليب التعليم ووسائله، وعملية التقويم وأدواتها وأساليبها.

أ- الأهداف:

وهي فلسفة المنهج التي توجهه، وعناصرها: المبادئ والمنطلقات، والثوابت والضوابط، والمقاصد والغايات. كل هذه تتكون فيها الأهداف. وأية عملية تعليمية تربوية لا تكون أهدافها محددة، وفلسفتها سليمة ملائمة لمجتمعها الحاضن تتحول إلى غير ما هو صالح للمجتمع. ولا يناسب البتة أن يعمد واضعو المناهج إلى الاستيراد غير المدروس، ولا إلى اعتماد أهداف دون معايير تقاس عليها الأمور.
والأهداف في مجتمع يجب أن تنطلق من هويته الثقافية، وأبرزها المنظومة القيمية، ومن ثمّ على الأهداف أن تلبي حاجات المتعلمين وميولهم بكل أنواعها.

والميول كما هو معلوم تتوزع في ثلاث مجموعات: ميول فيزيولوجية ودوافع حياتية، وميول اجتماعية، وميول قيمية مثالية أخلاقية، كما أن الأهداف السليمة هي تلك التي تحدد الاتجاهات المعرفية الوافية بحاجات الفرد وفضوله العلمي، وبما يحتاجه المجتمع.

إن كل إنسان له عقيدة، وله دين يدين به لكننا في سبيل مجتمع واعد نحتاج القيم الناظمة لعلاقات أبناء المجتمع، أما العقيدة والعبادات فهي خصوصيات تعني المنتمين إلى دين واحد. والقيم في إطار المشترك الإنساني متطابقة حيناً، ومتقاربة أحياناً أخرى، وهي الأساس الذي يمكّن قادة الرأي في المجتمعات على المستوى المحلي والقومي والدولي من صياغة شخصية مجتمعية يسودها التفاهم والانسجام.

ب- المقرر أو المحتوى: وهو المادة التعليمية التربوية التي تقدّم للمتعلم في كتب أو مذكرات أو ما يشرحه المعلمون، والمقررات هي مجموعة المعارف، والمعلومات، والأفاهيم، والتعريفات، والنظريات، والقوانين، وهي المحور الأساسي في المنهج. وهذه المقررات ترتبط بالأهداف ارتباطاً وثيقاً وإلا يغيب المنهج، كما أنها يجب أن تلتزم الهوية الثقافية لمجتمعها، ولا يصح قبول أي وافد في المقررات، أو قبول ميادين توظيفه إلا بعد عرضها على المنظومة القيمية للمحيط الاجتماعي، والهوية الثقافية ليكون ملائماً لها.

إن المحتوى يتدرج صعوداً مع نمو قدرات المتعلمين، كما أن واجبه أن يراعي ميولهم واحتياجاتهم، وأن يستجيب للتحديات التي يتعرضون لها. فلكل مجتمع ولكل أمة حاجات، وبناء عليه يكون لكل أمة مقررات دراسية، والواجب أن تراعى الأمور الخاصة بين موقع وآخر من الأمة نفسها. والانفتاح والاستفادة من تجارب الآخرين لا يعنيان أن يتخلى منهج تربوي تعليمي عن خصائص الأمة، وعن الخصوصية الثقافية والقيمية، أو أن يذهب إلى الاستيراد المقترن بالانبهار مما ينتج استلاباً ثقافياً، فإن ذلك يجعل المتعلم في حالة من الإرباك والتشويش.

لكل هذه العوامل تحتاج مادة "المحتوى" أو "المقرر" إلى تفصيل في سياق هذا البحث، لأنها صاحبة الدور الرئيس في ترسيخ القيمي الديني.

ج- أساليب التعليم ووسائله:

يندرج تحت هذا العنوان طرق التدريس، وهذه قد تراوحت بين أن يكون المعلم محور العملية التعليمية التربوية، وهذه الطريقة تقوم على التلقين وتسمى التعليم، وبين أن يكون المتعلم محور العملية التعليمية التربوية، وهذه الطريقة تقوم على النشاط الذي يبذله الطالب، وتسمى التعلّم، وتعرف بالطرق الناشطة.

ويكون بعدها موقع لوسائل الإيضاح من النصوص والأمثلة، والرسوم والصور، والمختبرات وهذه تلعب دوراً في ترسيخ القيم، أو في تدمير المنظومات القيمية وإفسادها.

د- التقويم: إن العملية التعليمية التربوية الناجحة هي تلك التي تنجح في تكوين شخصية الطالب، وتوجيه فكره وسلوكه باتجاه الأهداف المرجوة، ويكون أمر التأكد من ذلك بالتقويم الذي يستخدم مقاييس وأدوات يُختبر من خلالها الطالب، ومن التقويم اختبار الشخصية وتوازنها، ومراقبة سلوك الطالب في حياته اليومية، وكل تصرفاته، لأنه لا قيمة لعلم لا يتحول عملاً وفعلاً.

النص الديني والمشترك الإنساني في المناهج الدراسية:

إن الإنسان مفطور على حب الاجتماع مع غيره، وحاجاته العديدة والمتنوعة تدفعه إلى التلاقي مع سواه، والاجتماع ببني جنسه، ومن ثمّ التعاون من أجل حياة أفضل وعيش كريم. والعلم كما الواقع ينبئان بأن التنوع هو الأصل؛ أي أن الناس في المجتمع على مستوى المجتمعات الصغيرة، أو في الأوطان والأمم، وصولاً إلى الوضع العالمي، متنوعون في ألسنتهم وقومياتهم وخصائصهم الثقافية، ومتنوعون في معتقداتهم وما يدنيون به ويلتزمونه، ولا تستقيم الحياة إلا إذا أقرّ كل فرد بسواه، وكل أمة بغيرها على قاعدة العدل، وهو ما يسمى: التعددية وقبول الآخر.

وتحقيق هذه الأهداف يحتاج إلى التلاقي والحوار تمهيداً للتعارف، ولهذه الغاية يكون التلاقي والحوار بين أتباع الديانات والعقائد ضرورة من أجل علاقات أفضل شرط أن يتم اللقاء على أساس القيم المشتركة أو ما يسمى: "المشترك الإنساني"، وما أكثر ذلك. وهذا يقتضي الخروج من أوهام ما يسمونه حوار الأديان، لأن العقائد والعبادات والشرائع لا تتحاور، وهي تتباين، والحاجة إلى اللقاء تستلزم المشترك الإنساني ولا يضر معها اختلاف العقائد، ولا تنوع المذاهب انطلاقاً من تنوع الأفاهيم والواقع المعيوش.

والحوار المطلوب في موضوعنا التربوي لترسيخ القيم الدينية من أجل أن يصان البشر والمجتمعات من المفاسد والرذائل، هو ذلك الذي لا يبقى في حدود بعض المرجعيات الدينية لأن هؤلاء كثيراً ما يقولون شيئاً على المنابر فيه مجاملة أو رياء، ويقولون غيره إذا خلوا مع أتباعهم، بينما المعالجة التربوية السليمة تحتاج غرس المنظومات القيمية في الناشئة، وحيث معاقل التربية التي هي الأسرة والمدرسة ومنابر الوعظ الديني والإعلام.

إن المقررات والمحتويات في المواد التدريسية هي التي تحتاج لصياغة جديدة – خاصة في العلوم الإنسانية (الأدب – علم الاجتماع – علم النفس – التربية – الإعلام – الفنون) – كي تحقق المقاصد، وذلك يجب أن يستند إلى مرجعية لها موقع الاحترام، وليس كالدين مرجعية سواء عند المسلمين أو غير المسلمين. أما أن نترك أمور العلوم الإنسانية، ومضامين الكتب المدرسية بلا مرجعية ثابتة، وتكون عندها كوعاء المتسوّل الذي يجمع كل ما يعطى له، فإن مثل ذلك يوقع الأجيال والناس أجمعين في تشويش وحيرة

وضياع، وتدخل عناصر الفساد عندها، وتتمكن من اختراق منظومات القيم فتحولها من الهداية إلى الضلال، ومن الصلاح إلى الفساد، ومن الاستقامة إلى الانحراف، ومن التوازن إلى الشذوذ، ومن الرقي إلى الانحطاط، ومن التوسط والاعتدال إلى الغلو والتعصب.

كيف يكون ذلك؟ إن الجواب غير معقد، فالمعالجة السليمة تربوياً لترسيخ القيم الدينية تقتضي أن تتضمن المقررات الدراسية نصوصاً وتوجيهات مقتبسة من النصوص الدينية التي تحوي المشترك الإنساني أو نابعة منها وما أكثرها، وسيعرض هذا البحث لنماذج من ذلك:

أ- الخير والشّرّ:

شهدت حياة الإنسان منذ آدم الأول صراعاً بين الخير والشرّ، ولن يتوقف هذا الصراع ما دام البشر موجودين. والصراع ينطلق من داخل الفرد في صراع ذاتي بين العنصرين فيه؛ عنصر الطين الذي يشده إلى المغالب المادية، وعنصر الروح وهو الذي يسمونه باتجاه علوي، وبعد ذلك يتحول ليكون في المجتمع صراع بين أهل الخير المهتدين، وبين الأشرار الضالين التائهين.

يحتاج الموضوع إلى تحديد المعنى اللغوي والاصطلاحي، ومن ثم عرض نصوص من الشرائع تحضّ على الخير وتنفّر من الشّرّ. فالخير نقيض الشرّ، والرجل الذي يوصف بأنه من خيار قومه؛ أي الذي يكون من أفضلهم. وعند الراغب الأصفهاني: "الخير ما يرغب فيه الكلّ كالعقل مثلاً، والعدل والفضل والشيء النافع، وضدّه الشرّ. قيل والخير ضربان: خير مطلق، وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال، وعند كل أحد، ...وخير وشرّ مقيدان، وهو أن يكون خيراً لواحدٍ شرًّا لآخر كالمال الذي ربما يكون خيراً لزيد وشراً لعمرو."[1]

جاء في النص القرآني: (ويدعُ الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً.) (سورة الإسراء، الآية: 11). فالإنسان فيه عنصر الغضب والتسرع، لذلك قد يسبق على لسانه الشرُّ الخير، والأصل أن يقدم الخير لأن فيه النفع والصلاح، والدعوة إلى الخير ماضية في الأمة لا تتوقف لحاجة الفرد إليها وكذلك المجتمع، وفي قوله تعالى: (ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير.) (سورة آل عمران، الآية: 104). وفي الحديث النبوي الشريف: "من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله."[2]

وقال الله تعالى: (وما تفعلوا من خير يعلمه الله.) (سورة البقرة، الآية: 197). قال القرطبي: "المعنى: إن الله يجازيكم على أعمالكم، لأن المجازاة إنما تقع من العالم بالشيء، وقيل: هو تحريض وحثّ

[1] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، بيروت، دار الكتاب العربي، سنة 1392هـ
[2] أخرجه الإمام مسلم في الصحيح والنووي في رياض الصالحين – باب: في الدلالة على الخير.

على حسن الكلام مكان الفحش، وعلى البرّ والتقوى في الأخلاق مكان الفسوق والجدال، وقيل: جعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لا يوجد ما نهوا عنه."[3]

وقال تعالى: (وما تفلعوا من خير فإن الله به عليم.) (سورة البقرة، الآية: 215). وقال تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.) (سورة الزلزلة، الآية: 7، 8).

لقد أمر الإسلام بإرساء الخير ومقاومة الشر والأشرار والمفسدين لأن تركهم يفعلون ما يحلو لهم سيؤدي إلى خطر يحدق بالمجتمع كله، وبالتالي فلا بد من الأخذ على يدهم. وفي الحديث النبوي الشريف: "عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مثل القائم في حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خَرْقاً، ولم نؤذِ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً."[4]

وإذا انتقلنا إلى المسيحية فإننا نجد نصوصها متوافقة مع ما أمر به الإسلام ووجه إليه بشأن الخير والشرّ. ورد في النص الإنجيلي: "ولا تعرّضنا للتجربة بل نجنا من الشرير." (انجيل متّى، الإصحاح 6، الفقرة 13) والشرير هنا هو الشيطان. ويوجه النص في الرسائل أن من كان لله تعالى لا يتمكن الشرير؛ أي الشيطان من مسّه والتأثير عليه، لكن من اكتفى بالحياة الدنيا يخضع لفعل الشيطان. والنص: "نعلم أن كل من ولد لله لا يخطأ. لكن المولود لله حفظه، فلا يمسّه الشرير. نحن نعلم أننا من الله، وأما العالم فهو كلّه تحت وطأة الشرير." (رسالة يوحنا الأولى، الإصحاح 5، الفقرتان 18، 19).

أما معجم اللاهوت الكتابي فقد جاء فيه: "خير وشرّ bien et mal": "يجب اعتبار صلاح الإنسان اعتباراً خاصاً لأنه مرتبط جزئياً بحكمه الشخصي. فمنذ الخلق، وضعه الله أمام شجرة معرفة الخير والشر، تاركاً له إمكانية الطاعة والتمتع بشجرة الحياة، أو العصيان والتعرّض للموت."[5]

ويوجد في النص الإنجيلي كذلك: "وإذا برجل يدنو فيقول له: يا معلم، ماذا أعمل من صالح لأنال الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تسألني عن الصالح؟ إنما الصالح واحد. فإذا أردت أن تدخل الحياة، فاحفظ الوصايا. قال له: أي وصايا؟ فقال يسوع:

لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزّور. أكرم أباك وأمّك. وأحبب قريبك حبّك لنفسك.

قال له الشّابّ: هذا كلّه حفظته، فماذا ينقصني؟ قال له يسوع: إذا أردت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع أموالك، وأعطها للفقراء، فيكون لك كنز في السماء." (انجيل متّى، الاصحاح 19، الفقرة 16 وما بعدها).

---

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج3، تحقيق د. عبد الله بن المحسن التركي وآخرين، بيروت، مؤسسة الرسالة

[4] أخرجه البخاري في الصحيح، والترمذي في السنن، والمنذري في الترغيب والترهيب – في: "الحدود وغيرها".

[5] معجم اللاهوت، الكتابي، بيروت، دار المشرق، ط1، سنة 1986، ص 334.

هذه الوصايا الإنجيلية الدالّة على طريق الخير، جاء ما يوصي بمثلها وزيادة في النص القرآني في قوله تعالى: (قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون * ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي أحسن حتى يبلغ أشدّه وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نُكلّف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون.) (سورة الأنعام، الآيتان: 151، 152).

وقد جاء كذلك في انجيل مرقس: "إنهم بالباطل يعبدونني، فليس ما يعلمون من المذاهب سوى أحكام بشرية. إنكم تهملون وصية الله وتتمسكون بسنة البشر. ...فقد قال موسى: أكرم أباك وأمك ... وقال: ما يخرج من الإنسان هو الذي ينجس الإنسان، لأنه من باطن الناس، من قلوبهم، تنبعث المقاصد السيّئة والفحش والسرقة والقتل والزنى والطمع والخبث والمكر والفجور والحسد والشتم والكبرياء والغباوة. جميع هذه المنكرات تخرج من باطن الإنسان فتنجسه." (انجيل مرقس، الاصحاح 7، الفقرة 7 وما بعدها).

هذا قليل من كثير من نصوص القرآن، ونصوص العهد الجديد التي تؤصل للخير وتحضّ عليه، وتنفر من الشرّ والفحش والرذائل، وما تحويه هو مشترك إنساني، وقيم يحتاجها الفرد والمجتمع. وإذا أخذنا نموذجاً من فلسفة أخلاقية تحولت ديناً بعد مؤسسها هي البوذية، نجد ما يقارب هذه النصوص. وإذا كانت الشريعة في الإسلام أو في المسيحية هي المرجعية فإن ذلك ما طالب به بوذا الذي انطلق منه ليؤكد على أهمية العلم ونشر الخير وأن الجهل يجلب الشر، وكأنه يذكر بما قاله بعده بقرنين تقريباً الفيلسوف اليوناني سقراط الذي قال: "العلم فضيلة والجهل رذيلة".

قال بوذا في إنجيله: "الشريعة هي الحقيقة، وهي القانون المقدس وهي الدين. وحدها الشريعة تقدر على تخليصنا من الضلال والغواية، ومن الخطيئة والألم. علم المستنير أن الجهل هو الجذر لكل الشرور عندما تبصر بأصل الولادة والموت."[6]

والنفس الشريرة تنتجها الشهوات التي يغرق فيها الإنسان، وبذلك يكون التحرر من الأهواء والشهوات ضرورياً ليكون الإنسان من أهل الخير قال بوذا: "سعيدٌ من يتحرر من أهواء نفسه الرديئة ومن ميول قلبه الشريرة والتارك كل الشهوات الباطلة."[7]

وتعريف بوذا للخير لا يختلف عن الوصايا في النصوص القرآنية والإنجيلية، فلقد ورد في إنجيل بوذا: "الخير هو الامتناع عن القتل والسرقة والفجور والكذب والاغتياب، وهو إزالة كل خبث، ورفض كل ثرثرة، وإخفاء الحسد والغيرة، ودفع البغض والحقد، والخضوع للحقيقة. هذا هو الخير."[8]

---

[6] إنجيل بوذا، ترجمة سامي سليمان شيّا، بيروت، دار الحداثة، ط1، سنة 191، ص 42

[7] إنجيل بوذا، م.س.، ص 45.

وقال بوذا: " –خطايا الجسد الثلاث هي: القتل والسرقة والزنى.

- خطايا اللسان الأربع هي: الكذب والافتراء والشتم والكلام الباطل.
- خطايا الفكر الثلاث هي: الطمع والبغض والضلال...
- لا تقتلوا أبداً ولكن راعوا جانب الحياة.
- لا تسرقوا أبداً...
- تجنبوا كل نجاسة وعيشوا حياة الطهارة.
- لا تكذبوا أبداً ولكن كونوا صادقين في القول...
- لا تختلقوا أبداً حكايات خبيثة ولا ترددوها. ولا تتخاصموا ولا تتقاتلوا...
- لا تحلفوا أبداً لكن تكلموا بأدب وحشمة ولياقة وبعظمة وشرف ووقار.
- لا تهدروا وقتكم أبداً بالكلمات الخالية من أي معنى، لكن تكلموا كلاماً في محلّه وفي وقته وبنيّة طيّبة أو التزموا الصمت.
- لا تطمعوا ولا تحسدوا..."[9]

هذه النصوص في إنجيل بوذا تحوي مشتركات إنسانية تتضمنها نصوص لشرائع أخرى منها الإسلام والمسيحية، وبذلك يكون عرض هذه الوصايا من النصوص في مقررات التدريس مفيدا للتأسيس للتلاقي والحوار والاستقرار والتعارف وفق القيم والمثل العليا.

ب- الأسرة:

إن الأسرة خلية مركزية في المجتمع، وهي الحضن التربوي الأول والرئيسي للناشئة، وفي فضاء الأسرة يتم غرس القيم وترسيخها ليكون الجيل نبتاً صالحاً. والأسرة هي الرابطة الأبلغ أثراً في الفرد والمجتمع.

وسبب إدراج الأسرة في سياق هذا البحث هو ما يطغى من أفاهيم مادية في عدد غير قليل من المجتمعات حيث أدّى ذلك إلى تفكك الأسر وانحلال روابطها، مما أنتج حالات من التشريد والضياع، وكل ذلك ترك بصمات سيئة التأثير على المجتمع. ثمّ كانت تحت عباءة "العولمة" في العقد الأخير من القرن العشرين أطروحات ومؤتمرات طرحت نصوصاً لمواثيق تحاول شرعنة الإنحلال والفساد. ومن ذلك ميثاق "مؤتمر السكان" الذي كان انعقاده في القاهرة بتاريخ 5\9\1994 الذي ورد في الفصل الخامس منه تحت

---

[8]إنجيل بوذا، م.س.، ص 112.
[9]إنجيل بوذا، م.س.، ص 114.

الترقيم "أ" ما يلي: "تنوع هيكل الأسرة وتكوينها" ويكمل النص: أ- وضع سياسات وقوانين تقدم دعماً أفضل للأسرة، وتُسهم في استقرارها. وتأخذ في الاعتبار تعدّد أشكالها، ولا سيما العدد المتزايد من الأسر المعيشية التي يعولها والد وحيد."

إن الأشكال المقصودة في النص هي:

1- أسرة فيها أمّ وأولاد والأب فيها غير محدد.

2- أسرة من شاذّين (فعل قوم لوط)، أو من شاذتين (فعل قوم اسحاق).

3- أسرة من أب ومعه أولاد دون وجود أم ولا هي معلومة.

ومما جاء في الميثاق المذكور؛ تحت عنوان: "أساس العمل"؛ "وإجازات الأبوة المدفوعة الأجر، وإجازات الأمومة المدفوعة الأجر، ومواعيد العمل المرنة وخدمات صحة الطفل". وهناك ممارسات تهدد الأسرة على أرض الواقع منها المساكنة بلا زواج بين من تجاوزوا الثامنة عشرة من العمر، وإذا حصل حمل وإنجاب تحضن من أنجبت الطفل ويسمونها "أماً عازبة" ومن الممارسات المشابهة أن يتبنى رجل أو امرأة ولداً، ولا يخفى ما ينتج عن ذلك من اختلاط الأنساب، ومن علاقات اجتماعية لا ضوابط قيمية لها.

ونورد من هذا القبيل واقعة كانت لها مثيلات سابقاً هي زواج رجل من رجل، وإتمام عقود بذلك. الواقعة الأخيرة نشرتها وسائل الإعلام في 2010/9/19، والخبر مفاده أن وزير خارجية ألمانيا غيدو مسترفيلي قد تزوج شريكه رجل الأعمال مايكل فرونز، وقد تمّ ذلك في بلدية بون حيث أجرى عقد الزواج بينهما رئيس البلدية يورغن فيمتش بحضور حوالي عشرين شخصاً من العائلة.

هذه الأمور التي تهدد الأسرة وتالياً تجعل الخطر محدقاً بالمجتمع تقتضي تحركاً من الغيارى والأسوياء لوضع حدٍّ لهذه الانزلاقات، وتكون مواجهة ذلك بمواقف جديّة هدفها حماية الأسرة، ومن خلالها كرامة الإنسان، ونظامية علاقاته مع أبويه وأرحامه وسائر أهل مجتمعه، وهذا يحتاج تعاوناً يتمثل في أن تتضمن مقررات التدريس مواد تعالج مسألة الأسرة من منظور ديني إسلامي أو مسيحي، أو من فلسفات يعتقدها بعض الناس كالهندوسية والبوذية والشنتوية...الخ.

لقد بات ملحاً أن تبذل الجهود لحماية الأسرة وفق النمطية المنطلقة من الفطرة الإنسانية السليمة، والتي تقوم على أساس ما شرعه الله تعالى، ووفق ما يقرّه المشترك الإنساني.

إن الحياة الزوجية في الإسلام التي تقوم على علاقة مشروعة بين الرجل والمرأة إنما هي مقدمة للاستقرار ولحفظ النوع حيث يكون الأبناء والأحفاد ثمرة هذا الزواج. قال الله تعالى: (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيّبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون.) (سورة النحل، الآية 72).

أما العلاقات الزوجية التي تهددها مفاهيم انحرافية وشاذّة لا معايير خلقية لها، فإن الإسلام قد حدد لها من خلال النص القرآني قواعد وثوابت جاءت بها الآية الكريمة: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.) (سورة الروم، الآية 21).

وفي الحديث النبوي الشريف: "من كان موسراً لأن يتزوج ثم لم يتزوّج، فليس منّي."[10]

إن الأسرة أساس للأمان الاجتماعي للفرد، وهي الوحدة المجتمعية التي تحفظ النوع البشري بالتناسل وفق الأصول المشروعة، وبناء لأحكام الدين منعاً من اختلاط الأنساب، وفساد الروابط بين البشر. "فالأسرة هي الجماعة الأوليّة التي يرى الإنسان النور في كنفها، وهي رابطته الرحمية التي تتحمّل مسؤوليات تجاهه، والتي يترتب عليه واجبات تجاهها فيما بعد، وفوق ذلك يمكننا القول: إن الأسرة هي أساس صلاح الإنسان أو فساده."[11]

والزوجان يلتقيان بود ومحبة حتى يكونا كجسد واحد يستر أحدهما الآخر ويرعاه. وفي الآية الكريمة قوله تعالى: (هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ.) (سورة البقرة، الآية 187).

وإذا انتقل البحث إلى المسيحية يجد المتابع كيف يتوافق المشترك الإنساني القيمي الذي يشكل مادة للتنشئة السليمة والتربية القويمة. فقد جاء في النص الإنجيلي: "فأجاب: أما قرأتم أن الخالق منذ البدء جعلها ذكراً وأنثى، وقال: لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته، ويصير الإثنان جسداً واحداً. فلا يكونان اثنين بعد ذلك، بل جسد واحد." (انجيل متّى، الاصحاح 19، الفقرات 4، 5، 6).

تنص المادة (17) من قانون الأحوال الشخصية للروم الأرثوذكس في لبنان: "الزواج سرّ من أسرار الكنيسة به يتمّ اتحاد رجل وامرأة ليتعاونا على الحياة الزوجية وحمل أعباء العائلة وتربية الأولاد."

والنصّ في مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني (1965) عند الكاثوليك: "إن الشركة الحميمة في الحياة والحب الزوجي قد أسّسها الخالق، ووضع لها نواميسها، على أن تكون اتحاد أزواج قائماً على رضى شخصي غير قابل النقض والتراجع. وهكذا فالعمل الإنساني الذي يتبادل به الأزواج العطاء والتقبّل هو توافق ترابطي ثبّتته الإرادة الإلهية، وكان كذلك في نظر المجتمع البشري. فإن الله نفسه هو واضع الزواج، ولهذا الزواج ميزات وأهداف، وكل ذلك شديد الأهمية من أجل استمرار الجنس البشري ... وفي طبيعة المؤسسة الزوجية والحبّ الزوجي إنجاب الأولاد وتربيتهم."[12]

---

[10] أخرجه البيهقي في السنن.

[11] السحمراني، أسعد، المرأة في التاريخ والشريعة، بيروت، دار النفائس، ط2، سنة 1417هـ - 1997م، ص 225.

[12] المجمع الفاتيكاني الثاني، معهد القديس بولس، جونية (لبنان)، منشورات المكتبة البوليسية، ط1، سنة 1992

وفي المشترك الإنساني أن الإنجاب من مقاصد الزواج، وفي الإسلام حفظ النسل من مقاصد الشريعة. وفي مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني: "الزواج والحب الزوجي موجهّان بطبيعتهما إلى إنجاب النسل وتربيته، والأبناء أطيب مواهب الزواج، وبهم أعظم الخير للوالدين أنفسهم."[13]

إن الانتقال إلى شريعة وضعية ليست رسالة سماوية هي شريعة الهندوس يتبيّن معه أن المشترك الإنساني القيمي بالنسبة للأسرة لا يختلف كثيراً في مضمونه. قال الهندوس في "منو سمرتي": "يعتبر الويد، الرجل تامًّا إذا ما جمع في نفسه ثلاث نفوس متحدة، وهي: نفسه ونفس زوجته ونفس ولده. وأما البراهمة فيرون بأن الرجل وزوجته هما واحد لا اثنان."[14]

الزوج والزوجة واحد وهذا ما وجه إليه النص القرآني والنص الإنجيلي، وقد وجه النص في المشترك الإنساني إلى أن ثمرة الزواج هي الانجاب، وكذلك الأمر في الهندوسية التي جاء في نصوصها: "لقد اعتُبرت المرأة، في الكتب المقدسة، مثل الأرض والأب مثل البزر فالأولاد إنما هم نتيجة اتحاد البزر بالأرض. قد يمتاز البزر، أحياناً، جودة عن الأرض وقد يكون الأمر عكس ذلك، أحياناً أخرى، ولكن إذا ما تساوى الاثنان كان النسل ممتازاً."[15]

جودة النسل بيولوجياً وعقلياً أمر مطلوب لذلك كان في شروط عقود الزواج أن يخضع العروسان لفحص للدم خوف أن يكون عندهما ما ينتج مواليد عندهم تخلف أو إعاقات، كما أن نصوصاً وتوجيهات جاءت تحض على التباعد في النكاح.

ولم تبعد البوذية في مضامين نصوصها عما ورد سابقاً في سياق هذا البحث فيما يخصّ الأسرة. جاء في "إنجيل بوذا": "الزوج الذي يحبّ زوجته ويرجو نوال وحدة تكون خالدة يجب أن يكون أميناً لزوجته لدرجة تكون مشابهة للحقيقة نفسها فترتاح عندئذ زوجته إليه وتحترمه وتخدمه."[16]

وعند البوذية كذلك: "السعادة الكبرى التي لا يستطيع أمرؤ فانٍ على تخيّلها هي رابطة الزواج التي تجمع قلبين متحابّين."[17]

ج- برّ الوالدين:

يأتي بين العوامل المهمة في تكوين مجتمع تكويناً سليماً، موضوع تكريم الأبوين، ورعايتهما رعاية مقرونة بالاحترام والتكريم. وهذا الموضوع تحتاجه المقررات التعليمية لأن دعوات قامت وتقوم،

[13] المجمع الفاتيكاني الثاني، م.س.، ص 259.
[14] منو سمرتي أو شرع منو، عربه وشرحه د. إحسان حقي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، سنة 1409 هـ - 1988م
[15] منو سمرتي، م.س.، ص 312.
[16] إنجيل بوذا، م.س.، ص 180.
[17] إنجيل بوذا، م.س.، ص 179.

وهي تدعو إلى التنكر للأبوين، وترك أمرهما للمؤسسات الرسمية الحكومية، والمؤسسات غير الحكومية، وهناك ظواهر من العقوق للوالدين نتيجة مناخات تخلقها مفاهيم من الوافد الثقافي عمادها المادة والأهواء والمصالح.

إن من يصوغ المقررات الدراسية في التعليم والتربية سيجد حشداً كبيراً من النصوص في الإسلام تعلم برّ الوالدين وتكريمهما. منها قوله تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير.) (سورة لقمان، الآية: 14).

وقوله تعالى: (وقضى ربّك ألا تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحساناً إما يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذّلّ من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً.) (سورة الإسراء، الآيتان 23، 24).

ومما جاء في الحديث النبوي الشريف: "عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد. فقال صلى الله عليه وسلم: أحيّ والداك؟ قال: نعم. قال صلى الله عليه وسلم: فيهما فجاهد."[18]

أما النص الإنجيلي فقد جاء فيه: "فقد قال الله: أكرم أباك وأمك. ومن لعن أباه أو أمه فليمت موتاً." (إنجيل متّى، الاصحاح 15، الفقرة 4).

وفي نصوص مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني: "وإذا كان الاولاد أعضاء فاعلين في العيلة فإنهم يعملون بطريقتهم الخاصة على تقديس والديهم. وهم بروح عرفان الجميل، والبر البنوي، والثقة المخلصة يكافئونهم، وبأخلاق البنوة يرعونهم في شدائدهم وفي عزلة شيخوختهم."[19]

إن المتابعة لغير الإسلام والمسيحية توصل الباحث إلى أن أصحاب معتقدات أخرى قد جاءت نصوصهم تحضّ على برّ الوالدين، ففي نصوص الهندوسية ما يلي: فليس بالمستطاع مكافأة الأبوين، حتى ولا بمائة سنة، على ما يقاسيانه من العذاب في نسل الأولاد."[20]

وفي نص آخر تضيف الهندوسية الأستاذ إلى الأبوين، ويكون واجب الإنسان أن يكرم ثلاثة بدل اثنين، وكأنهم يعنون أن الواجب هو تكريم كل من ربّى الإنسان وحضنه ورعاه. جاء عندهم: "يفوز المرء في هذا العالم بقيامه على خدمة أمه، وفي العالم الثاني بقيامه على خدمة أبيه، وفي العالم الثالث بقيامه على

[18] أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما.
[19] المجمع الفاتيكاني الثاني، م. س.، ص 257.
[20] منّو سمرتي، م.س.، ص 90.

خدمة أستاذه... على المرء أن يقوم بخدمة هؤلاء الثلاثة ما داموا أحياء وألا يأتي بعمل يرجو ثوابه دون رضاهم، بل عليه أن يسعى بما فيه خيرهم وسرورهم."[21]

تأسيساً على ما تقدم يكون من المفيد للمناهج في موضوع المقرر أو المحتوى للكتب المدرسية أن تعمد إلى النصوص الدينية لتقتبس منها، وتستل منها ما فيه كلام في المشترك الإنساني أو القيم المشتركة فبذلك تستطيع المناهج أن تستفيد من الدين في ترسيخ القيم، ولا يخفى على أحد دور القيم الدينية في التكوين المجتمعي، وفي البنية الذهنية للفرد والمجتمع.

توصيات واقتراحات:

إن غرس القيم الدينية السوية من خلال المناهج الدراسية يقتضي الاستفادة مما يلي:

1- أن يكون المعتمد هو حوار أتباع الأديان بدل ما هو شائع من القول: "حوار الأديان"؛ لأن ديناً لا يتحاور مع دين آخر، فالحوار يكون في أمور مشتركة تقبل الأخذ والرد، والتمسك بشيء وترك سواه، بينما في الدين عقيدة ونصوص شرعية يؤمن بها معتنقو الدين، ولا مجال للأخذ والرد فيها إذ الأساس هو الطاعة والامتثال.

لكن أتباع الأديان لهم الحقّ أن يتحاوروا ويتلاقوا في منظومات القيم المسماة: المشترك الإنساني، مثل: برّ الوالدين – الصدق – الأمانة – فعل الخير... الخ.

2- إن معرفة الآخر كما ورد في الآية الكريمة: (لتعارفوا) (سورة الحجرات، الآية 13). وقبوله أو عدم قبوله، كل ذلك يجب أن يقوم على أسس ومعايير يكون بناء عليها القبول أو الرفض، وهذا يكون بناء لنصوص. قال الله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبّروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحبّ المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون.) (سورة الممتحنة، الآيتان: 8، 9).

لأنه لا يفيد الحوار، ولا المؤتمرات، ولا الإعلام، ولا المناهج الدراسية إذا كان أحد يمارس إرهاب الدولة عسكرياً واقتصادياً وأمنياً وسياسياً، بل لا بد أن يكون التمهيد للحوار بداية من موقع العدل ومنع الظلم، واحترام كرامة الإنسان ووقف التطاول والعدوان، وبالتالي إزالة كل احتلال وعدوان.

[21] متّو سمرتي، م.س.، ص 91، 92.

3- إن مؤتمرات كثيرة قد عُقدت وندوات ومناظرات، وورش عمل حول موضوعات متخصصة في التربية وسواها، ومع ذلك لم تجد كل هذه في التخفيف من حدة المواقف، ولا هي أرجعت حقًّا لأصحابه، وما طرحته بقي حبيس الصفحات أو الأقراص المدمّجة.
لأن أمر المعالجة يحتاج اتخاذ خطوات عملية وإجرائية، ولا تُعالج المشكلات إذا تداولتها النخب والأطر المفكّرة، ولم تتحول إلى أفاهيم يعرفها الناس في أكثريتهم لأن التلاقي واستقرار العلاقات حركة شعب، لا حالة ضمن مجموعة محدودة العدد.

4- إن التربية انطلاقاً من المناهج لها دور وازنٌ وفاعل في غرس قيم الخير والحب والصلاح وسواها، وللنص الديني مكانة، وتأثير على الأجيال، لكن التربية يتلاشى مردودها وريعها الإيجابي إذا وجد المتعلم في البيئة الاجتماعية، وفي المحيط الدولي، والوطني والمحلي، ما يخالف النصوص والأفاهيم التي تعلمها في المدرسة والمعهد والجامعة.
نخلص إلى القول: إن مناهج التربية حلقة من سائر الشؤون الفاعلة في حياة الإنسان مثل السياسة ونظام الحكم، والقضاء، والاقتصاد، والخطاب الديني، والإعلام...الخ، وإذا كان المعنيون جادّين في الاصلاح فواجبهم أن يطرحوا مشروعاً متكامل الأجزاء والبنى يحيط بكل الميادين، وإلا فإن الجهود تذهب سدى، والطاقات تضيع بغير جدوى.

بسم الله الرحمن الرحيم

تعليم الدين وتعميم القيم: أهل الأديان ورهان إعادة التوازن للعالم

الدكتور غيث مبارك الكواري

بعد شُكْرِ الجهة التي حرصت على حضوري هذا اللقاء الهام والضروري بين أهل الأديان نظرا لما ينتهي إليه من مآلات تُخَفِّفُ من حِدَّةِ التَّوَتُّرِ والاحتقانِ في العلاقات بين المنظوماتِ الفكريةِ المختلفة، وتُعيدُ التأكيدَ على ضرورةِ اعتبارِ المُشْتَرَكِ لتحقيق السِّلْمِ والعدلِ في العالم وتَحْقِيقِ التَّعَايُش وإنقاذ الإنسان منَ السُّقُوطِ في أتُونِ التَّصَارُعِ وما يُؤَدِّي إليهِ من ضياعٍ لمُهِمَّةِ الاستخلافِ في الأرضِ، وهلاكٍ للنَّوْعِ، ودَمَارٍ لهذا الكوكبِ الجميلِ الذي وَقَّرَ فيه اللهُ تعالى كُلَّ سُبُلِ التَّنَاسُبِ البَيْئِي، وجَعَلَ فيه منَ الخيراتِ ما يُؤَمِّن للبَشَرِ أسبابَ العيْش، ويَدْفَعَ عنهم الفَاقَة والحُوج، ليَعْبُدوا الله في أَمْنٍ وسلامٍ، ويتفكروا في آلائِهِ، فَتَطْمَئِنَّ وتَسْكُنَ نفوسُهم، وتتحقق المَبَرَّةُ بينهم، ويُشِيعُون العدلَ، ويُنَاهِضُونَ التَّسَلُّطَ، ويتعاونون لتحقيق "كلمةٍ سواء" مُؤسسةٍ على مقاصد الشرع وما يَتَأَسَّس عليها من الأفْكَارِ الحَيَّةِ.

أيها السادة

لقد سَاهَمَتْ عوامل كثيرةٌ في العودة بالدين إلى الصَّدَارةِ في العالم في هذا العصر؛ فبعد قرونٍ من الصِّدَامِ بين المجتمعاتِ الدينيةِ، اتَّسَعَتْ فيها دَوَائرُ وأشكالُ التَّعَصُّبِ، وتَعَمَّقَ فيها الاختلافُ، وغيرُ ذلك من الأفكارِ السلبية التي ابتعدت بأهل الأديان عما تدعو إليه الأَدْيَانُ من سلمٍ وخُضوعٍ لله تعالى ودفعٍ للغضبِ وابتعادٍ عن التَّقَاتُلِ واقْتِرَافِ ما نَهَى اللهُ عنه من الأفعال والممارسات, عادَ الدينُ إلى الواجهةِ مرةً أخرى ليُثْبت أنه قادرٌ على تَجَاوُزِ الاخْتِلالاَتِ التي ضَيَّقَتْ حُدودَ التعايش وعَمَّقَتْ مِسَاحَاتِ الاختلاف.

ها هي الأديانُ تعودُ مرةً أخرى، مُعلنَة ضرورةَ مراجعةِ فكر "عصر الأنوار" الذي تلا زلزالَ لشبونة المُدَمِّرِ سنة 1755م ، والذي كان من أبرزِ نتائجه الدعوةُ إلى الحَدِّ من سُلطةِ الدين في المُجْتَمعاتِ وإشهارُ "سُلْطَةِ العِلْمِيَّةِ"، فوُضِعَتْ فلسفاتٌ بشريةٌ مَوْضِعَ الدِّينِ، وبمُوجِبِهَا أَغْرَقَ الإنسانُ في التَّعَاظُمِ ظَنًّا منه أنه قد اكتسب السُّلْطَانَ الأَعْظَمَ، وتَأَسَّسَتْ تَبَعًا لذلك أيديولوجياتٌ تَنَاسَلَتْ مِنْهَا أفكارٌ فاشيةٌ دَمَّرت العالمَ في حربينِ عالميتين، وَوَسَّعَتْ دائرةَ الخَلَلِ وعدم التوَازُن.

وتلافيًا لآثارِ الدَّمَارِ، وبعيدًا عن الأديانِ، أغْرَقَ الإنسانُ في إنتاجِ وتَطْوِيرِ ما ظَنَّ أَنَّهُ يُؤَمِّنُ لَهُ العَيْشَ ويُسَهِّلَ لَهُ سُبُلَهُ، وانتهى به المَطَافُ إلى الخُضُوعِ لِمَا أَنْتَجَتْ يَدَاهُ، فلم يَسْتَطِعْ حِفْظَ نَفْسِهِ ولا صَوْنَ الكوكبِ الذي هو مِنْهُ وآيلٌ إليه، تَسَلَّطَ وتَحَارَبَ، واسْتَعْبَدَ البعضُ البعضَ، وأضحى في النهايةِ مُدْرِكًا أنْ

الدين وَحْدَهُ "تلكَ القُوَّةُ الفَاعِلَةُ من أجْلِ الخَيْرِ" يُمْكِنُ أن يُعِيدَ لَهُ التَّوَازُنَ والسُّكُونَ، ويُؤَمِّنَ لَهُ الانْعِتَاقَ مِنْ نَيْرِ الأفْكَارِ المَيِّتَةِ والمُدَمِّرةِ.

لكنَّ أشكالَ العَوْدَةِ إلى الدِّينِ تَعَدَّدَتْ بِتَعَدُّدِ درجاتِ وَعْي العَائِدِينَ ومَرَاتب واقعهمْ وفهمهمْ للنُّصُوص الدِّينِيَةِ وتَمَثُّلِهِمْ لقواعدِ الاستدلالِ وآلياتِ الفَهْم. لقد طُبعتِ العودةُ بِتشنُّجٍ وغُلُوٍّ عند البعض، وبِفُتُورٍ عند غيرهم، وباعتدالٍ عند فريقٍ ثالثٍ.

وأنَّى كان الأمرُ، فإن العودةَ إلى التَّدَيُّن، دليلٌ على أن الأديانَ خَزَّانٌ منَ القيمِ الخالدةِ لا يَنْضَبُ، وشِرْعَةٌ ومنهاجٌ لا يُمْكِن للإنسانِ تجاوزُها، إذْ مِنْ دون الخُضوع لله عز وجل لا يُمْكِنُ للكائِنِ البشريِّ أنْ يَهْدَأَ ويَعِيَ الوُجُودَ ويَسْتَطِيبَ العَيْشَ.

قال الله تعالى في القرآن الكريم: "إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء" (سورة المائدة الآية 44) وقال تعالى:" وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ " (سورة المائدة الآية 46)
وقال تعالى "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا " (سورة الإسراء الآية 9)

فإضافة إلى ما تُشيرُ إليه هذه الآياتُ من استمرارٍ لِمِشْكاةِ النبوة واستمرارٍ لِلُغَةِ البَلاَغ، تُؤَكِّدُ على نُقطةِ ارتكازٍ مُهمَّةٍ، وهي أن تحقيقَ الهدايةِ وتأمينَ المَآلِ بالخُضُوعِ إلى أوَامِرِ الله تعالى واجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ مِمَّا دَعَتْ إِلَيْهِ الكُتُبُ السَّمَاوِيَةُ. لقد نَظَّمتْ هذه الكُتُبُ علاقة الإنسانِ برَبِّهِ، وعلاقَتَهُ مع أخيهِ الإنْسَانِ، وعلاقتَه بمُحِيطِه (الكون)، وَبَيَّنَتْ لَهُ مَوْقِعَهُ منه وما يَتَرَتَّبُ عليه من واجباتٍ وما يَجِبُ لَهُ من حُقُوقٍ.

وقد كتبت عن تَعْلِيمِ الدِّينِ والتَّعَلُّمِ وآدَابِ العَالِمِ وَشُرُوطِهِ في الإسلامِ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ اِنْطَلَقَتْ مِمَّا وَرَدَ فِي القُرْآنُ مِنْ حَدِيثٍ عَنْ فَضْلِ العُلَمَاءِ مثل قوله تعالى:" يَرْفَعِ اللهَ الَّذِينِ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ" (سورة المجادلة ، الآية 10) ، وقوله تعالى:"إنما يخشى الله من عباده العلماء" () أي أن العلماء هم أشد خشية لله، وقوله تعالى: " قل هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والذين لاَ يَعْلَمُون"(سورة الزمر الآية 8)

كما انطلقت مما جَاءَ فِي الحديث الشريف؛ قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يلتمس فِيهِ عِلمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ" (صحيح مسلم، رقم الحديث 2699)، وقال صلى الله عليه وسلم: "العُلَمَاءُ هم وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ " (صحيح البخاري باب العلم قبل القول والعمل)

وَقَدْ أَفَاضَ العُلَمَاءُ المُسلمونَ فِي تَفْصِيلِ آدَابِ العَالِمِ والمُتَعَلِّمِ وَفِي غَايَاتِ التَّعْلِيمِ وطُرُقِهِ ودوره .

أما التَّوْرَاةُ فقد عَلَّمَتْ وَصَايَا الرَّبِّ هكذا:

"اسْمَعْ يا إسرائيلُ، الرَّبُّ إلهُنَا واحدٌ، فلتُحِبَّ الرَّبَّ إلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ ومن كُلِّ نَفْسِكَ ومن كل قُوَّتِكَ ولتَكُنْ هذه الكلماتُ التي أنا أوصيكَ بها اليومَ على قلبكَ وُقُصَّهَا على أولادِكَ وتَكَلَّمْ بها حين تَجْلِسُ في بيتِكَ وحِينَ تَمْشِي في الطريقِ وحين تنامُ وحين تقومُ واربُطْهَا علامةً على يَدِكَ ولتَكُنْ عَصَائِبَ بين عينيكَ واكْتُبْهَا على قوائمِ أبوابِ بيتِكَ وعلى أبوابك....فاحْتَرِزْ لِئَلاَّ تنسَ الرَّبَّ الذي أَخْرَجَكَ مِنْ مصرَ مِنْ بَيْتِ العُبُوديَّة..." (سفر التثنية الإصحاح السادس)

لقد كان موسى كليم الله عليه السلام مُعَلِمًا بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وعَلَّمَ بني إسرائيل . قال تعالى في القرآن الكريم:" ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ " (سورة الأنعام الآية 154)

وفِي نَفْسِ سِيَاقِ الهِدَايَةِ وَالتَّنْوِيرِ وتَعْلِيمِ الدِّينِ لِإِشَاعَةِ مَقَاصِدِهِ الشَّرِيفَةِ بَيْنَ الْخَلاَئِقِ أنزلَ اللهُ تعالى الإنجيلَ على كَلِمَتِهِ الَّتِي أَلْقَاهَا إلى مريمَ، نَبِيُّنَا عيسى عليه السلام، قال تعالى: "وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ" (سورة المائدة الآية 46)

ونقرأ في إنجيل متى الإصحاح الخامس، 17 " لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ" (إنجيل متى الإصحاح الخامس، 17).

قال تعالى في القرآن الكريم:" وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ "(سورة الزخرف الآية 63)

كان عيسى عليه السلام مُبَيِّنًا ومُعَلِّمًا، وقد تَرَدَّدَتْ بَيْنَ الحَوَارِيِّينَ عِبَارَةُ "يَا مُعَلِّمُ" إشَارَةً إِلَيْهِ كَمَا فِي إنْجِيلِ مَرْقُسْ (الإصحاح الرابع، 38) "وقَالُوا لَهُ يَا مُعَلِّمُ أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ" ، وكَمَا فِي إنجيلِ مَتَّى (الإصحاح التاسع عشر، 17–18): "وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِي الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ".

أيها السادة

إنَّ المنتظرَ مِنْ أهْلِ الأديانِ اليومَ التَّوَافُقُ على حُدُودٍ لِكَلِمَةٍ سَواء تُؤَسِّسُ على مَقاصِدِ الشرائِعِ حُدودًا للتَّوَافُقِ على ما يُحَاصِرُ فِكْرَ التَّصَادُمِ، المُؤَسَّسِ عَلَى الاعْتِدَاءِ ومُصَادَرَةِ حَقِّ الآخَرِ فِي الاختلاف الفكري، والسَّطْوِ عَلَى أَرْضِهِ وخَيْرَاتِه، والتَّوَافُقِ عَلَى إقْرَارِ المَبَرَّةِ والإقْسَاطِ المُؤَسَّسَيْنِ على السِّلْمِ وتَرْكِ المُقَاتَلَةِ في الدِّين وإخراجُ البعضِ البَعْضَ مِنْ دِيَارِهِ، والعملِ على تَخْلِيصِ الإنْسَانِ مِنْ رِبْقَةِ المَادَّةِ ومَا كَسَبَتْ يَدَاهُ، وهُو الكَائِنُ المُكَلَّفُ بِمُهِمَّةِ الاستِخْلاَفِ فِي الأَرْض.

إنَّ الوَتِيرَةَ التي تُنْقَلُ بِهَا المَعَارِفُ وتُرَسَّخُ بِهَا القِيَمُ اليَوْمَ وَتِيرَةٌ سريعةٌ جِدًّا، وَبِقَدْرِ ما يَنْتُجُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ زَخَمٍ، تَزْدَادُ مَسْؤُولِيَةُ العُقَلاَءِ مِنْ أَهْلِ الأَدْيَانِ، مِمَّنْ يُؤْمِنُونَ بِضَرُورَةِ التَّوَافُقِ عَلَى حُدُودٍ مِنَ القِيَمِ تَحْفَظُ السِّلْمَ والحُقُوقَ لِلْإِنْسَانِ، وَتَصُونُ مُعْتَقَدَهُ وَبَاقِي حُرِّيَاتِهِ.

إنَّ تَعْلِيمَ الدِّينِ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ عَلَى بَصِيرَةٍ تُفْضِي إِلَى تَرْسِيخِ قِيَمِهِ الخَالِدَةِ فِي التَّآلُفِ ونَبْذِ الغُلُوِّ واحْتِرَامِ الغَيْرِ وَصَوْنِ حَقِّهِ فِي الاخْتِلاَفِ فِي إِطَارِ التَّنَوُّعِ الذي أَرَادَهُ الله تعالى والمُعَبَّرُ عَنْهُ فِي سورة هود " وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ " (سورة هود، الأيتين 118– 119)، وقوله تعالى "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) " (سورة الروم، الآية 22)

وَتعْلِيمُ الدِّينِ كذلكَ يَنْبَغِي أن يُرَكِّزَ على مُؤَسَّسَةِ الأُسْرَةِ وَهي مُؤَسَّسَةٌ مُعْتَبَرَةٌ في الأديانِ السماويَةِ، إِذْ إِنَّهَا تَحْتَضِنُ الطفلَ فَتَطْبَعهُ بِطَابَعِهَا وتُنَشِّئُهُ عَلَى مُعْتَقَدِهَا.

أيها السادة

إنَّ مَوْضُوعَ هذا المُؤتمرِ موضوعٌ جِدُّ هامٍّ، ونحنُ المُشاركينَ فيه نَتَحَمَّلُ مسؤوليةً عظيمةً فِي تَفْعِيلِ تَوْصِيَّاتِهِ بين أهلِ الأديانِ التي نُمَثِّلُهَا هُنَا ونَتَحَمَّلُ مسؤوليةً أمامَ اللهِ تعالى، ولَعَلَّ أوَّلَ لَبِنَةٍ ينبغي أن نَنْطَلِقَ مِنْهَا أَنْ نُحَقِّقَ حَدًّا مِنَ التَّعَارُفِ فِيمَا بَيْنَنَا لِنَعْلَمَ مَا نُريد مِنْ اجْتماعِنَا هَذَا. كُلٌّ مِنَّا عَلَيْهِ أَنْ يُفَكِّرَ مُنْطَلِقًا في هذا الموضوع مِنْ شَرِيعَتِهِ لِيُسَهِّلَ التَّوَافُقَ.

الذي يَهُمُّنَا الآن، هو كيف نُوَسِّعَ دائرةَ الخيرِ ونُضَيِّقَ دائرةَ الشَّرِّ، كيف نُرجعَ الحقوقَ المسلوبة إلى أهلها، وكيف نُؤَسِّسَ لعدلٍ عالمي نتكافلُ فيه فنرفعَ العِوَزَ والفقرَ عن الفُقراءِ، ونَتعاونَ مِنْ أجْلِ حِمايةِ كوكبِ الأرضِ، ونَحْفَظَ للأجيالِ الآتيةِ حَقَّهَا في أن تتنفسَ الهواءَ النَّقِيَّ وتأكلَ منَ الأرضِ المِعْطَاءِ، وتَنْهَلَ منَ الآبارِ النَّقِيَّةِ وتَنْعَمَ بِخَيْراتِ البحارِ وتحفظَ ثراءَها الطبيعيَّ وتَنَوُّعَهَا

ونحن المسلمين ننطلقُ في هذه المهمةِ مِنْ مَبْدَإِ التَّعارُفِ وما يُحِيلُ عليهِ هذا المبدأُ مِنْ إِمْكَانِ شيوعِ السِّلْمِ، وتَحَقُّقِ الأَمْنِ، والانقيادِ للهِ تعالى بالعَمَلِ بِأوامرِهِ واجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، ومَا يَقْتَضِيهِ تَحَقُّقُ التَّقوى وهي مفهومٌ إيجابِيٌّ ينتهي إلى ترسيخِ قِيَمِ حِفْظِ الحقوقِ للغَيْرِ، ونَشْرِ البِرِّ، قال عليه الصلاة والسلام " الناس بنو آدم وآدم من تراب "(رواه أحمد في المسند (8736) وقال محققوه: إسناده حسن، وأبو داود في الأدب (5116)، والترمذي في المناقب (3956))

ويقول الله تعالى في القرآن الكريم:"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (سورة الحجرات، الآية 13)

إنَّ بناءَ مجتمعٍ إنسانيٍّ عادلٍ يَتَجَاوَزُ المفاسدَ ويتحدُ من أجْلِ جَلْبِ المصالحِ للإنسانيةِ، في حاجةٍ مَاسَّةٍ إلى اعْتِبَارِ التنوعِ الإثْنِيِّ والثقافي والعقدي. وإن قَصْدِيَة التَّعَارُفِ حاضرةٌ فينا بِمَا أَنَّنَا نَتَوَافَقُ على الاجتماعِ ونَجْلِسُ للتَّحَاوُرِ كُلٌّ من مُنطلقهِ العقدي، وكُلُّنَا يَنْشُدُ التقوى ويسعى إلى إرضاءِ الله عز وجل مُسْتَرْشِدًا بما أنزله الله على أنبيائه من كتبٍ وبشاراتٍ، واستنادا إلى ما رَاكَمَهُ كُلٌّ مِنَّا مِنْ تجارب وما قَرَّ عنده مِنْ نَظَرٍ.

وفقنا الله لما يُحبه ويرضاه، وأرشدنا إلى الخير، وجمعنا على كلمة سواء،

والسلام عليكم ورحمة الله.

أهميّة المناهج الدراسيّة في غرس القِيَم الدينيّة السويّة

جورج نحاس

مدخل

في إطار الحديث عن القِيَم لا بدّ من وضع هذا التعبير في السياق الحضاريّ المعاصر. الكلام على القِيَم (valeurs - values) كمفهوم قائم بحدِّ ذاته (concept) حديث العهد نسبيًّا، بينما المجتمعات المختلفة، عرفت الأخلاق كجزء لا يتجزّأ من الثقافة الخاصّة بكلّ منها. ولأنّ الدِين هو عامل أساسيّ في صياغة الثقافة المحلّيّة، كان من الطبيعيّ أن نتساءل اليوم عن العلاقة بين أخلاقيّات نرثها في ثقافة محلّيّة وقِيَم تأخذ تدريجيًّا صفة "العالميّة". كما أنّه من الطبيعيّ أن نفتّش عن جعل أنظومة القِيَم هذه جزءًا من الجهد التربويّ المتمثّل بالمدارس والجامعات ومناهجها، وذلك نظرًا لتطوّر الدور الذي تلعبه المؤسّسات التربويّة في بناء المجتمعات.

في السعي لتوضيح العلاقة بين الأخلاق والقِيَم يعتبر FALL أنّ الأخلاق نسبيّة بسبب ارتباطها بواقع اجتماعيّ ودينيّ واقتصاديّ محدّد، أمّا القِيَم فمُطْلَقة بسبب شموليّتها وقبولها مبدئيًّا من قبل المجتمعات كافّة[1]. هذا لا يعني طبعًا أنّه من السّهل توضيح الفرق بين هذه وتلك، لا على صعيد التّعابير، ولا على صعيد ترجمة القِيَم في الواقع، من هنا ضرورة تسليط الضّوء على تكامل هذَين الوجهَين في التّنشئة المجتمعيّة على أشكالها كافّة، وخاصّة التّربويّة منها.

نشهد اليوم في بعض المجتمعات غلبة للتّقنين الأخلاقيّ على رحابة الأفاهيم القِيميَّة فتُحَدّ هذه الأخيرة في أنظومة الأخلاق (بمعناها المتحجِّر) ويتمكّن إذاك الهوى المُتَطَيِّف (دينيًّا) أوالمؤَدلج (سياسيًّا) أن يجرفها في أيّة لحظة[2]. هل هذا يعني أنّ تعليمًا ما حول التّناغم بين القِيَم والأخلاق يجب أن يُعْتَمَد؟ وهل هذا يتحقّق بتبنِّي مقاربة تعليميّة تشدّد على القِيَم ليس فقط انطلاقًا من دين معيَّن بل بالاستناد أيضًا إلى غنى الخبرة الإنسانيّة المسكوبة في تعدّديّة سمحة؟ أخيرًا وليس آخرًا كيف يُنْظَر

---

[1] هذا ما لم يفهمه المستعمر في القرون الغابرة فكانت لموافقته آثارها الإنسانيّة السلبيّة التي لا نزال ندفع ثمنها اليوم في التعاطي بين الشعوب.

[2] قد أتى في اجتماع مالطة سنة 1997 ما يلي: "لذلك نحن نشدد على ضرورة وعي سوء استعمال الدوافع الدينية كما نشدد على ضرورة التحذير من مضاعفات هكذا استعمال المؤذية للغاية" Déclaration de Malte الصفحة 2، البند السابع. ومن سوء الاستعمال الممكن هو في بعض الأحيان التعتيم على القِيَم باسم الدين.

إلى التناغم بين تصرّف الأفراد ومواقف المجموعات؟[3]

تكمن أهمِّيَّة أسئلة كهذه في الدّور الهامّ الذي تلعبه التّربية بشكل عامّ في بلورة التّعبير عن ثقافة معيّنة في السّياق الحضاريّ العامّ. للتّربية اليوم دور حضاريّ يتعدَّى الجهد التّعليميّ بمعناه الضيِّق ليطال عمليّة تأهيل الفرد في تواصله مع الآخر مهما اختلف عنه ثقافيًّا.

في ما يلي، وبعد تلمّس هذا الواقع ووضعه في إطار حضاريّ عامّ، سأسعى لصوغ طرح يتطلّع إلى تفعيلٍ للتّربية، من خلال المناهج الدّراسيَة، يقوم على اكتساب أفاهيم تلامس نوعيّة العلاقات التي لا بدّ أن يكتسبها الإنسان لتكون القِيَم عنده أبعد من مجرَّد تعامل سطحيّ، نسبيّ وآنيّ مع الأخلاقيّات[4].

تطوّر أنظومة القيم

ليس من السّهل تتبّع تطوّر المفاهيمالتي تقوم عليها القِيَم اليوم لأنّها تأثرت بعدد من العوامل المستقاة من تداخل الموروثات بين الأديان والحضارات المتعاقبة. فديمقراطيّةآثينا، وشريعة حمورابي، والإرث التّوحيديّ المشرقيّ، كما الدّيانات الفرعونيّة والآسيويّة ساهمت بشكل من الأشكال ببلورة تدريجيّة لرؤية الإنسان والمجتمع، ولمفهومَيْ الذكورة والأنوثة، ولارتباط الحرّيّات بالواجبات في عدد من المجتمعات.

أتى عصر النّهضة في أوروبا وتطوّر الفكر النّقديّ والعلميّ فيها ليطرح على الفكر البشريّ إمكانيّة تجريد المعطيات الإنسانيّة على شكل قِيَم لها مدلولات عابرة للثّقافات، ما أسمته الثّورة الفرنسيّة "القِيَم الجمهوريّة"(Valeurs républicaines).

استمرّت هذه المفاهيم بالتطوّر مع طروحات فلسفيّة متنوّعة خاصّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، ودخل في التداول بُعَيد الحرب العالميّة الأولى وبعد الحرب العالميّة الثانية بشكل أخصّ، التّعامل الدّوليّ مع القِيَم بشكل مواثيق دوليّة تتعامل مع أفاهيم مطلقةلم تكن مطروحة بهذه الطّريقة

[3] من المستغرب هنا كيف أنّ جماعات معيّنة تسمح باعتماد سياسات قهريّة (عسكريّة أو اقتصاديّة لا فرق) لجماعات أخرى وترفض هذا الحقّ للأشخاص الذين ينتمون إليها. كما لو أنّ "قيمة" الإنسان في مجموعة معيّنة تفوق قيمته في مجموعة أخرى.

[4] في لبنان لا يشدّد القيّمون على التربية الدينيّة في مختلف الطوائف على القيَم العامّة الجامعة (transreligious) بل بالعكس يؤكّدون على الأوجه التي تظهر الفوارق العقائديّة كما لو أنّ الأخلاق هي جزء لا يتجزّأ من العقيدة.

على الثّقافات المختلفة، كالجندرة، والطّفولة، والعمّال إلخ...[5]

أخيرًا وليس آخرًا، جاءت العولمة وتقنيّات الاتّصال لتطرح فكرة القِيَم كأساس للتّعامل بين الشّعوب ولو اختلفت ثقافاتها وخياراتها السّابقة، فدخل العالم القرن الجديد بواقع حضاريّ يختلف جذريًّا عمّا كان عليه منذ مئة عام. لا يمكن لأحد اليوم تجاهل هذا الواقع، وعليه أن يسأل كيف تحضّر المؤسّسات التربويّة نفسها، خاصّة من خلال مناهجها، لتحافظ على أصالتها الثقافيّة من جهة وتحضّر طلابها لحضارة منفتحة وسمحة من جهة أخرى.

ركائز أنظومة القِيَم

تقوم أنظومة القِيَم المتداولة اليوم على مجموعة من التّعابير التي اكتسبت مع الوقت مدلولات تتخطّى المصطلحات المعهودة تاريخيًّا. هذا لا يعني أنّ هذه المدلولات نهائيّة أو حتّى مقبولة من الجميع بنفس القوّة. لكنّها تشكّل من دون شكّ أرضيّة النّقاش الذي يدور حول القِيَم. تكمن أيضًا أهمّيّة هذه التّعابير في ارتباطها الوثيق بالموروثات الدّينيّة ممّا يضفي عليها طابعًا مزدوجًا لا بدّ من التوقف عنده لما يمكن أن يكون لذلك من مردود على صعيد الاستعمال التّربويّ.

أهمّ هذه التّعابير هي كلمة "الإنسان" وما رافقها تاريخيًّا من تطوّر حضاريّ، وما يرافقها اليوم من نُظُم دوليَّة ومحلّيّة تسعى إلى ربط القِيَم التي تعود إلى الإنسان بمواثيق وشرائع. في الوقت عينه، هذا الاهتمام يشكّل مجال اختلافات عميقة بسبب بعض الموروثات الدّينيّة أو الثّقافيّة من جهة، أو بسبب المفارقات بين المعطيات السّياسيّة من جهة أخرى. لذلك لا يبدو اليوم أنّ التعامل مع "الإنسان" من وجهة نظر قِيميّة هو تعامل مع "مطلق"، لكن يشكو الأمر من نسبيّة ظرفيّة واستنسابيّة تنعكس سلبًا على باقي المعطيات القِيميّة[6]. يخلّف هذا الأمر بشكل طبيعيّ فقدان توازن بين قِيَم نريدها عامّة وتصرّفات تناقضها بحجّة ملامستها لواقع موروث. هنا تكمن أهمّيّة سؤال كالتّالي: ما هي حقيقة دلالة كلمة "إنسان" في تعليمنا حول القِيَم مدنيًّا ودينيًّا؟

تعبير آخر يشكّل اليوم ركيزة في التّداول حول القِيَم هو كلمة "الحرِّيَة" أو "الحُرِّيَّات" حسب الوضعيّة قيد النّقاش. تداول الفلاسفة ومن بعدهم علماء الاجتماع وعلماء السياسة في مدلول هذا التّعبير لقرون. لكن لم يكن هذا الهمّ الحضاريّ ليمنعالاقتتال الطّائفيّ ولا القمع البوليسيّ. كما لو أنّ

---

[5] فعلى سبيل المثال لا الحصر، كيف يعبّر فعليًّا من قبل الدول الغنيّة عن قناعتها بحقوق الطفل في البلدان الفقيرة وهي تستغلّ هذه الدّول إنتاجيًّا واستهلاكيًّا منذ القرون؟

[6] مثالاً على ذلم اعتبار المواطنين المنتمين إلى عقيدة دينيّة مختلفة في الدّول الدينيّة، مواطنين من درجة ثانية. والعالم يقبل بذلك لمصالح سياسيّة أو اقتصاديّة.

الحرّيّة هي على قياس الإنسان الذي سيتمتّع بها. فعلى أيّة حرِّيَّة، أو حرِّيَّات نتكلّم؟ وما علاقة هذا التّعبير بفهمنا القِيَم الإنسانيّة المعلَنَة والتي نربّي عليها دينيًّا ومدنيًّا؟

تعبير ثالث يجدر التوقف عنده هو كلمة "حقوق". مع تعدّدالوثائق التي تتكلّم على الحقوق لفئات بشريّة (كالأطفال والنساء)، أو في مجالات معيّنة (كما في التّربية والتّعليم)، يبدو أن أفهوم "الحقوق" بدأ يأخذ وجودًا مستقلاً يفصله عن تعبير آخر ملازم له قانونًا، وهو تعبير "الواجبات". فيتعامل العالم اليوم مع "الحقوق" كقيمة إنسانيّة ولا يعطي "للواجبات" الأهمّيّة نفسها. على سبيل المثال لا الحصر، ووفق النّظام السياسيّ الحاكم، لا يتم التعامل مع حقوق الأكثريّات والأقليّات وواجباتها بالطريقة نفسها ولا تتم تقاربتها بالتّوجّه القِيميّ نفسه.

بذلك، أصبح الكلام على الحقوق سلاحًا ماضيًا بيد المتنفّذين أحيانًا أو بأيدي الإرهاب أحيانًا أخرى بعيدًا عن المضمون القِيميّ للتّعبير الأساس ألا وهو الإنسان، حتّى يحكم هذا الأخير في كلّ ما يعود إلى التّعامل بين الإنسان وأخيه الإنسان، بين الإنسان والنّظم الحاكمة في الدُّول، كما بين الدُّول نفسها. من هنا السّؤال حول مسؤوليّة التّنشئة الدّينيّة على القِيّم في إطار مُلْهِم للسّياسة حتّى لا تتحكّم السّياسة والسّياسيِّين بالمعطيات القِيميّة السّمحة التي تبشّر بها الأديان.

موقع التّربية في التّنشئة وبناء الأوطان

تقيم العلوم التّربويّة المعاصرة فرقًا بين التّربية والتّعليم بشكل عامّ. والمتخصِّصون في هذا المجال يدركون تمامًا أبعاد هذا الفرق وترجمته الميدانيّة في مجالات التّنشئة، من هنا إنّ المقاربات التّربويّة الحديثةتُثمِّنالتّربيةجاعلةمنالشّقّالتّعليميّوجهًامنوجوههاليسإلاّ. ليس هنا المجال للغوص في خصوصيّة المدارسالتّربويّةفيمقاربة هذاالأمر. لكن لا بدّ وأن أؤكّد أن هذا الأمر ينسحب أيضًا على التّنشئة الدّينيّة التي لا يمكن اختصارها بالشّقّ الشّعائريّ لأنّ الوحي الإلهيّ الذي تستند إليه الأديان هو أرحب من هذا البعد الطّقسيّ على أهمّيّته. فلا يمكن أن تُحْصَر المُسَلَّمة الإيمانيّة التي هي في أساس الدِّين بأي بُعْدٍ شكليّ. من هنا لا بدّ، من وجهة نظر تربويّة، من الوعي بأن التّسليم الإيمانيّ ليس مرادفًا لاستقالة العقل، بل هو دعوة لاستنارة العقل بمعنى أنّ العقل يفحص كلّ شيء على ضوء الإيمان حتّى لا تُسْلب من المؤمن إنسانيّته بل ليكتشف رحابة الإيمان المسكوبة في القِيَم الأساسيّة التي نحن بصددها.

من هناإنّالتّربية بشكل عام، والتّربية الدّينيّة بشكل خاصّ، هي معرفة تُطْلِق العقل وتقيم تناغمًا بين علم يُكْتَسب، وموروث ثقافي يُفْحَص باستمرار، ومعطى إيماني يكون بمثابة المُلْهِم.

تواجهالتّربية بشكل عام، والتّنشئة الدّينيّة بشكل خاصّ تحدّيًا يقوم على السّؤال التّالي:ما هو مقدار التّجاوب الذي يمكن أن توفّره تربية حديثة معمقاربة تقوم على التّناغم بين التّعلّم والحياة؟ وبشكل أخصّ، ما هو المتوقّع من تنشئة دينيّة لا تحصر نفسها بالأخلاقيّات والتّعابير الشّكليّة لتصل إلى رحابة القِيَم التي هي في صلب الإيمان هدف الوحي الإلهيّ؟

ما يقودني في نهاية هذه المداخلة إلى البحث في العلاقة بين التّنشئة الدينيّة ووجهة نظر سلوكيّة تكون بمثابةالمحَكِّلمصداقيةالتّعاطيمعالقِيَم. ونظرًا لمحوريّة المناهج في رؤية تربويّة حديثة سأسعى لطرح بعض الخطوط العريضة حول المناهج من حيث الأهداف، والمحتوى، وآليّات التّنفيذ.

السّلوك والقِيَم

تعتمد السّلوكيّات في كثير من الأحيان على البُعْد الثّقافيّ وموروثاته من دينيّة ومجتمعيّة. قليلاً ما توضع هذه السّلوكيّات على محكّ التّقويم من حيث علاقتها بالقِيَم المطلقة[7]. فعلى سبيل المثال كيف ينعكس أفهوم الحرّيّة على السّلوك؟ هل يتغيّر هذا المعطى مع الوضعيّات المحيطة به؟ هل يمكن أن تقارب إشكاليّة الحرّيّات الدّينيّة مثلاً بطريقة مختلفة بين منطقة ومنطقة أو علينا أن نعي أنّ هذا المنطق هو منطق عام لا بدّ أن ينسحب على كلّ المجتمعات، فلا نقبل بسلوك منفتح في مكان وبسلوك رافض في مكان آخر؟

وبالوقت عينه ما الذي يحدّد حدود ممارسة الحرّيّة الفرديّة حتّى لا تقع بالانفلات؟ وهل السّلوك القائم على التّرهيب هو الحلّ أو التّربية على المسؤوليّة المكمّلة للحرّيّة هي الحلّ؟ وما النّفع من اعتماد سلوك ضاغط إذا لم يكن واحدًا للجميع وإذا ميّز بين فئة وأخرى من حيث الجنس، أو العرق، أو الدّين؟ هذا الكلام يدعونا للتفكّر بالعلاقة مع الآخر، أيًا كان هذا الآخر.

العلاقة مع الآخَر

في مجال الكلام الطّوباويّ والخطاب العامّ يبدو أنّ الكلام على الآخر كلامًا معسولاً في كثير من الأحيان. الواقع مختلف تمامًا، سواء كان ذلك على صعيد الأفراد أو على صعيد المجموعات. يشهد العالم اليوم تعاملاً مع الأفراد وبين المجموعات لا يمتّ إلى رحابة القِيَم بصلة. ففي أحسن الأحوال نتكلّم على المسامحة وكأنّها حلٌّ قيمِيّ غير مدركين البعد الفوقيّ لهذا التّعبير. فالقِيَم لا تطالبنا

[7] لنأخذ مثلاً موضوع الثّأر أو تحصيل الشّرف أو القوانين العائدة لبعض المسائل المتعلّقة بالتّصرّف الشّخصيّ. فلا بدّ من توجّه مبنيّ على القِيَم أن يسائل كثيرًا من التّصرّفات المجتمعيّة وحتّى بعض القوانين المعمول بها منا وهنالك.

بمبدأ المسامحة بل بمبدأ قبول الآخر كما هو ومعاملته معاملة النّدّ للنّدّ من حيث الحقوق والواجبات ضمن نظام المواطنيّة التي ترعى الحرّيّات، ولا تفرّق بين إنسان وآخر من حيث الجنس، أو الدّين، أو العرق.

فالتذرّع بالمعطى الإيمانيّ للدّفاع عن التّفرقة بين إنسان وآخر هو تقديم للإرث الثّقافيّ على المكتسبات القِيميّة التي هي في أصول الدّعوة الدينيّة. والخوف اليوم من بعض المنزلقات المتطرّفة، في ما يُعْتَبَر تنشئة دينيّة، هو من اعتماد خطاب مزدوج ولغة خشبيّة تكون القِيَم ضحيّتها الفعليّة، ويدفع الإنسان ثمنها. لذلك تصبح العلاقة مع الآخر محكًّا لإشكاليّة وعينا لأبعاد القِيَم ومستلزمات ممارستها[8]. من هنا كانت أهمّيّة تركيز المناهج التعليميّة على وضعيّات حياتيّة توضح المعنى البعيد لما توصي به الأديان بعيدًا عن الفئويّة التي تغلب في مجتمعاتنا اليوم[9].

المناهج في أهدافها ومحتوياتها

اجتمعفيمالطة،بين 20 و22 حزيران 1997، ممثّلون عن مختلف الأديان في العالم وتداولوا بشأن "سبلالإيمان". صدر عنالمجتمعينبيانعُرفبـ"إعلانمالطة"جاءفيه:

وفيمجالالتّربيةيوصيالمشتركونالطوائفالدّينيّةبالاضطلاعبمايلي،بدعممنالأونسكو:

(أ)تشجيعإجراءدراساتعنصورة"الآخر"فيالنّصوصالدّينيّةوكيفيُدْرَكمنخلالها.

وتحديدتوجّهات،علىهذاالأساس،لعرضمعتقداتالطّوائفالدّينيةالأخرىفيإطارالنّظمالتّعليميّةلكلّمنهذ هالطّوائفأوالرّابطاتالتيتعملمنأجلتحقيقالتّقاربببينالنّاس

(ب)النّهوضبالبحوثعنالطّرائقالتياسْتَخْدَمتفيهاالطّوائفالنّصوصالدّينيّةلتبرير الصّراعات، والقيام في الوقت نفسه بنشر مراجع مقدَّسة أخرى تدعو إلى التّسامح والاحترام المتبادل.

(ج)نشرالمطبوعاتذاتالأهمّيّةالمشتركةالتيتصدرفيالدّولالأعضاءفيالأونسكو" رغم مضيّ سنوات على هذا الإعلان إلاّ أنّه يبقى اليوم مصدر إلهام بالنسبة لكلّ ما له صلة بالتّنشئة في بيئات تعدّديّة.

يتطلّب هذاالأمر:

1- قناعة مجتمعيّة مشتركة بضرورة وأولويّة معرفة الآخر على حقيقته، فيتخطّى الكلام في هذا المجال التّمنّيات والخطاب الخشبيّ ليدخل حيّز التّنفيذ.

---

[8] لذلك فللإيمان مسلّمات مطلقة، تصلح لتكون مجال فحص للقيم. أما ما ليس من صلب الإيمان فهو ظرفي وقابل لامتحان العقل على ضوء المتغيّرات المجتمعيّة والحضاريّة. ومن شأن مسعى البعض في نَسب كل شيء للإيمان أن يضع الدين في تضاد مع تحقيق الإنسان لإنسانيّته على حسب مقتضيات القصد الإلهيّ كما أعلنت عنه الأديان نفسها.

[9] نقول برفض التعصّب الطائفي مثلاً وتتمسّك بكلّ ما يجعل الجسم الاجتماعي الدينيّ يحلّ محلّ المجموعة المؤمنة. فإذا ما أشير إلى خطأ ارتكبه مسيحي أم مسلم، يحوله الخطاب الديني إلى تهجّم على المسيحيّة أو الإسلام.

2- وضع أطر تربويّة من شأنها أن تبني التّنشئة العامّة والدّينيّة على أسس تحترم الإنسان وعقله، وتنمّي قدراته، وتضعه في حوار نقديّ مع نفسه ومع الآخرين انطلاقًا من موقف محبّ ومنفتح.
3- ربط المناهج العامّة والدينيّة بالأفاهيم القِيميّة الآنفة الذكر.

ماذا يعني هذا عمليًّا؟

يهمّنافيالقسم الأخير من هذا الطّرحالتّساؤل حول سبل التّنفيذ على صعيد المناهج. طبعًا، كلّ من يعمل في الميدان التّربويّ يعي الصّعوبات التي تواجه أي تغيير. فللتّغيير متطلّبات قسريّة لا بدّ من احترامها وتأمين تضافر الجهود لإنجاحه والمنهاج ليس مجرّد سرد لمحتويات بل هو أهداف، ومخرجات تعلّميّة، ومحتوى، وسبل تعلّم وتقويم، وهيئة تعليميّة قادرة على نقل المرتجى من هذا التّغيير.

1 - من حيث الأهداف

انطلاقًا ممّا سبق، من الواضح أنّه على مجتمعاتنا أن تعيد اكتشاف البُعْد الإنسانيّ في كلّ منهاج من دون أن يمسّ ذلك قيمته العلميّة واتّساع أفق الموادّ المدرجة فيه. بل على العكس ينبغي في كلّ منهاج عصريّ، يدّعي الانفتاح على الأديان وعلى الآخرين، أن يهدف إلى:

أ - الاطّلاع على العلوم على أنواعها، من بحتة، وتطبيقيّة، وإنسانيّة، واجتماعيّة. في هذا الاطّلاع تسبيحٌ للخالق باتّساع نطاق المعرفة الإنسانيّة فنشكر الله على نعمه المسكوبة في الخليقة بأسرها. والأديان لا تتنكر للعقل ولا للعلم، بل تدعوهما للسّير بمقتضى ما يرضي الله وقصده في الكون.

ب - التّركيز على الإنسان، وعلى خدمته، وعلى المساواة بين البشر من دون تفرقة لا في العرق، ولا في الجنس، ولا في الدّين، لأنّ كلّ خلق الله سواسية. فإذا ارتضى الله بحكمته اللامتناهيّة أن نكون مختلفين، فلنا أن نهدف إلى التّنشئة على احترام هذا الاختلاف وحسن التّعامل معه. وهذا يفترض طبعًا إعادة النّظر برويّة، وتصبّر ببعض الموروثات الثّقافيّة التي تشجّع هنا وهنالك على التّفرقة، والتّمييز في الحقوق والواجبات.

ت - الاطلاع على فكر الآخر كما يعبّر عنه هو بعيدًا عن كلّ فوقيّة تقوم على مبدأ امتلاك كامل للحقيقة من طرف واحد. فقبول الآخر لا يقوم على قبوله الجسديّ من باب التّسامح والتّنازل، بل يكون قبولاً كاملاً على مبدأ المساواة، والحرّية، وحسن دراية الاختلاف، وإدارة مفاعيله.

2 - من حيث المخرجات التّعلّميّة

هذا التّوجّه في الأهداف يستتبع عمليًّا تحديد مخرجات تعلّميّة يتمكّن منها الإنسان طيلة فترة دراساته، أكانت ابتدائيّة، أم ثانويّة، أم جامعيّة. وتتطوّر هذه المخرجات التعلّميّة مع السّنّ وفق النّضوج الإدراكيّ عند المتعلّم. لذلك فمن المتوقع، وحتّى يستطيع الإنسان أن يعي أبعاد القِيَم التي هو مدعو إلى ممارستها، أن يصبح المتعلّم قادرًا على:

أ - اتخاذِ موقف نقديّ مما يقرأه، أو يسمعه ليشكّل قناعاته الخاصّة فلا ينجرّ عاطفيًّا إلى اعتماد مواقف تتناقض ومبادئ القِيَم التي يفترض أن يكون قد أُنْشِئَ عليها.

ب - تحليلِ المعطيات التي بين يديه تحليلاً قِيميًا بالرجوع إلى الأسس التي تقوم عليها القِيَم فيميّز بين ما هو في الجوهر وما هو في الشكل، لتكون علاقاته مع الآخرين سويّة.

ج - التّفتيش عن المعلومات الصّحيحة التي تخصّه كما تخصّ الآخر، فيحترم الإيمان كمصدر إلهام لسلوكه، ويحترم العقل كأداة تفاعل مع العالم ومستجدّات العلم.

د - تطوير مواقفه الحياتيّة من الآخرين فيسلك تجاههم على وحي القِيَم التي هو مقتنع بها خاصّة في ما يعود إلى المحبّة، والخدمة، واحترام الاختلاف.

ه - إعادة النّظر ببعض المعطيات الثّقافيّة المحلّية إذا ما اقتضى ذلك المضيُ بمستلزمات احترام القِيَم السّمحة. وإعادة النّظر هذه لا تكون بخلق جوّ من التّوتّر بل بقبول مبدأ الإرتقاء في مستوى المواءمة بين ما هو موروث ومتطلّبات التّطوّر الحضاريّ المؤسَّس على الأبعاد القِيميّة.

3 - من حيث محتوى المناهج

يأتي محتوى المناهج ليؤمّن مستلزمات تلبية أهداف المنهاج ومخرجاته التعلّميّة. ففي رؤية تربويّة حديثة، يشكّل محتوى المنهاج وسيلة ليس إلا. لذلك يمكن للمحتوى أن يتبدّل حسب المعطيات الاجتماعيّة، والبيئة، والزّمن، مع المحافظة على الأهداف المعلنة، والسّعي لتحقيق المخرجات التّعلّميّة. من هنا، أنه ليس من الممكن تحديد محتوى للمناهج يمكن اعتباره نهائيًّا. أما في الحالة التي نحن بصددها، فيُتَوَقَّع من محتوى المناهج، على سبيل المثال لا الحصر، ما يلي:

أ - في مجال العلوم الاجتماعيّة، يبدو لي أنّ مراجعة جدّيّة لموادّ التّاريخ، والجغرافيا، والتّربية المدنيّة، أمر بغاية الأهمّيّة. فمع مراعاة الدّقّة العلميّة، ينبغي لمحتوى مناهج هذه الموادّ أن تبتعد عن

كلّ ما يثير التّفرقة، ويشجّع على العنف، ويؤكّد على عدم المساواة والتّفرقة بين البشر (أكان ذلك على أساس الدّين، أو العرق، أو الجنس).

ب - في مجال العلوم الإنسانيّة، لا بدّ لمادّتي اللغة، والأدب وما يتفرّع عنهما من لعب دور الجسر بين الشّعوب. فيمكن لمحتوى مناهج هاتين المادّتين والكتب العائدة لها من تجنب الكثير من الصّور عن الآخر التي ليست في مصلحة التّنشئة على القِيَم. فالرّوايات الشّعبية أثرت سلبًا على الصّور التي تتناقلها الشّعوب بعضها عن بعض محرّضة على البغضاء وروح الانتقام[10]. يمكن للمناهج أن تتبنّى مواقف نقديّة من توجهّات كهذه مؤكّدة على تعلّم اللّغات كسبيل من سبل التّعرّف على الآخر، وقبوله، ومعاملته بمقتضى منظومة القِيَم.

ج - في مجال العلوم، لا بدّ من أن يؤكّد محتوى المناهج على وجه الاستمراريّة الحضاريّة في تقصّي الحقيقة واكتشافها. لا بدّ للمتعلّم أن يعي، انطلاقًا من إرثه التّاريخيّ، أهمّيّة مساهمته في تطوّر العلوم (النّظريّة منها والتّطبيقيّة). هذه المساهمة هي السّبيل حتّى يقوم التّطوّر العلميّ تحت مظلّة القِيَم المحترِمَة للإنسان، والطبيعة، والكون بشكل عام. أيّة استقالة عن مواكبة تطوير المعرفة هي بحدّ ذاتها تنكّر للعلم، والعقل، كقيمة أرادها الله لنا وخصّ بها الإنسان.

د - يشكّل محتوى مناهج التّنشئة الدّينيّة أحد أهمّ عوامل نقل هذه القِيَم إلى النّاشئة. فمع ضرورة اكتساب كلّ ما من شأنه أن يجعل المتعلّم مطّلعًا على خصوصيّة إيمانه، ومعالم طقوسه الدّينيّة، لا بدّ من الحذر من الوقوع في المنحى التّكفيريّ الذي يتنافى والأبعاد القِيميّة التي تحترم الآخر مع اختلافه. بل على العكس، ينبغي لمحتوى المناهج أن تفتح المجال للتّعرّف على الآخر على أسس التّعايش معه، وعلى مبدأ المساواة والتّكامل.

ه - أخيرًا وليس آخرًا، لا بدّ من وضع نماذج لمحتوى مناهج كهذه مع ما يستلزم ذلك من أبحاث، ووسائل إيضاح، وكتب، وتقانات تعلّميّة.

4 - من حيث سبل التعلّم والتّقويم

تشكّل حاليًّا وسائل التعلّم والتّقويم إحدى الأسس الأهم في المناهج اليوم بسبب المقاربة المعرفيّة المعمول بها مع تطوّر العلوم التّربويّة. ليس من الممكن أن ندخل هنا في التوسّع بهذه النّقطة، لكن لا بدّ من قول ما يلي:

---

[10] أظهرت دراسة مقارنة للأدب الشّعبيّ قدّمت في إطار مؤتمر حول "لقاء الحضارات" عقد في البلمند وفي تولوز عن مدى تأثرنا بالأدب الشعبيّ المتشابه والذي يجهد في تشويه الآخر لأغراض دعائيّة وفي ظلّ حروب وضغوطات سياسة معيَّنة.

أ - المعرفة ليس بتراكم المعلومات. لذلك ليس من اكتساب للمعرفة إلاّ من خلال وضعيّات واقعيّة يتدرّب فيها المتعلّم على ربط خبرته بالاستنتاجات النّظريّة التي تشكّل أسس المعرفة.

ب - على المسؤولين التّربويّين تأمين مستلزمات مقاربة كهذه فلا يكون المتعلّم غريبًا عن الحياة المدعوّ إليها. ومن المستحسن أن يُعطَى المتعلّم الفرصة ليحلّل وينقد التحوّلات المجتمعيّة لكي يعرف كيف يحكم بين ما هو متناسق مع القِيَم ومع ما هو في تضادّ معها.

ج - يمكن أن يكون لتأمين سبل التّعرّف على الآخر في وضعيّات حياته أحد السّبل الأهمّ حتّى يتمكّن المتعلّم من تخطّي الصّور الزّائفة التي يمكن أن تكون رسخت بذهنه. فالإنسان عدوّ ما يجهل ولا بدّ من اعتماد سبل للتّعلّم تفسح المجال أمام لقاء الحياة مع الآخر (عرقًا، جنسًا، ودينًا)، فتعطى الأنظومة القِيميّة المجال لتعبّر عن نفسها "بالفعل" لا بالقول فقط.

5 - من حيث الهيئة التّعليميّة

أخيرًا وليس آخرًا يشكّل تحضير الهيئة التّعليميّة المناسبة لحمل مناهج كهذه إحدى أهمّ وأصعب المهمّات. فالمجتمع التّربويّ بحاجة إلى نظرة نقديّة لنفسه بسبب تراكم تقنيّات تعليميّة مرّ عليها الزّمن، وبسبب التّأثّر بخطاب فئويّ لا يتناغم مع مقاربة تقوم على أولويّة احترام الأسس التي تقوم عليها القِيَم. من هنا:

أ - ضرورة تحضير الأرضيّات اللاّزمة، نظريًّا، وتقنيًّا، وسياسيًّا، حتّى يكون تطبيق هذه المناهج ممكنًا.

ب - ضرورة قيام دورات تدريبيّة مختلطة للمسؤولين التّربويّين ليصبحوا مستقبلاً أداة تنفيذ هذه المناهج والعمل على تخطّي الصّعوبات التي لا بدّ وأن تعترض طريق التّنفيذ.

ج - ضرورة تدريب أعضاء الهيئات التّعليميّة في وضعيّات حيّة ليعوا أهمّيّة هذا التّحوّل من كلّ جوانبه.

د - ضرورة خلق صيرورة استمرار حتّى يكون من الممكن رصد إيجابيّات هذا العمل، ومراقبة الأخطاء التي ترتكب ليتمّ تداركها.

ه - ضرورة فسح المجال للاطّلاع على الخبرات الفذّة هنا وهنالك في العالم، لتعميم الفائدة، وإطلاق الحوار الهادئ والمسؤول حول هذا الموضوع.

في الختام

لا بدّ لي هنا من شكر الهيئة التي أشرفت على تنظيم هذه الحلقة الدّراسيّة لأنّها فسحت لي الفرصة كمربٍّ وكمؤمّن أن أدلو بدلوي في سياق الخبرة المجتمعيّة التي عشتها كلبنانيّ، وكعربيّ. كلّي أمل، بأنّ جهودا كهذه، متى تضافرت وتكاثرت، تستطيع أن تتخطّى كلّ الحواجز الزّائفة التي تبعد الإنسان عن أخيه الإنسان، وأن تبني المستقبل على قاعدة القِيَم المشتركة التي تجمعنا، فنستطيع أن ننقل للعالم غنى ثقافاتنا ونساهم في ركب التّطوّر الحضاريّ الذي ينتظرنا.

أثر دور العبادة في ترسيخ المبادئ الدينية السليمة

د/ مطلق راشد القراوي

يتميّز المجتمع المُتَدَيِّنُ بِحَقٍّ عن غيره من المجتمعات بأنه مجتمع يقوم على عقيدة منظمة لسلوك الإنسان مع خالقه وسلوكه مع نفسه ، وغيره من أبناء جنسه... فهي تربية نابعة من قيم الوحي وتعاليم النبوَّةِ.. تربية وَجَدَتْ جَوًّا مُناسِبًا ومكانًا مناسبًا فحقّقت غاياتها... التربية الحقة هي التي تسعى إلى تنشئة الإنسان الصالح الكامل المتكامل من جميع جوانبه ، جسمية ، عقلية ، وروحية وإعداده للمواطنة الصالحة . وإكسابه القيم التي يرتضيها الدين ويرتضيها المجتمع الذي يعيش فيه، فالمجتمع لا يمكن له أن يتماسك وأن ترسخ جذوره إلا بالانضباط بالأخلاق الإسلامية، وإنما تنضج الأخلاق الإسلامية داخل المسجد، والمجتمع الإسلامي ،لا يتماسك وجوده إلا عن طريق الود والتراحم والتآلف، وإنما يكون أيضاً في رحاب المسجد، والمجتمع الإسلامي لا يمكن أن يتكامل بنيانه، ولا يمكن أن ترسخ جذوره إلا بوجود مبدأ العدل والمساواة وخضوع المجتمع لقانون كل منهما، ولا يمكن أن ينضج العدل ولا أن تنضج المساواة إلا في رحاب المسجد، والمجتمع الإسلامي لا يمكن أيضاً أن يتماسك بنيانه ولا أن تترسخ جذوره إلا بالوحدة، وحدة الأمة تلتقي على حبل الله سبحانه وتعالى الذي أمر الله عز وجل بالاجتماع عليه، يقول تعالى(واعتصموا بحبل"الله" جميعا ولا تفرقوا).

هذه حقيقة ينبغي أن ندركها، ولذلك بدأ المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ، ببناء المسجد وآخى بين المهاجرين والأنصار لأول مرة على يد نبي مرسل لتكون اللبنة الأولى في تأسيس أول ركن من أركان المجتمع الإسلامي، يقول الله تعالى: {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} الأعراف: 29، {وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} تعبير عن أدق معاني العبادة والعبودية لله عز وجل، ربط البيان الإلهي بين العبادة والمسجد، ولما كان المسجد يؤدي هذه المهام، أمر ربنا عز وجل كلاً منا إذا اتجه إلى المسجد أن يتزَيَّن، وأن يتطيب، وأن يتهيأ لكل ما ينبغي أن يوجد من أجل الإيناس ومن أجل تحقيق رسالة المسجد وفي ذلك يقول الله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)الأعراف:31

لأن المسلم بإتيانه إلى المسجد إنما تمد آصرة الود والإخاء والمؤانسة والمساواة بينه وبين إخوانه ، ولا يتم هذا إلا بالآداب التي يلفت البيان الإلهي النظر إليها.

ولقد كان أمرًا فِطْرِيًّا أن يلتمس الإنسانُ لنفسِهِ أماكِنَ يخلو فيها بربه.. يُناجِيه.. يُرَجِّيهِ.. يُرَضِّيهِ...حيث تقومُ دور العِبادةِ بدور بارز في تنمية القيم الإسلامية الحنيفية، فالمسجد بمفهومه الشامل المتعمق، وهو مفهوم غائب عن كثير من أبناء أمتنا,أن المسجدهو الذي يمثل نقطة التقاء الأمة وتوحيدها والمظهر العملي لوحدتها, ولذلك كان أول أعمال أستاذ الإنسانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو بناء مسجد للمسلمين في قباء في أيامه الأولى التي أمضاها في المدينة, وبعد انتقاله من قباء إلى المدينة كان أول أعماله كذلك بناء مسجده صلى الله عليه وسلم, وحمل أحجاره بيديه الكريمتين فكان المسجد النبوي مدرسة الدعوة الإسلامية الأولى، ودار الدولة الإسلامية الكبرى, ومقر مجلس الشورى, وعقد الرايات, وتجهيز الجيوش, وإدارة شؤون الأمة صغيرها وكبيرها. فهو يعمل على تأكيد القيم المركزية المستمدة من الدين الإسلامي الحنيف والتي تعتبر أساسية لاستقرار المجتمع وتماسكه.

دور العبادة في مفهوم الحنيفية المُسلمة :

إن المسجد في المفهوم الإسلامي الخالص هو مقر إعلان العبودية الخالصة لله وحده (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ اللَّهِ أَحَداً) المراد بالمساجد هي المساجد المعروفة والموقوفة والمعدودة للعبادة وهي بيوت الله وأضافها المولى سبحانه إلى نفسه تشريفاً وتعظيماً وتقديساً إليها وعقب عليها بقوله (فلا تدعوا مع الله أحدا) أي فلا تعبدوا مع الله أحدا فالدعاء المراد به العبادة وهي مختصة بالله سبحانه فلا يجوز أن يشرك في عبادة ربه أحدا لا نبي ولا وصي ولا إمام ولا ولي فيجب أن يوحد الله في عبادته توحيداً خالصاً قال تعالى (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) سورة قريش آية3 وقال تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ)الإسراءآية 23 فلا يجوز العبادة لغيره. وبما أن العبادة في المفهوم الإسلامي شاملة جامعة لحياة الإنسان العابد لله يقول الله تعالى :(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) الأنعام:162-163

دور العبادة وتحقق الاستقرار والأمن المجتمعي:

ودور العبادة في المفهوم الحنيفي الإسلامي ليس مكاناً للعبادة وممارسة الطقوس الدينية فحسب، فهي تدعو إلى تقوية الروابط الاجتماعية، وتحقيق الأمن ، ووحدة المجتمع وتماسكه والحماية من الانحراف والجريمة و التكافل الاجتماعي والعلاقة مع غير المسلمين.

إنَّ رسالة المسجد شاملة ومتنوعة، ومتعددة، فهي تنظم العلاقة بين البشر لتحقق الثمرة المرجوة، من قيم إسلامية معتدلة ، وغرس الآداب والأخلاق الحميدة، وإبراز سمو الإنسان وكرامته، والحفاظ على وجوده

وحياته، وإشعاره بالأمن والطمأنينة، من خلال الدور الذي يقوم به المسجدُ لتحقيق الأمن الاجتماعي، وتوفير الطمأنينة النفسية والروحية، التي تخفف عن الناس أعباءَ الحياةِ وآلامها، ، وتقوي روابط الألفة بين الأفراد، وبسط الأمن والاستقرار في المجتمع .(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) سورة البقرة (125).

دور العبادة وتعزيز القيم الإيجابية السليمة:

إن الفرد حين يلتصق بالمسجد التصاقاً وثيقاً، ينعكس أثر ذلك إيجاباً على المجتمع بأسره، حين يتلقى في المسجد معاني الفضيلة، وقيم الإسلام السامية، التي تشيع في النفوس الاطمئنان ، فتستقيم على المنهج الحق، وتنحسر فيها دواعي الشرور والإفساد.

فالصلاة تنظم سلوك الفرد، وتجعله يسير وفق منهج الخالق وتشريعاته، وتصقله على الالتزام بهدي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وتربيه على مقاومة كل ما في نفسه من ضعف، والتغلب على ما يتجاذبها من شهوات، وما ينازعها من الشرور والمفسدات، وما تفكر به من عدوان، فالعبادة تعمل على أن تكون منبع خير وأمان، ومصدر ضبط واعتدال واتزان.

فإذا اصطبغت بذلك نفوس المصلين، وأصبح سلوكها تبعاً للوحي الإلهي، والنهج القرآني، سار المجتمع بأفراده على الصراط السوي، وسَلِم – بإذن الله تعالى- من كل ما يعكر صفوه، أو يثير في أوساطه ما يزعزع أمنه.وبذلك، يظهر الأثر القوي، والدور الحيوي للمسجد في ترسيخ دعائم الأمن، وتوطيد قواعد الاستقرار في ربوع المجتمع، فالصلاة ذات أثر مباشر في تقويم سلوك الأفراد، وهي وسيلة فاعلة للوقاية من الانحراف، وعامل قوي للحماية من الجريمة.

دور العبادة تدعو التآخي والتعارُفِ الإنسانِي:

يتميز المجتمع الإسلامي بسيادة شعور المحبة والتآخي بين أفراده، وشيوع روح الترابط والتماسك في أوساطه، فأصبح نسيجاً فريداً في صفاء العلاقات البشرية، وشفافية الروابط الاجتماعية. ويقول تعالى **:** (واعتصموابحبل"ا لله" جميعاولا تفرقوا) وحين نتأملُ انبثاق رابطة التآلف والتآخي، لوجدنا أن للمسجد أثراً قوياً، ودوراً رئيساً في تكوين تلك الرابطة... قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُم وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)الحجرات10 فأهل الحي يجتمعون في المسجد كل يوم خمس مرات، يؤدون الصلاة جماعة،ويركعون لربهم ويسجدون، ويخضعون لجلاله ، وتسود بينهم روح الود والمحبة، والتقارب

والألفة، إذ تتكرر رؤية بعضهم لبعض، والتقاؤهم في مكان واحد، وتراهم جميعاً غنيهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم، مأمورهم وأميرهم، يقومون جنباً إلى جنب في صف واحد.

المسجد ودوره التعليمي:

وبما أن العلم في الإسلام شرط أساسي في أداء العبادة الصحيحة بمفهومها الشامل، فلابد إذن من أن يقوم المسجد بدور نشر العلوم بل وأن يصبح منارة ومقصداً علمياً.

وقد قام المسجد بدوره التعليمي منذ أيامه الأولى، وحث رسول الله على هذا الدور العلمي لقوله صلى الله عليه وسلم » :(من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له مثل أجر الحاج تام حجه) , وهذا المقصد التعليمي أوضحه وبيَّنه صلى الله عليه وسلم في حديثه ليفرق بينه وبين البعد الشعائري من إقامة الصلوات في المساجد.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرف على حلقات العلم التي كانت تنتشر في أرجاء المسجد النبوي الشريف، خاصة في بواكير الصباح حيث حدث عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بمجلسين أحدهما فيه دعاء وإقبال على الله والآخر فيه علم, فأقرَّهما وقعد في مجلس العلم, وشجع رسول الله صلى الله عليه وسلم استخدام الوسائل المتاحة آنذاك لتوضيح المعاني والدروس سواء كانت بصرية أو سمعية,

ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن مسعود بقوله: خطَّ لنا رسول الله خطاً بيده ثم قال :(هذا سبيل الله مستقيماً) وخط عن يمينه وشماله ثم قال » :هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ :(وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ)الأنعام:153.

ولو أن الوسائل التعليمية المتاحة لنا في عصرنا هذا وجدت في عصر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه لحثَّ على استعمالها، وكان أول من يستعملها صلى الله عليه وسلم.

واستمر المسجد في التطور والنمو جيلاً بعد جيل، ليؤدي مهامه في صناعة الحياة ليصبح جامعات.

تحديث منظومة التعليم لبناء مجتمع عالمي متوازن دينيا

الدكتور عبد السلام أحمد

إن الغالبية العظمى من سكان العالم متدينون، ومن ثم يلعب الدين في حياتهم اليومية دورا كبيرا، كما أنه يحدد مواقفهم وسلوكياتهم نحو الآخرين. وكان من المفروض أن يكون هذا الدور البارز للدين ضمانا كافيا لبناء مجتمع عالمي متوازن دينيا، على أن الدين – أيا كان – يتضمن القيم والمبادئ المساعدة على ذلك.

ولكن هل الواقع يصدق هذا الكلام؟

كلاّ، إنّ القيم الدينية للأسف الشديد –من ضمنها القيم الضامنة للتوازن- لا ترى في حياتهم ولا يتمثلونها في مواقفهم وسلوكياتهم.

والغريب في الأمر هو أن كل من يمارس الظلم والجور والتطرف والإرهاب والتعصب وعدم التسامح في العالم، هو صاحب دين يلتزم به ويمارس شعائره التعبدية في حياته اليومية! وكأن التزامه الديني يفقده التوازن في الحياة ويدفعه إلى التطرف والإرهاب، فأصبح الدين في قفص الاتهام، ويعتقد أنه يثير الفتن في الأمم ويعكر صفاء العلاقات الإنسانية، إلى درجة أن يخاف المتدين متدينا آخر ويرهب بعضهما بعضا!

ليس الدين هو المتهم أصلا بل الشخص الذي اعتنقه هو المتهم في القضية. لأن اعتناقه للدين كان غير متزن تماما، حيث إنه يبالغ في تمسكه ببعض جوانبه الفرعية، وفي الوقت ذاته يهمل جوانبه الأخرى الأساسية، ويعطي الأهمية لما ليس له أدنى أهمية، ولا يراعي أولويات دينه ولا يوازن بين أهمه ومهمه، كما أنه لا يهتم بالظروف والملابسات التي قيلت فيها الآيات واتخذت فيها المواقف، وفعلا يحرف الكلم عن مواضعه، حتى تصير شخصيته شخصية غير متزنة بالرغم من أنه متدين اسما وشكلا.

المبحث الأول

بناء المجتمع ودور الدين فيه

إن دور الدين في الحياة معروف منذ القدم. وهو جزء عميق أصيل في فطرة الإنسان، كما أخبرنا القرآن الكريم: "فطرة الله التي فطر الناس عليها"[1]. وإن يمكن استغناء الإنسان عن أي شيء، لا يمكن استغناؤه أبدا عن الدين في أي مكان ولا أي زمان. هذا الذي قاله المؤرخ الإغريقي بلوتارك: "قد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبدا مدن بلا معابد... إن مدينة بلا أرض تقوم عليها أسهل من قيام دولة بلا إله"

يقول الأ ستاذ العقاد:"إن تجارب التاريخ تقرر لنا أصالة الدين في جميع حركات التاريخ الكبرى، ولا تسمح لأحد أن يزعم أن العقيدة الدينية شيء تستطيع الجماعة أن تلغيه، ويستطيع الفرد أن يستغني عنه، في علاقته بتلك الجماعة، أو فيما بينه وبين سريرته المطوية عمن حوله، ولو كانوا من أقرب الناس إليه"[2].

لم يضمحل دور الدين حتى في العصر الحديث، بل لازال في صعود وقوة، ولم يعد ممكنا استبعاده من حياة البشر، بل إن العالم الجديد يشهد العودة الكبرى للأديان، هذا ما أكده توني بلير، رئيس الوزراء البريطاني السابق، وأطلق على هذا القرن "قرن الأديان"، وقال:" إذا كان القرن العشرون قرن السياسة، فإن القرن الحادي والعشرين هو قرن الأديان"[3]

وتأتي أهمية الدين وخطورته من هذا المنطلق، فيكون الدين يقينا أكبر مصنع لانتاج القناعات والمفاهيم لدي الأجيال الناشئة، مما يجعل قضية التدين ذات أهمية كبيرة.

التدين المنقوص

يجدر بنا الإشارة إلى أن التدين المنقوص هو الذي يولد في المجتمع عدم الاتزان أو يفقده التوازن. فلا تحل هذه المعضلة إلا بالتدين الصحيح، فالمشكلة التي تعتقد بأنها ولدت من رحم الدين لا تحل إلا بالدين، الشوكة لا تزال إلا بالشوكة، تستخدم في عملية الجراحة نفس الأدوات التي تسببت في الجراحة.

ومن هذا المنطلق، لا يمكن بناء مجتمع عالمي متوازن دينيا إلا بالدين الصحيح والتدين المعتدل المستقيم، ويكون ذلك بالطبع من خلال التربية الصحيحة.

---

[1]. سورة الروم: 30

[2]. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد ص 15 نقلا عن كتاب. بينات الحل الإسلامي، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1988م،

[3] The Independent daily 31 May 2008

لا يستثنى من هذا الأمر المسلمون لأن التدين الحالي لكثير منهم تنقصه مبادئ عديدة لا قيام للدين إلا بها، ولا يعبر تدينهم عن تعاليم الإسلام وروحه. ولا يزالون يقدمون صورة سيئة عن الدين الإسلامي بتدينهم الخطأ والمنقوص. يركزون على الشعائر التعبدية ويقصرون الدين على الطقوس، إسلامهم إسلام الطقوس الشعائري، يهملون فحواها ومضامينها، ويهتمون بعلاقة المخلوق بالخالق ويهملون علاقة المخلوق بالمخلوق، رغم أن حق العباد في الإسلام أولى من حق المعبود.

ليس الدين في نظر الإسلام إلا نعمة من نعم الله: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا"[4] ومهمته كما قال الإمام الغزالي والإمام الشاطبي وغيرهما "حفظ النفس والعقل والعرض والمال والدين"[5]. فإن الدين الذي جاء لتحقيق مصالح الناس وإقامة القسط والعدل يستحيل أن يكون سببا للفتن والمصائب في الدنيا.

فخلاصة القول إن الدين يستطيع، بلا شك، بناء مجتمع متوازن، بل ليست هناك قوة مثل الدين يؤثر على بناء المجتمع ويجلب إليه قيم التوازن، إذا ما استغل للمصالح واستخدم للشر، وقد وقعت فعلا هذه الكارثة المؤسفة في جميع الأديان بدون استثناء بما فيها الدين الإسلامي.

فقدان التوازن يعم جميع أمم العالم

إن ظاهرة التطرف والتعصب وعدم الاتزان ليست قصرا على المسلمين، بل يوجد في جميع أمم العالم من يوصف بشخصية غير متزنة دينيا، ولا يخلو دين من الأديان في عصرنا الحاضر من المتطرفين وإن كان الدين بريئا منهم، وآخر دليل على ذلك إعلان كنيسة "دوف التبشيرية" والأسقف تيري جونز (Terry Jones) في ولاية "فلوريدا" الأمريكية حرق القرآن الكريم في الذكرى التاسعة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر، وأضف إلى ذلك مقتل مسلمة محجبة مروة الشربيني في ساحة إحدى دور القضاء ببرلين وقضية الرسام الدنماركي كورت فتيسر جارد الذي أثارت رسوماته المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم احتجاجات واسعة.

وفي الوقت ذاته يوجد في كل الأديان معتدلون متسامحون يتصدون لمثل هذه التصرفات من قبل إخوانهم في الدين، ويدل عليه تصدي الأمريكيين لحملة حرق القرآن.

إن أسباب التطرف وعدم التوازن في كل مجتمع ترجع إلى حدّما إلى نظام التعليم المتبع لديهم منذ سنوات مديدة. وإن بعض الأمم ومناهجها التعليمية لعبت دورا كبيرا في غرس قيم العنصرية والكراهية في شعوبها

---

[4]. المائدة: 4

[5]. الموافقات في أصول الشريعة. أبو إسحاق الشاطبي، دار بن عفان، المملكة العربية السعودية، 1997 38/1، 10/2.

والعداء تجاه الآخرين، وفي مقدمتها المجتمع الإسرائيلي، وليس أدل على ذلك من البحث الذي أعدّه الباحث الإسرائيلي "ايلي بوديا" المحاضر في جامعة حيفا، حول كتب التدريس الإسرائيلية والذي توصل فيه إلى أن المناهج الدراسية الإسرائيلية ساهمت طيلة نصف قرن في إشعال جذوة الصراع العربي - الاسرائيلي[6].

فدولة إسرائيل قدمت مثالا واضحا على كيفية تنشئة جيل يقوم على أسس العداوة والكراهية. وعلى الرغم من أنها تعرف بدولة علمانية، تدرس المواد الدينية اليهودية بجميع مضامينها التي تحث على العنصرية والتطرف، واصدق برهان على ذلك الجيل الصهيوني في اسرائيل الذي لا يرضى بالتطرف "المعتدل"، ولم يعد راضيا بأقل من "التطرف المتشدد".

من أين تعلم هذا الجيل علم اغتصاب الحق وتشريد وتهجير المواطنين الأصليين وقتلهم، ومن ثم سرقة أراضيهم وأملاكهم؟ وليس ذلك إلا من خلال مناهجهم التعليمية ومدارسهم الدينية. لأن الصهانية كانوا منذ البداية -وإن كان عددهم قليلا جدًّا- يركزون على إنشاء المدارس اليهودية في البلاد التي يسكنون فيها، ليس في أوربا فقط، بل في البلدان العربية أيضا التي آوتهم وأسكنتهم في أراضيها مثل مصر وتونس والمغرب والعراق. ومن خلال تلك المدارس نجحوا في زرع العقائد اليهودية في الجيل اليهودي، القائلة بامتياز شعب الله المختار وأرض الميعاد[7]. وكان الصهانية من خلال مدارسهم ومناهجها يروجون لفكرة أن إقامة دولة يهودية في فلسطين هو تحقيق لما جاء في التوراة، والرب قد اختار الشعب اليهودي واختار الأرض.[8] ومثلا كتاب "سفر يشوع بن نون" أحد اسفار العهد القديم، يدرس من الصف الرابع وحتى الثامن، يقوم بتأصيل فكرة الشعب المختار، كما يدرس أفعال الإبادة الجماعية التي مارسها الأبطال التوراتيون[9]

وتركز المناهج الدينية في المدارس الإسرائيلة على تقديس الحرب كنظام حياتي لإسرائيل، وأن الخدمة العسكرية هي رئيس الواجبات الدينية التي يطلبها الرب من الاسرائيليين، حيث يحث هذا الرب العسكريين الإسرائيليين على تنظيف أرض الميعاد من الأغيار العرب، وعلى بناء هيكل له.[10]

فعلى الجميع أن يعيدوا النظر في النظام التعليمي ويصححوا الأخطاء، بدلاً من أن يتهم بعضهم بعضا، وهذا ينطبق على العالم الإسلامي وأمريكا وأوربا واسرائيل والهند على حد سواء.

---

[6]. نقلا عن كتاب التعليم الديني – التوصيف – ص: 68، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي،2010م

[7].راجيل البويمدرور، التعليم العبري في أرض إسرائيل، دار نشر "يد يستحاق بن تسيفي"القدس 1997م الجزء الأول ص: 32 نقلا عن كتاب التعليم الديني –التوصيف- ص: 70.

[8]. سمير سمعان، خليل السواحري، التوجهات العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004

[9]. المصدر نفسه ص: 16

[10].الياس عقالة مقال بعنوان "ارهابية النظام التعليمي في اسرائيل" منشور على موقع alzaytonna بتاريخ 2007/9/14م

المبحث الثاني

لماذا منظومة التعليم؟

"التربية هي الحياة"[11]. وهي أداة المجتمع في إعداد الإنسان. هي التي تخلق الأمم. فإن بداية الوحي بكلمة "اقرأ" لم تكن مصادفة، كان أول ما نزل من الوحي وليست آية السيف والقتال. وكان على أساس أن القراءة هي نقطة بداية في مسيرة المجتمع، فليس هناك عمل بدون علم. أمر الله رسوله بالعلم أولا، "فاعلم أنه لا إله إلا الله"[12]، وعنون الإمام البخاري للأحاديث المتعلقة بالعلم فقال "باب العلم قبل القول والعمل"[13]. من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح كما قال عمر بن عبد العزيز[14] .

العلم وتعليمه هو كل شيء في الحضارة، والدين حضارة، ولاقيام للحضارة الا بالعلم، ولاقيام للعلم إلا بالحضارة. والدين علم والعلم دين. فالدين والعلم متلازمان متكاملان، يكمل بعضه بعضا. وهما من التوائم، يجمع بينهما اتصال عضوي. فبناء المجتمع لا يمكن بدون العلم والدين، ولا يمكن زرع التوازن في المجتمع بدونهما.[15]

فجملة القول إن نظام التربية والتعليم هو نقطة بداية. وهو الذي يقرر أخلاق الأمم وسلوكياتهم وأفكارهم ومواقفهم. بمعنى أصح، إن كنتم تريدون تغييرا في مجتمع ما فابدأوا بنظام تعليمهم.

ونظرا لهذه الأهمية الكبيرة للتعليم والتربية في حياة الإنسان فلنبدأ به بناء المجتمع المتوازن دينيا. فكما للتعليم، بوجه العموم، دور كبير في هذا الأمر، فإن للتعليم الديني، بوجه الخصوص، دور أكبر في الموضوع، لأن قيم التوازن الديني تزرع من خلال التعليم الديني.

إن تعليم الدين قد بدأ ببداية الوحي، وكان ذلك مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن خلال تعليم الكتاب أي الدين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المجتمع المتوازن. "هو الذي بعث في الأمّيين رسولا مّنهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين"[16].

---

[11] Dewey, John. Education today. G.P. Putmas Sons Newyork, 1940, P.6
Kandel, I.L American education in the twentieth century.
Hardward University press, Cambridge, Massachusetts. P.111

[12] محمد: 19

[13]. صحيح البخاري: 37/1

[14]. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: 27/1، دار الكتب العلمية، بيروت.

[15]. بينات الحل الإسلامي، د. يوسف القرضاوي ص: 15 مؤسسة الرسالة، بيروت 1988م

[16]. الجمعة: 2

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل نظام التعليم الديني الحالي كفيل لبناء المجتمع المتوازن؟ وإن اعترفنا بكفاءته لأداء ذاك الدور في الزمن الماضي، هل هو قادر عليه في العصر الحديث الذي تغير فيه كل شيء؟، وهل منظومة التعليم الديني تحتاج إلى تحديث وتطوير وتعديل؟
فنجيب ونقول: نعم بالتأكيد، إن التحديث مطلوب حتى تكون منظومة التعليم الديني كفيلة لبناء المجتمع المتوازن دينيا.

التحديث عمل صالح

قضية تحديث منظومة التعليم الديني هل هي ترف فكري أم هي ضرورة يفرضها الواقع؟ هل هي أمر مستورد من الخارج أم هي فريضة يقتضيها الوضع الداخلي؟
الأسئلة كثيرة والهواجس موجودة. إذا كان الأمر يتعلق بالتعليم الديني فالجدل لا ينتهي، وخاصة فيما يخص إصلاحه وتحديثه.
وتستحق الملاحظة أنه لم يترك هذه القضية رائد من رواد الإصلاح الديني إلا وتناولها، عنوان كتاب الإمام الغزالي "إحياء علوم الدين" يوحي باصلاح علوم الدين، وابن خلدون خصص جزءا مهما في مقدمته لمناقشة قضية التعليم الديني وإصلاحه[17]، والإمام محمد عبده معروف بمطالبته بإصلاح التعليم في الأزهر، والشيخ الطاهر ابن عاشور كان يتحدث عن إصلاح التعليم في جامع الزيتونة وعنون مشروعه الإصلاحي "أليس الصبح بقريب".[18]
ومن المعروف بأن الجدليات على خلفية أحداث سبتمبر كانت تركز على نظام التعليم، وحمّلت مناهج التعليم في العالم الإسلامي مسؤولية الإرهاب، وفي واقعنا المعاصر اشتدّت هذه الجدليات بين المؤيدين والمعارضين حيث أنها تعتبر خطة أمريكية لفرض وصايتها على العالم الإسلامي بزعم أن المناهج التربوية في العالم الإسلامي أخرجت العناصر الإرهابية التي كانت مسؤولة عن أحداث سبتمر. هذه المقولة تحمل بعض الحق لا الحق كله. قد يكون فيه صواب ولكن ليس هو كل الصواب، حيث أن نظام التعليم قد ساهم فعلا في ردة الفعل للإرهاب كما ساهم في توليد الارهاب. فالتشخيص الخاطئ لا يقود إلا إلى العلاج الخاطئ.
وهنا يجدر بنا الإشارة إلى أن المؤسسات التعليمية الدينية الموجودة حاليا في الساحة وإن كانت دون المستوى ولها عيوب كثيرة، فإنها لم تخرج عناصر الإرهاب في العالم. فأسامة بن لادن مثلا لم يدرس في

---

17. مقدمة ابن خلدون ص: 432، دار القلم، بيروت 1992.
18. أليس الصبح بقريب، دار الملتقى، جلبا 2010م

تلك المؤسسات الدينية بل كان يدرس في بعض المدارس الغربية في بعض الأحيان وسافر إلى أوربا وأمريكا في سنواته الأولى، وما كان الظواهري إلا متخرجا في كلية الطب. وليس هناك إلا استثناءات قليلة. يستدل بعض الناس بظهور طالبان على أن المدارس الباكستانية كانت ولا تزال تساهم في إنتاج الإرهاب في باكستان وأفغانستان. وينسى هؤلاء أن المدارس والجامعات التي أنشئت في باكستان كانت على نمط جامعة دار العلوم، ديوبند في الهند التي تأسست عام 1867م أي قبل استقلال الهند، وتنتهج مناهج ديوبند نفسها. وهذه الجامعة خرجت فوجا كبيرا من الطلاب في الهند، ولماذا لا يوجد في المتهمين في أحداث الإرهاب في الهند من ينتسب إلى هذه الجامعة؟ ولماذا لا يتورط أحد منهم في الإرهاب ؟ إن هذه الحقيقة إن تدل على شيء فإنما تدل على أن الإرهاب لا يولد من رحم المدارس، بل هو ينبع من الظروف التي تحيط بالإرهابيين.

ولا يخفى على أحد ما يتآمره المتآمرون على الإسلام والأمة المسلمة، واستغلالهم لجميع الأجهزة والوسائل بما فيها منظومة التربية، وفي مقدمتهم المستعمرون، والاستعمار كما وصفه مالك بن نبي شيطان[19] ("ثم لآتيَنّهم مِّن بين أيديهم ومن خلفيهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين"[20]). فليس منظومة التعليم خارجة عن دائرة الاستعمار، بل هي تعتبر لبه ولحمه وشحمه وسداه، من خلالها يؤثر على المستعمر، ولا يهمه إلا الاستيلاء على العقول، وسياسة الاستيلاء على الأرض قد انتهى دورها، وإن وقع فما هو إلا توطئة للاستيلاء على العقول. وهذه هي الأجندة الخفية وراء ضجيج إصلاح منظومة التعليم في العالم الإسلامي الذي ينادي به المستعمرون.

ومع ذلك، ورغم إقرارنا بهذه الحقائق، نجزم ونقول بأن مؤامرات المتآمرين وكيد الكائدين لا يجوز أن تحول دون محاسبة الأنفس وإعادة النظر والبحث عن الأمثل والأنسب، ولا ترفض إعادة النظر إذا كانت نافعة لمستقبل زاهر.

إن هواجس التدخلات الخارجية تحول دائما دون الإصلاح ولا بد من تجاوزها،وينبغي لنا أن نجرؤ على التعديل والتطوير والتحديث إن دعت الضرورة إليه، علما بأن الحداثة لا تعني الانقطاع عن التراث، إنما هي سعي دائم إلى التجديد والابتكار. **[21]** وكما ينبغي أن ينبع الإصلاح من الداخل لأنها إذا كانت مفروضة من الخارج ترفض وتعتبر محاولة لطمس الهوية الإسلامية وتغريبها.

---

[19]. الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مالك بن بني، ص:28 دار الفكر، دمشق 2000م.
[20]. سورة الأعراف: 17
[21] حداثة محمد عبده، ماض أم مستقبل؟ أشكاليات الفكر الإسلامي، محمود البطل ص:231، مركز دراسات العالم الإسلامي:1991م.

ومن الجدير بالذكر أن قضية التحديث والتجديد في نظام التعليم تعتبر قضية ذات أهمية كبيرة، لأنها هي التي تؤهله لمواكبة العصر من خلال الإحياء الحضاري والتصويب الفكري. وإن حركة الحياة متجددة ومتغيرة دائما. فمن لا يعرف زمانه سيكون خارج التاريخ، وقد قيل "رحم الله امرأ عرف زمانه".
وحين نتحدث عن التغيير والتحديث قد يسأل سائل: هل يمكن تغيير منظومة التعليم من عصر إلى عصر إذا كان التعليم يتعلق بالدين الإسلامي، والدين ثابت لا يتغير؟
فيجب علينا التوضيح بأن الدين لا يتغير بحال في أصوله وعقائده وأخلاقه وشرائعه وقيمه ومبادئه إلا أن أسلوبه ومنهج تعليمه ودعوته يتغير بتغير الزمان والمكان. إن أئمة الدين قد قرورا قديما "بأن الفتوى تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال"، والفتوى تتعلق بأحكام الدين، في تغيير المنظومة والأسلوب والمنهج أحق وأولى.
إن القرآن نفسه أقوى دليل على تغيير الخطاب والأسلوب، فأسلوب السورة المكية غير أسلوب السورة المدنية. ومواضيع السور المكية تختلف عن مضامين السورة المدنية. والأسلوب أيضا يختلف. فالأسلوب المكي تغلب عليه الشدة بخلاف الأسلوب المدني، إنه أسلوب تعليمي هادئ.[22]
التحديث والتجديد والتطور إلى الأحسن من حيث هو عمل صالح. كان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم "اللهم اجعل يومي خيرا من أمسي واجعل غدي خير من يومي"، والرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من استوى يوماه فهو مغبون". فالإنسان الناجح من يتقدم دائما إلى الأمام بخلاف الإنسان الرجعي الذي يمشى إلى الوراء.
وفي نظر الإسلام حتى الدين يتجدد، وهو دين سماوي: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[23]. وهذا الحديث يدل على أن الدين الإسلامي يستوعب حركية الحياة المتجددة ويقدم الحلول لما يطرأ على الواقع من القضايا الجديدة.

المبحث الثالث

أزمة التعليم الديني

قبل أن نتطرق إلى تحديث منظومة التعليم الديني تستحق الإشارة إلى أزمة مناهج التعليم الديني والتي تتلخص في الأمور الآتية:

---

[22]. خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة 2004م.
[23]. أبوداود في كتاب الملاحم

1) عدم مواكبة العصر: إن كثير من المقررات الدراسية تقليدية، أعدت قبل قرون لا تتواكب مع عصرنا نحن. على سبيل المثال مفهوم دار الإسلام ودار الكفر وتصنيف الذمي لا زال مطروحا.

2) أداة وظيفة لا منهج حياة: لم يكن التعليم الديني إلا أداة وظيفة وعمل ولم يعتبر منهجه منهج حياة يطبق في الحياة اليومية. لا يمكن تغيير الإنسان وتطويره إذا لم تتغير نظرته إلى العلم ومقاصده.

3) التلقين والحفظ بدلا من التفكير المنهجي والحوار، والتربية على الجمود وتمجيد التراث وتقديس الاجتهادات: حفظ المتون والشروح والحواشي وحسن التلقي لا تزال تعتبر عناصر التعليم الديني. لا بد أن يهتم بالتراث والاجتهادات، غير أنه لا يجوز أن يصل ذلك الاهتمام إلى درجة تقديس التراث والاجتهادات السابقة والمناهج القديمة، لأنها كانت مخلفات ظروف خاصة وملابسات معينة قد لا تليق بظروفنا نحن. قال عنه الإمام محمد عبده في تعبيره الحاد: "أكنس من دماغي ما علق من وساخة الأزهر، وهو إلى الآن لم يبلغ ما أريد له من النظافة"[24]، "أريد أن أعلم في هذا الجامع شيئا نافعا، بدلا من هذه الشروح العتيقة البالية الخالية من المعنى التي هي أضر من كتبكم القديمة المؤلفة في القرون الوسطى"[25]. ومعروف بأن القرآن والسنة أحق وأولى أن يتبع في جميع الأزمنة والأمكنة وينبغي للمسلم إعادة قراءتها وهو ينظر بعينه الأخرى إلى الظروف والملابسات المحيطة به.

4) الاهتمام بالأمور الشكلية وترك القضايا الاجتماعية: تغلب على كثير من المؤسسات التعليمية الدينية وطلابها ومدرسيها الانعزالية، في شغلهم الشاغل هو الفروعيات والخلافيات وقضاء معظم أوقاتهم في ترجيح مذهب ما في الخلافات الفقهية تاركين وراءهم القضايا الاجتماعية المهمة التي لاقيام للدين إلا باتخاذ مواقف بناءة تجاهها.

مفاهيم يجب أن تصحح

هناك مفاهيم يجب أن تصحح واصطلاحات يعاد النظر فيها، تلك المفاهيم والاصطلاحات صيغت في ظروف غير ظروفنا وأزمنة غير زماننا، ولا تناسب عصرنا وإن كانت مناسبة في عصرها. صحيح أن الأصول القرآنية والنبوية ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، ولكن قراءتها وتفسيرها وشرحها تختلف من زمن إلى زمن، وليست المشكلة في القرآن والحديث، وإنما المشكلة تكمن في قرائها ومفسريها وشراحها.

---

[24]. الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، ص: 179/3 محمد عمارة ، دار الشروق – بيروت. 1993م

[25]. المصدر السابق ص 199.

إن الأمة المسلمة اليوم في أمس الحاجة إلى صياغة منهجية تفهم فيها الجزئيات في إطار الكليات والمتغيرات في إطار الثوابت والاجتهادات السابقة في اطار الظروف الجديدة. ويجب مراعاة هذه المنهجية في منظومة التعليم.

ومن المفاهيم التي يجب تصحيحها مفاهيم القتال وتصنيف دار الإسلام ودار الكفر وقضية الولاء والبراء وغيرها. وخذ على سبيل المثال قضية القتال:

وردت في تفاسير الآيات القرآنية أخطاء عديدة حول هذا الاصطلاح تسببت في سوء الفهم عن الإسلام واستغلت استغلالا واسعا للهجوم عليه، ومن ضمن هذه الآيات:

وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ. فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ. الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ[26] .

إن عبارة "واقتلوهم حيث ثقفتموهم" تستخدم دليلا لإعلان الحرب على جميع غير المسلمين، كما تستخدم عبارة "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله" دليلا للإكراه على اعتناق الإسلام واستعمال السيف لذلك. لأن كلمة "الفتنة" تفسر بمعنى "الشرك بالله"[27]

وفي ظروفنا الحالية يجب التركيز على قراءة هذه الآيات كليا ليس جزئيا، فيتبين أولا بأن أولى هذه الآيات (رقم 190) تبين مشروعية القتال لرد العدوان وأن الجهاد يكون لوقف العدوان ولا يلجأ إليه إلا إذا لم تكن هناك وسيلة أخرى، تدل عليه العبارة "الذين يقاتلونكم". وتؤكد آيات القتال في القرآن عموما إنما شرع القتال لرد الاعتداء والظلم، علما بأنه لا ديانة للظلم والاعتداء، يطبق حتى على المؤمنين، يدل عليه قوله تعالى: "وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"[28]

والأمر الثاني حتى جهاد الدفع لا يجوز أن يتعدى الحدود لأن القرآن يقول هنا "ولا تعتدوا إنّ الله لا يُحِب المعتَدِين" وجاء شرحه في الأحاديث الشريفة:

---

[26]. البقرة: 190-194

[27]. أنظر تفسير القرطبي :354/2. البغوي:214/1. السعدي: 89/1 الطبري: 570/3 الجلالين: 201/1

[28]. الحجرات:9

"ولا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا صغيرا، ولا امرأة "[29] .

"لا تقتلوا الذرية في الحرب، فقالوا: يا رسول الله أو ليس هم أولاد المشركين؟ قال: أو ليس خياركم أولاد المشركين".[30]

"ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع"[31]

وقول الله تعالى "واقتلوهم حيث ثقفتموهم "لا يدل على القتل العام للكفار بدليل أن الآية تضيف: "وأخرجوهم من حيث أخرجوكم"، وإنما تدل على رد العدوان لأن الظلم والعدوان قد وقع على المسلمين. وقوله "وقاتلوهم لا تكون فتنة" لا يمكن تفسيره حتى لا يكون هناك شرك، وإن صح أن المقصود بالفتنة في الآية الشرك لتنافى ذلك مع قواعد: "لا إكراه في الدين..."[32] "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين "[33]،" لَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ "[34]، " وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ "[35].

يجب تفسير الآيات القرآنية التي تتعلق بالقتال في هذا الإطار والمفهوم الكلي، لا بد أن تكون في الاعتبار هذه المبادئ المتعلقة بالقتال، وإن الادعاء بعموميتها خطأ فادح. وذلك لسببين:

1) يجوز للمسلم الزواج بالكتابية: "الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ "[36]

ويأمر الإسلام الزوج بالمعاشرة الطيبة مع زوجته "وعاشروهن بالمعروف"، فكيف يأمر الزوج المسلم أن يقتل زوجته حيث وجدها وأن يحصرها ويقعد لها كل مرصد (الإشارة إلى الآية رقم:5 من سورة التوبة).

2) إذا جاز قتل أي كافر فلماذا تحدث القرآن والسنة عن حقوق غير المسلمين ؟

---

[29]. رواه أبو داود
[30]. رواه أحمد
[31]. سنن البيهقي 90/9.
[32]. البقرة: 256
[33]. الهود 118
[34]. يونس : 99
[35]. يوسف : 103
[36]. المائدة: 5

المبحث الرابع

التوازن وأهميته من منظور إسلامي

وقد جاء في المعجم الوسيط: (توازن) الشيئان: تساويا في الوزن[37]، وفي القاموس المحيط: اتزن: اعتدل. الوزن: كامل العقل والرأي.[38]

إن الوسطية التي استخدمها القرآن الكريم والسنة النبوية لوصف الأمة الإسلامية "وكذلك جعلناكم أمة وسطا"[39] تتضمن معنى التوازن. يقول الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي: الوسطية يعبر عنها أيضا بالتوازن أو الاعتدال، ونعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه...[40]

ومن معاني الوسطية: العدل، فسر النبي صلى الله عليه وسلم "الوسط" في الآية بالعدل[41]، وفسرها المفسرون في قوله تعالى "قال أوسطهم الم أقل لكم لولا تسبحون"[42] أي أعدلهم[43]، وفسرها الإمام ابن كثير الخيار والأجود.[44]

فالإسلام كله وسط وتوازن وعدل، لا إفراط ولا تفريط، توازن في خلق الكون كله: "إنّا كل شيء خلقناه بقدرٍ"[45]، "الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، فارجع البصرَ هل ترى من فطور"[46] ، "لا الشّمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النّهار وكلٌّ في فلكٍ يسبحون"[47] .

توازن ووسطية في الأمة: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا".[48]

---

[37]. المعجم الوسيط 1030/2، المكتبة الإسلامية اسطنبول.

[38]. القاموس المحيط 1626/2. دار أحياء التراث العربي، لبنان

[39]. سورة البقرة: 143

[40]. كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها، د. يوسف القرضاوي ص: 9، المركز العالمي للوسطية دولة الكويت 2007م

[41]. البخاري في أحاديث الأنبياء (3339) وأحمد في المسند (1171)

[42]. القلم: 28

[43]. تفسير الطبري 193/12، تفسير ابن كثير 521/4 ، وتفسير القرطبي 148/2 ، تفسير الرازي 108/4، تفسير أبي السعود 123/1.

[44]. تفسير ابن كثير 190/1

[45]. القمر: 49

[46]. الملك: 3

[47]. يس: 40

[48]. البقرة: 143

توازن في الاعتقاد، وفي العبادات، وفي الاخلاق وفي التشريع، وفي التعامل مع الآخرين.

انطلاقا من هذا يجب التركيز في منظومة التعليم على بعض العناصر المهمة التي تزيد أهميتها في الظروف الحالية والتي تولد في المجتمع التوازن، وهي على سبيل المثال، تكون كالآتي:

1) **التعددية**: منطق آحادية الحق والفرقة الناجية لا يجوز أن تحول دون استيعاب التعدد. لأن التعدد والتنوع سنة من سنن الله. "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ".[49]

2) **يعتبر الإسلام الإنسان مكرما من الله تعالى**: "ولقد كرمنا بني آدم"[50] فيهم المسلم وغير المسلم. ومن مظاهر التكريم حرمة الدماء والأعراض والأموال. " مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَآءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ"[51] فالنفس البشرية كلها مصونة بغض النظر عن أنه مسلم أو غير مسلم.

3) **الأصل في التعامل مع غير المسلم هو البر والقسط**: "لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ".[52] البر أقصى درجات حسن الخلق، وصف الله تعالى علاقة الإنسان بوالديه بهذا الاصطلاح.

4) العدل هو القاعدة الأساسية في التعامل، ولو كان مع الأعداء: "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدِلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون"[53].

5) **قبول أنبياء الديانات الأخرى والإيمان بهم شرط من شروط الإسلام والإيمان**: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"[54]، "شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِينِ مَا وَصى به نُوحا وَالذِي أوْحَيْنا إليْكَ ومَا وَصَيْنا به إبْرَاهِيمَ ومُوسى وعِيسى أن أَقِيمُوا الدِّين ولا تَتَفَرَّقوا فِيه كَبُرَ عَلَى المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُم إلَيهِ اللهُ يَجْتَبَي إلَيْهِ مَنْ يشَاء وَيَهْدِي إلَيْه مَنْ يُنيب"[55] .

---

[49]. الهود: 118

[50]. آل عمران: 64

[51]. المائدة: 32

[52]. الممتحنة: 8-9

[53]. المائدة: 8

[54]. البقرة: 285

[55]. الشورى: 13

6) **احترام الرأي الآخر**: المبدأ الذي يلتزم به الإسلام في التعامل مع الآخرين هو حوار حضاري راقٍ ليس فرض الرأي قهرا وتسلطا على الآخرين. "وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين"[56] وإن قاعدة "لكم دينكم ولي دين" تعكس احترام الرأي الآخر والتسامح مع المخالفين. فقد جاء القرآن الكريم بقيمه الإنسانية التي تولي الحوار أهمية كبرى، فهناك محاورات بين الخالق ومخلوقاته من الرسل والملائكة وحتى من الشيطان الرجيم. وهناك محاورات بين الرسل وأقوامهم، ومع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومع المشركين.

7) **الالتزام بالحكمة في جميع المخاطبات**: رسم القرآن الكريم منهج التعليم الديني إذ قال: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِين[57]. بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم معلما، وكان معالم نهجه كما رسم القرآن: (1) التزكية (2) تعليم الكتاب (3) تعليم الحكمة.

قوله عز وجل عن الحكمة مجاورا للقرآن يدل على أهمية الحكمة، وهو مطلوب في الحوار والدعوة أيضا: "ادْع إلَى سَبيل ربكَ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَة"[58] كما قال: قُلْ هذِهِ سَبِيلِي أدْعُوا إلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أنَا مِنَ المُشْرِكِين"[59].

الحكمة والموعظة الحسنة والبصيرة، هذه العناصر لا بد أن تتوافر في جميع المخاطبات، بما فيها مخاطبة الجيل الجديد. وتعتبر الحكمة اداة النجاح والخير الكثير. "وَمَن يُؤْت الحِكْمَة فَقَدْ أوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُولُوا الألْبَاب"[60] .

وهي مما يتحاسد عليه في الدنيا، ففي الحديث الشريف: لا حسد إلا في اثنين، رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته بالحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها".[61]

ومن معاني الحكمة كما عرفها العلماء "وضع الأشياء في مواضعها".[62] وفسر الإمام ابن كثير "الحكيم" بقوله: الحكيم في أفعاله وأقواله فيضع الأشياء في محالها".[63]

---

[56]. سبأ: 24
[57]. الجمعة:
[58]. النحل: 125
[59]. سورة يوسف:108
[60]. البقرة: 269
[61]. صحيح البخاري165/1، صحيح مسلم 268
[62]. البحر المحيط لابن حيان 393/1.
[63]. تفسير ابن كثير 184/1

وقال صاحب الظلال: "ويعلمهم الحكمة فيدركون حقائق الأمور ويحسنون التقدير وتلهم أرواحهم صواب الحكمة وصواب العمل وهو خير كثير".[64]

ويقول في تفسير آية البقرة رقمها 269: "أوتي القصد والاعتدال فلا يفحش ولا يتعدى الحدود، وأوتي إدراك العلل والغايات فلا يضل في تقدير الأمور، وأوتي البصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال ، وذلك خير كثير متنوع الألوان"[65].

وقول ابن عطية عن الحكمة هو "الكلام الصواب القريب الواقع في النفس أجمل موقع"[66]

ومن مظاهر الحكمة ترتيب الأولويات وتقديم الأهم على المهم والتدرج في تطبيق الأولويات واختيار المناهج المناسبة للأحوال والأعمار والمستويات والأزمنة والأمكنة.

8) **استخدام الاصطلاحات المناسبة**: ليس من الحكمة الإصرار على استخدام الاصطلاحات التي تعد استفرازية في ظروفنا نحن، وأساء الناس فهمها. وعلى سبيل المثال: كلمة "الكافر"، تستخدم هذه الكلمة واسعا حين يذكر أهل الديانات المختلفة ولو لم يكونوا جاحدين وملحدين، صحيح أننا نعتقد أنهم كفار برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولكن القرآن لم يخاطب الناس باسم الكفر وإن كانوا كفارا بل خاطبهم بالنداء الرفيق "يا أَيُّهَا النَّاسُ" "يا بنِي آدم" "يا أهل الكتاب" "يا عبادي". ولم يخاطبهم بعنوان الكفر إلا في آيتين: إحداهما:"يا أيها الذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا اليَوْمَ إنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُم تَعْمَلُونَ"[67] والأخرى قوله تعالى: "قُلْ يا أيُّها الكافِرُون لا أعْبَدُ مَا تعْبُدون ولا أنتُمْ عابِدُون ما أعْبُد ولا أنا عابِدٌ ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين".[68]

فتكفينا عبارة غير المسلمين بدل الكفار، ونعلم أطفالنا هذه العبارة التي توحي باستيعاب الآخرين بدلا من اتهامهم بالكفر.

9) **التركيز على القيم المشتركة والتعاون في المتفق عليه** :" قُلْ يا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ "[69]

[64]. في ظلال القرآن 3565/6
[65]. 302/1
[66]. تفسير ابن عطية 429/5
[67]. التحريم: 7
[68]. الكافر: 1-6
[69]. آل عمران: 64

المبحث الخامس

البيئة التربوية

ليس التعليم منهج ومنظومة فحسب، بل هو بيئة تربوية أيضا تحيط بتدريس المنهج والمواد وتتكون من أخلاق الأساتذة والإداربين والمشرفين بالإضافة إلى المناخ التعليمي داخل الصف وخارجه في رحاب المدرسة. ومعلوم أن التربويين لا يهتمون بطابور الصباح والنشاط الرياضي وتكوين اللجان الأدبية وغيرها من الأنشطة الخارجة عن المناهج الدراسية إلا لتأثيرها البالغ في تكوين شخصية الطالب، فهذا الاهتمام يأتي بهدف تربوي معين.

وكذلك من الخطأ الواضح اعتقاد أن الفلسفة التربوية التي تصوغ الشخصية رهن بالمقررات التعليمية الدينية وحدها دون أن يكون هناك أي دور لمؤسسات المجتمع الأخرى مثل دور الأسرة وأجهزة الإعلام وسياسة الحكومة وغيرها. فالحقيقة أنه ليست منظومة التعليم الديني سوى عامل من عدّة عوامل أخرى في صناعة الشخصية.[70]

"إنّ دور المفكرين والإعلاميين والعلماء والمثقفين والمربين والآباء والقادة السياسيين هي أدوار متكاملة لغرس العقائد والقيم والمفاهيم الإيجابية في ضمائر أبناء الأمة منذ نعومة أظفارهم فلا يرون إلا بها ولا يتصرفون إلا على أساسها، وتصبح ثوابتها لغة أولى لوجدانهم وتصوراتهم ومنطلقات فكرهم.

لذلك يجب أن تتضافر جهود كل هؤلاء للعمل على بناء منهج تربوي متكامل سليم المنهج نقي الثقافة يستدرك الأبعاد التي أهملت في تربية النشء المسلم، بما في ذلك التربية السياسية، التي تنبني على الالتزام بمبادئ الإسلام في الإخاء والتكافل والعدل والشورى والرفق والحسنى في علاقات المجتمع، فذلك هو أساس السلم والأمن والازدهار والاستقرار الذي يجب أن يرتكز عليه بناء الأمة ويكون منطلق حركتها نحو الاستقرار والإبداع والإعمار".[71]

النظام التعليمي المتزن والنموذج النبوي

التجديد لا يخالف العودة إلى الماضي، لأنه ليس كل العودة إلى الماضي تخلف، وليس التجديد هدم وبناء ولكنه ترميم وتحديث للأصل وعودة إلى ما كان عليه من قبل، وعلى هذا الأساس فالتعليم الديني لا بد أن

[70]. تغير المناهج بين جدل الداخل والخارج، مقالة أحمد محمد الدغشي في موقع إسلام أون لاين بتاريخ 8-3-2004م

71.العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي: عبد الحميد أبو سليمان ، ص:81:دار السلام، القاهرة 2007م

يستمد من تاريخه الأول، ومن مصدره الأصلي، وهو منهج التربية النبوية. حينما نتحدث عن أهمية البيئة والنموذج في بناء المجتمع المتوازن دينيا لا بد من ذكر ذلك النموذج الرائع.

إن مدرسة الرسول ومناهجها التعليمية كانت تنقصها المباني الفاخرة واللوائح المزينة، غير أنها كانت تفوق الجامعات الحديثة بمضامينها القيمة ومنظومتها الراقية، هي التي خرجت جيلا لا مثيل له في التاريخ، نوعية جديدة من البشر، يجيد التعامل مع الآخر ويحترم التعددية، يحب ولا يبغض ويستوعب ولا يرفض، لأن الآيات القرآنية كانت تنزل عليهم ويتلوها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ويلقنهم بأن التعددية ليست إلا سنة من سنن الله ولم يشأ الله أن يمحو الآخر من الوجود، "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين"[72] ، واعتبر الحوار عنصرا أساسيا من أدوات التعامل مع الآخر واشترط أن يكون ذلك بالتي هي أحسن.

وكانت مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم مدرسة الرحمة بكل أبعادها ومدلولاتها، حتى حدد القرآن رسالة الرسول وحصرها على الرحمة بقوله "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"[73]. وكلمة "العالمين" لا تقتصر على عالم الإنسان بما فيهم المسلمون وغير المسلمين بل تتجاوز إلى العوالم الأخرى بأكملها: "وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ"[74]. وقال نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء".[75]

ومن هذه المدرسة تخرج عمر بن الخطاب الذي وصل العدل قمته في خلافته حين يأمر رجلا مسيحيا أن يقتص من أمير مسلم لأنه اعتدى عليه، وذلك في قصة ابن عمرو بن العاص مع القبطي، وسأل عمر سؤاله المشهور: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟"[76]

ومن هذه المدرسة تخرج الصحابة رضوان الله عليهم الذين رحب المسيحيون بهم إلى بلادهم. فقد ذكر المستشرق توماس أرنولد "أن الجيش الإسلامي حين بلغ منطقة (فِحْل) بالأردن – وكان الجيش بقيادة أبي عبيدة –كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب المسلمين يقولون: يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكفّ عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا. ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا.

---

[72]. الهود: 118

[73]. الأنبياء: 107

[74]. وسرة الأنعام: 38

[75]. أخرجه الترمذي

[76]. تاريخ عمر بن الخطاب ، ابن الجوزي – ص: 119.

وغلّق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الرومان وتعسفهم"[77].

المبحث السادس

"الناس أعداء ما جهلوا"

لا ينعدم التوازن إلا بالجهل، وبالنسبة للمسلم الغير متزن تكمن مشكلته في جهله بالإسلام، ولذلك كان لزاما على المجتمع المسلم نشر العلم الصحيح بين المنتمين إليهم وإعداد منظومة تعليم تساعدهم على ذلك، فيتعلمون من خلالها أن الاتزان هو الذي يوصله إلى هدفه، أما عدم الاتزان يدمره ويدمر المجتمع من حوله.

إن جهالة الإنسان بدينه الذي اعتنقه ويتمسك به يؤدّي إلى مصيبة كبيرة في العالم، وهو يتخذ مواقف مخالفة تماما لمبادئ دينه، يضل ويُضل، فلا بد أن يكون صاحب الدين ملما بدينه وملتزما به الالتزام الحقيقي، لا بظاهره بل بباطنه لا بقشره بل بجوهره لا بجسده بل بروحه، فإذن يكون مؤهلا للحياة في عالم التعدد الذي جعله الله من سننه.

وفي الوقت ذاته لا يكفي للإنسان أن يعلم نفسه بل لا بد أن يعلم غيره، لا يكفي أن يعلم دينه بل عليه أن يعلم دين الآخرين، هذا هو الحل الأمثل للنزاعات والاختلافات، "الناس اعداء ما جهلوا" إن جهالتهم عن الآخرين تؤدّى إلى الحكم الخاطئ عليهم وتسبب في سوء الظن بهم مما يعكر صفاء الجو ويولد العداوة والبغضاء في المجتمع.

ومن الملاحظ أن كل الأديان تدعو إلى التسامح وتحث على التوازن، وينبغي أن تدرس هذه المبادئ في جميع المدارس الحكومية والأهلية والمدارس العلمانية والدينية حتى يستقر في أذهان الأجيال بأن الأديان كلها تدعو إلى التسامح ولا تعادي بعضها بعضا، وإنما تنبغ العداوة من بعض أصحابها الذين يشوهون صورة دينهم وهم يظنون أنفسهم أنهم يحسنون إلى دينهم ويحترمونها ويحافظون عليها!

فينبغي أن تدرس مبادئ التسامح وأصول التوازن التي وردت في الكتب المقدسة لدى الأديان، وهي كثيرة، وإليكم بعض الأمثلة:

إن كتب الديانة الهندوسية تؤكد هذا المعنى في العبارات الآتية:

---

[77]. الدعوة إلى الإسلام، ص: 73 ، توماس أرنولد ، مكتبة النهضة المصرية 1970م

‘May the Earth, which has many heights, slopes and plains, bearing on her bosom herbs that possess healing powers, bind together scattered men of diverse natures’ (12.1.2).

‘You may live and let me also live’ (19.69.1)

‘The small-hearted man procures food in vain. I speak the truth-this verily is his death. He cherishes neither god nor friend; he who eats alone, eats sin alone’ (10.117.6).

‘March together; let your words be united; let your minds be united; accept your share of fortune just as the gods, concurring, accepted their portion of the sacrifice in ancient times. May your prayers be common; common be your fraternity; may your minds move with one accord; may your hearts work in harmony for one goal; may you be inspired by a common ideal; I offer for you a common oblation. May you resolve with one accord, may your hearts beat in unison; may your thoughts be harmonious, so that you may live together in happiness.’[78]

‘Making all our acts noble.’[79]

‘Knowledge leads us to immortality.’[80]

ولا تختلف المسيحية عن الديانات الأخرى في هذه القضية، أنظر ما أتى بهذا الصدد في إنجيل متى: "سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن. وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا. ومن سخرك ميلا واحدا فأذهب معه اثنين. من سألك فأعطه. ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده. سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم. باركوا لاعدائكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم"[81]

لا يمكن بناء المجتمع المتوازن دينيا إلا بتدريس مبادئ الأديان المعتدلة وليس دينا معينا بل يدرس الطالب إلى جانب دينه مبادئ أديان أخرى تساعده على استيعاب ثقافة التعدد والتسامح.

---

78 . Rig Veda, 10.191.2-4
79 . Rig Veda, 9.63.5
80 . Yajur Veda, 40.14

81. إنجيل متى، الإصحاح الخامس 38: 40

هذه الحقيقة بدأت تدركها كثير من الدول في العالم، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م.
وفي عام 2007م أعلن وزراء التربية في أوربا هذا الأمر كالتالي:

Regardless of the religious education system that exists in a particular country, " children must receive tuition that takes account of religious and philosophical diversity as part of their intercultural education'[82]

وفي نفس العام World Teachers Organization في مؤتمرها المنعقد في برلين طالبت نفس الأمر، بتدريس جميع الأديان بدون تمييز حتى يسود جوّ الحوار والتسامح في العالم"[83]

الهند نموذجا

إذا كانت منظومة التعليم تنتهج تدريس مبادئ الأديان كلها، وخاصة التي تتعلق بالتسامح والإخاء بين الناس، تؤثر بالطبع على بناء المجتمع المتوازن. وفعلا قد انتهجت بعض الدول هذا المنهج وتتضمن مناهجها التعليمية هذا الأمر، وفيها بعض دول أوربا وجمهورية الهند. وبالرغم من أن الهند دولة علمانية، تعطي مناهجها التعليمية أهمية بالغة لجميع الأديان مقدرة لدورها في بناء المجتمع وتدرس بعض الجوانب المهمة من الإسلام والمسيحية والهندوسية والبوذية وغيرها من الأديان، مما يساعد على نشر الاحترام والتقدير لجميع الأديان في الجيل الناشئ. كما ينص قانون التعليم في البلاد على ضرورة احترام الأديان كلها حتى يعم روح التسامح والتعاون بين الأمم المختلفة في الدولة.[84]

ولا تقتصر الجهود بهذا الصدد على المناهج وحدها، بل هناك اهتمام بالغ في التطبيق وتقديم النموذج العملي، حيث يختلط طلاب الأديان المتفرقة في صفوفهم ويجلسون جنبا إلى جنب ويتعاطون ويتبادلون أفكارهم وتصورهم ويؤثرون ويتأثرون ويفهمون ويُفهمون ويندمجون في المجتمع، وفي الوقت ذاته لا يدفعهم الاندماج إلى الذوبان بل يحافظون على هويتهم ويعضون عليها بالنواجد.

---

82 . Final declaration (paragraph 23) of the 22nd session of the permanent conference of European ministers of education, Istanbul, 4-5 May 2007.

83 . Resolution on the place of religion in schools, adopted by the Fifth World Congress of the Education, Berlin, 22-6 July 2007

84 . National Curriculum Frame Work 2005, National Council of Educational Research and Training

هذا النموذج يبرز جليا في جنوب الهند، وخاصة في ولاية كيرالا التي تختلف عن الولايات الأخرى ويسود فيها جو التسامح الديني دائما بخلاف الولايات الأخرى التي تشهد في بعض الأحيان التوتر في العلاقات والتمييز بين الأديان.

الخاتمة

إن البشرية كلها تتطلع إلى عالم جديد يسود فيه الأمن والسلام والحب والوئام والتسامح والتعاون. عالم جميل بتعدده وتنوعه، تستمتع فيه جميع الأمم بالحرية الكاملة والاحترام المتبادل والتعايش السلمي.

إن هذه الأحلام والآمال لا تتحقق إلا بالعلم، وإنما العلم بالتعلم، فليتعلم كل واحد من المجتمع مهارة العيش المشترك وفن التوازن. ونحن على يقين بأن الدين لا يكون حائلا دون ذلك بل هو ضامن له وكفيل به. فلتكن منظومة التعليم قائمة على هذه الفلسفة، ولتطبق من خلالها جميع العناصر المهمة في المجتمع ولتنشر مبادؤها بواسطة منظومة التعليم المتمثلة في المدارس والجامعات والمشرفين عليها والبيئة التربوية فيها، والآباء والأمهات، والإعلام والقيادات السياسية، وتتكاتف جميع هذه العناصر حتى يتم بناء مجتمع متوازن دينيا في العالم.

وإن ذلك لممكن، إذا خلصت النية وقويت العزيمة ورصنت الخطة.

والله الموفق

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

التنشئة الدينية والتحديات المعاصرة في عصر العولمة

الدكتور سامي عفيفي حجازي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد

أيها الأخوة الأفاضل : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يطيب لي في هذا اللقاءِ بمؤتمر الدُّوحة الثامن لحوار الأديان، وهذا الاجتماع المبارك، أن أتناول معكم بحثاً حول :

التنشئة الدينية والتحديات المعاصرة في عصر العولمة

إن من الحقائق التي أجمع عليها العقلاء أن الحياة متحركة ومستمرة النمو، لا تعرف الوقوف ولا الركود، ولا تصاب بالهرم والتعطيل، ولا يواكب فطرتها إلا شرائع الدين الذي تعبد الله تبارك وتعالى به العالمين قال تعالى: **(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)**[1].

كما أن الإسلام علم على الدين الذي ارتضاه الله للعالمين بما يتضمنه من تكاليف إيمانية وتكاليف عملية وبما يدفع إليه من أخلاق وسلوك لتنظيم أمور الحياة الدنيا والآخرة ، قال تعالى **(أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)** [2]

ولذا فالدعامة التي يقوم عليها بناء التنشئة الدينية في ذات الإنسان هي وحدة العقيدة السمحة، وما يتفرع عنها من فروع تُحصِّنها وتحافظ عليها من المخالفات الفكرية وتبعدها عن الخرافات والأوهام والوثنية ... وهذه العقيدة دليلنا عليها قول الله تبارك وتعالى **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** [3]

نعم لقد توالت رسالات السماء بأمر أَوْجبت فيه على أبنائها المؤمنين العاملين، أن يعتنوا به حق العناية لأنه قاعدة من قواعد الدين الذي تعبد الله به كافة الخلق أجمعين ألا وهو العناية التامة بالتنشئة الدينية

---

[1] سورة آل عمران جزء من الآية 19.
[2] سورة آل عمران : الآية 83.
[3] سورة الروم : الآية 30.

للأجيال، وقد أبانت ذلك الآية السابقة، وقال تعالى **(فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)**[4].

وقد أشار علماء التربية والأخلاق فذكروا أن الطفل يولد على فطرة التوحيد، وعقيدة الإيمان بالله، وعلى أصالة الطهر والبراءة، فإذا تهيأت سبل التنشئة المنزلية الواعية، والبيئة الاجتماعية الصالحة المؤمنة، نشأ الولد على الإيمان الراسخ والأخلاق الفاضلة، والتربية الصالحة، وهذا ما أشار إليه الإمام الغزالي بقوله : "والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، فإن عُوِّد الخير وعُلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وإن عُوِّد الشر وأُهمل شقي وهلك، وصيانته بأن نؤَّدَبهُ ونهذبه ونعلمه محاسن الأخلاق والسلوك"[5]

فهدف التربية السليمة إعداد الفرد بجميع جوانبه وقواه المادية والروحية وعن طريق هذه النظرة الشاملة، والتناسق بين القوى المتعددة في النفس الإنسانية يحقق الإسلام التوازن التكاملي للإنسان ليكون لبنة صالحة في بناء المجتمع، وخلية حية في جسم الأمة، ولذا كانت تربية النشء لهذه الغاية واجباً دينياً يشترك في تبعته والتعاون عليه كل بيت وكل مدرسة وكل دائرة من دوائر التربية والتعليم، والتوجيه لكافة أفراد المجتمع في الأمة، بل إن المؤمنين والمؤمنات بمقتضى إيمانهم كما يقول الله فيهم (**بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)** [6]

فهم جميعاً مطالبون بأن يتولى بعضهم بعضاً بما يصلحه، ويستقيم عليه أمره وتطيب به حياته [7]

وتبدو عناية الإسلام بتربية النشئ فيما أوجبه على الأم ابتداءً من رضاعة الطفل، وما أوجبه على أبيه من النفقة عليه حتى يستطيع الكسب، وما أوجبه لأمه من حق حضانته ورعايةً لصحته، وتوفيراً لأسباب راحته هذا إلى ما يفهم من قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم)[8].

فإكرام الأولاد وإحسان أدبهم والرحمة بهم في المكانة الأولى من اهتمام الإسلام، وإذا كانت القدوة الحسنة والأسوة الطيبة أكبر مؤثر في سلوكهم، لأنهم في هذه الفترة من حياتهم مولعون بالتنشئة والمحاكاة، ظهر لنا مدى ما يجب أن تكون عليه كافة دوائر التربية [9] وأن يتذكر هؤلاء وهؤلاء قول الله تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

---

[4]سورة الروم : الآية 30.

[5] الإمام أبو حامد الغزالي ـ إحياء علوم الدين

[6]سورة التوبة : الآية 71.

[7]راجع : مجلة الأزهر ـ مقال للأستاذ عبد الرحيم فودة ، تحت عنوان : (عناية الإسلام بتربية النشئ) عدد مايو

[8]رواه الألباني في السلسلة الضعيفة ج4 رقم الحديث 150.

[9]المرجع السابق ص 1063.

آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) [10]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[11].

وعلى ضوء هذا البيان نقول: إن سمات التنشئة في الإسلام تبني على إيجاد الإنسان المتحقق بالإنسانية، حينما يغمر الإيمان قلبه، ويقتضيه هذا الإيمان منهجاً أخلاقياً يجعله قدوة في محيطه الذي يحيا فيه، ويتعاون مع بقية أفراده في تحقيق التوازن الاجتماعي كما جاء في بيان المصطفى صلى الله عليه وسلم : "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن"[12].

فهذا النداء يتكون من جمل ثلاث، كل واحدة منها تشير إلى سمة من سمات التنشئة والتربية في الإسلام: الأولى : اتق الله حيثما كنت تشير إلى الإيمان.

الثانية : أتبع السيئة الحسنة تمحها تشير إلى السلوك.

الثالثة : خالق الناس بخلق حسن وتشير إلى الخلق.

وهذه السمات الثلاث تندرج تحتها سمات أخرى وتتلخص فيما يلي :

* السمة الأولى : الإيمان وهو القاعدة الأساسية التي تنطلق منها أو تقوم عليها ملامح الشخصية الإسلامية المتميزة، وذلك لأن الإيمان حينما يعمر القلوب يجعلها تشعر بالأمان والاطمئنان، لأن المؤمن يستشعر دائماً أنه يحيا في رحاب آمنة، من عناية الله تعالى وحفظه ورعايته، وأنه دائماً مطلع على أقواله وأعماله، يرضى عنه إذا أحسن ويكره له أن يسئ .

والذين نشأوا على الإيمان يمثلون القدوة في المجتمع لقول الله تعالى (**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا . وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا . إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا . وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**)[13].

وقال تعالى : (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ**

---

[10] سورة الأنفال : الآية 24.

[11] رواه الإمام البخاري ومسلم "متفق عليه".

[12] رواه أبو داود وأحمد والترمذي وغيرهم بإسناد حسن.

[13] سورة الفرقان : الآيات من 62 - 67.

رَاعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[14].

والإيمان في بيان الإسلام هو جماع الفضائل الإنسانية ، كالصدق والأمانة والعدل والوفاء بالعهد ...

وفي هذا ما يشير إلى أن الإيمان يعتبر الركيزة الأولى في منهج التنشئة الإسلامية[15].

* **والسمة الثانية من سمات التنشئة الدينية في الإسلام الأخلاق،** والأخلاق في الإسلام ثمرة من ثمرات الإيمان فخير الناس أنفعهم للناس، والعبادات التي فرضها الإسلام إنما تنطوي على الوصول بالإنسان إلى السمو الخلقي الذي يجعله يبتعد عن الصغائر والدنايا ويسموا إلى معالي الأمور ويكره سفسافها، ومن هنا مدح القرآن النبي صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق قال تعالى : (**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**)[16]. وأثنى على ما اتصف به من لين الجانب والرفق في التعامل مع الغير فقال تعالى : (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**)[17].

ودعا الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلى العفو فقال : (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**)[18] وأثنى على المؤمنين في مجال التحدث عن أوصافهم، فقال تعالى: (**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ**)[19].

ولقد تواترت النصوص على الإشادة بحسن الخُلُق وحسن العاقبة لمن يتحقق فيهم ذلك لأن الذي يتحقق فيه حسن الخلق يبني علاقاته بالنَّاس على ضوء ما يدعو إليه خلقه من سمو وتسامح وعطف وإيثار[20].

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[21].

* السمة الثالثة من سمات التنشئة الدينية في الإسلام السلوك الذي يتحقق في الواقع العملي بين الخلق أي أنه القدوة التي تقدم النموذج للناشئين، حتى يسيروا على منواله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله

[14] سورة المؤمنون : الآيات 1 : 11.
[15] دكتور محمد إبراهيم الجيوشي ـ مقال عن التربية في الإسلام بالمؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية
[16] سورة القلم : الآية 4.
[17] سورة آل عمران : الآية 159.
[18] سورة الأعراف : الآية 199.
[19] سورة الحج : الآية 24.
[20] المرجع السابق للدكتور محمد إبراهيم.
[21] رواه البخاري ومسلم " متفق عليه "

عليه وسلم نبه إلى أننا في تعاملنا مع الأطفال لابد أن نكون على وعي وحذر شديدين، حتى لا نقدم لهم قدوة سيئة نحمل أوزارها وأوزار من يعمل بها إلى يوم القيامة.

والطفل إذا أبصر أباه يصلي فسيصلي، وإذا رآه يؤدي الأمانة فسيحرص على آدائها، وإذا لمس منه الصدق فسيلتزم الصدق، وإذا رآه يحسن معاملة النَّاس ويكلمهم بالحسنى ويراعي حقوقهم فسيفعل ذلك، وسيحرص على أداء الحقوق إذا عاش في جو تؤدي فيه الحقوق وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم توجيهات في كيفية توجيه الصغار وتدريبهم على الأخذ بالحسنى منذ نعومة أظافرهم حتى تصبح سجية لهم يقول صلى الله عليه وسلم : (علموا أولادكم الصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع)[22].

وخلاصة القول أن التنشئة في الإسلام تعمل على إعداد مجتمع يحكمه الإيمان، وتوجه خطاه الأخلاق، ويثقله العلم الذي يدفعه إلى العمل، فتتحقق العدالة وتفشوا الأمانة والحرية والأمن والاستقرار، ويجمعهم على الحب والمودة والإيثار، وهذا يعد ثمرة للتنشئة الدينية.

ومن هنا كانت التنشئة الدينية تمثل أحد ميادين التربية الإسلامية، وهي تقام على عطاءات الشريعة الإسلامية كتكاليف إيمانية وتكاليف عملية، والمتأمل حول هذا يتجلى له أهمية هذه التنشئة كتربية عملية تدفع إلى كل استقرار داخلي وخارجي، كما تقف وراء كل أمن اجتماعي وتقدم إنساني، يتكاتف حوله كل أبناء المجتمع لإعداد الإنسان للحياة من خلال المؤسسات التربوية المتعددة كما تبين فيما تقدم للعمل على تجلية دور الأديان في تنشئة الأجيال انطلاقاً من دور الأسرة، ومروراً بالمؤسسات التعليمية المتعددة وتطبيقاً لأثر دور العبادة على تنشئة أجيال المستقبل، بإعداد الإنسان القادر على التعامل مع متغيرات العصر وتحدياته المعاصرة في عصر العولمة. الأمر الذي يتطلب أن تتكاتف هذه المنظومة (البيت والمدرسة ودور العبادة) لمواجهة التحديات التي تعد لطمس معالم إنسانية الإنسان،

هذه التحديات التي توجه إلى الأسر الإنسانية بعامة والأسر المسلمة بخاصة في ظل طوفان العولمة التي تستهدف طمس الفطرة الإنسانية التي من أجلها توالت الرسل والرسالات.

فالإنسان خُلُق لعبادة الله وتعمير الكون امتثالاً لقول الله تعالى (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**)[23].

وليست العبادة التي تعبد الله بها كافة الخلق، موقوفة على العبادات المفروضة فقط، وإلا كانت التنشئة الدينية تنشئة أخروية، لا تهتم بغير الآخرة، والعبادات المرتبطة بها، ولذا كانت التنشئة الدينية تنشئة

---

[22] رواه الألباني في صحيح الجامع .
[23] سورة الذاريات : أية 56.

للدنيا والآخرة، فإن العبادة كما يقول أئمة أهل العلم هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وفي هذا البيان ما يدلل على الهدف الكلي للتنشئة الدينية التي تعبد الله تعالى بها كافة الخلق، وهي محور التنشئة الإيمانية التي هي تنشئة العابد العالم المؤتمر بأوامر الله، المنتهي عن نواهيه في الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وفي إطار هذا الهدف الكلي للتنشئة الدينية تكشف لنا النصوص الإيمانية عن الجداول المتعددة والتي تصب في نهر الهدف الكلي الذي يسعى إلى تحقيقه كل إنسان يتحقق بنور الإيمان، وتتمثل هذه الأهداف الفرعية في المجالات التالية : -

أولاً : المجال الخُلُقي والنفسي.

ثانياً : المجال الاجتماعي.

ثالثاً : المجال العقلي والمعرفي.

رابعاً : المجال العلمي القائم على تلبية احتياجات الإنسان .

* أما الحديث عن المجال الخُلُقي والنفسي، فيتجلى من خلال عناية الإسلام بكمال الخلق وتزكية النفس وترويضها على الامتثال لطاعة الله تعالى وفعل الخير وكفها عن الوقوع في محارم الله تعالى وفعل الشر.

وطريق تطهير النفس إلى ذلك هو العبادة بكل جوانبها الظاهرة والباطنة ومغالبة الهواجس والوساوس التي تنأى بالإنسان عن منهج الله تعالى، امتثالاً لقول الله تعالى (**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**)[24].

ومن هنا نجد أن التربية الخلقية تعد ركيزة أساسية في التنشئة الدينية، لأنها مستمدة من الضوابط الخلقية القائمة على الالتزام بالمسئولية في الدنيا والآخرة فهدف التنشئة الإسلامية الأكبر هو غرس القيم الإسلامية والفضائل الخلقية في نفوس الخلق لأنها تعد الدعامة الأولى في بناء سلوك الفرد والمجتمع.

فالأخلاق الإسلامية أساسها التقوى، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : (البر حسن الخُلُق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) [25]قال ابن عمر: (لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في صدره)[26].

---

[24]سورة النازعات : آية 41.
[25]رواه الإمامين أحمد بن حنبل والدارمي بإسناد حسن.
[26]صحيح البخاري كتاب الإيمان ج1 ص 2.

* أما عن المجال الاجتماعي فيدور البيان فيه حول حرص الإسلام على إقامة المجتمع الإنساني المبني على تلبية احتياجات الفطرة التي فطر الله الخلق عليها من نشر موازين العدل والرحمة والتعاون والتعاطف بين أبناء المجتمع، وتلك هي الثمرات التي تجعل الفرد في حالة وفاق مع أفراد المجتمع الذي يعيش فيه كما يقول علماء الاجتماع "إن الإنسان مدني بالطبع يحتاج إلى التآلف مع بني جنسه" [27] وهذا فوق أنه أمر إلهي هو فطرة إيمانية، قال الله تعالى مدللاً على فضيلة العدل التي تتبعها كافة الفضائل. **(وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)** [28].

" فما سعادة الأمم بكثرة أموالها ولا بقوة استحكاماتها ولا بجمال مبانيها، وإنما تتحقق سعادتها بأبنائها الذين تثقفت عقولهم، وبرجالها الذين حسنت تنشئتهم، واستنارت بصائرهم، واستقامت أخلاقهم، ففي هؤلاء سعادتها الحقة، وهؤلاء هم قوتها الرئيسه وسبل أمنها "[29].

وفوق هذا يهدف الإسلام من بيان ذلك أن يربط الفرد بالمجتمع، وأن يغرس فيه الشعور بالولاء والانتماء إليه وأن يكون الفرد مشاركاً في شئون المجتمع، ومسئولاً فيه في ذات الوقت يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ...) الحديث[30].

كما تتجلى مسؤولية المجتمع عن الفرد في مبدأ التكافل الاجتماعي وحفظ الحقوق والأموال والأنفس بالعدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: **(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[31].**

فالتنشئة الدينية تهدف إلى إقامة المجتمع الفاضل، الذي يقوم على التكافل والتعاون، والتراحم والمساواة كما يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً)[32].

* وأما عن المجال العقلي والمعرفي، فيتضح من خلال عناية التنشئة الإسلامية بتربية العقل والحث على تحصيل جوانب المعرفة والمعلومات التي تساعد على تلبية مطالب الجسد وتلبية أشواق الروح بهدف إيجاد الشخصية المسلمة المتكاملة.

---

[27] المقدمة لابن خلدون.
[28] سورة المائدة : الآية 42.
[29] راجع صموئيل سيبلز كتاب الأخلاق ص 9 ترجمة عن الإنجليزية أ./ محمد الصادق حسين ط 1911م.
[30] رواه البخاري ومسلم "متفق عليه ".
[31] سورة آل عمران : الآية 110.
[32] رواه البخاري ومسلم " متفق عليه " .

ولذا يوجه القرآن الكريم المسلمين إلى إعمال عقولهم، وتأمل الآيات في كتاب الله المقروء "القرآن الكريم" قال تعالى : (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**)[33].

والتأمل في آيات الكتاب المنظور "الكون" قال تعالى: (**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**)[34].

وقال تعالى: (**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**)[35]. فالآيات الكريمة تدعو إلى إعمال العقل بالتفكر والتأمل لاكتشاف ما في الوجود المقروء والوجود المنظور من أسرار وكنوز تبرهن على عظمة الله تعالى في كتاب الله المقروء الذي أحكمت آياته عدداً، وآيات الكتاب المنظور الذي ظل مفتوحاً إلى يوم الدين لدعوة الخلق إلى التدبر في آيات النفس والكون، وأنه ليس نظرية علمية فحسب وإنما بيان هداية وتزكية لا بيان فلك وعلم نفس.

ومن هنا تتضح عناية الإسلام بالعقل، حيث جعله أساس الإيمان، وعندما يخاطب القرآن الكريم المؤمنين، فهو يخاطب فيهم عقولهم، والقرآن نفسه معجزة عقلية في المقام الأول .

فالعقل هو الخاصية التي انفرد بها الإنسان بالتكليف والمسؤولية والجزاء، لذا كان الإسلام دين الشمول لأنه يخاطب عقل الإنسان وفكره، والعلم هو السبيل إلى صقل العقل وتهذيبه، وجعله قادراً على توجيه الإنسان في سلوكه ، فهو أساس عقيدة الفطرة والتوحيد. قال تعالى : (**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**)[36].

* وأما الحديث عن المجال العلمي القائم على تلبية احتياجات الإنسان فيتجلى في توجيهات نصوص الشريعة الإسلامية للمسلمين إلى ارتياد سبل المعاش، وتحقيق الاكتفاء الذاتي عن الآخرين، بلا تجرد عن الدنيا، أو انكفاء على الذات كما يفعل أهل الإلحاد، وإنما بوسطية متزنة دون إفراط أو تفريط، فلا تكالب على الدنيا ولا إهمال لها يقول الله تعالى : (**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**)[37].

كما دعا الله تعالى إلى تحصيل العلم وأرشدنا إلى أسرار الكون، وحثنا على كشف ما فيه ، كما قال المصطفى - صلى الله عليه وسلم - : (من يرد الله به خيراً يفقه في الدين)[38]. والفقه في الدين فقهان : فقه عن

---

[33] سورة محمد : الآية 24.
[34] سورة آل عمران : الآية 190.
[35] سورة الملك : الآية 15.
[36] سورة آل عمران : الآية 18.
[37] سورة القصص : الآية 77.
[38] رواه البخاري ومسلم " متفق عليه " .

الله تعالى فيما خلق وفقه عن الله تعالى فيما شرع . ومن هنا يتجلى لنا توالي الآيات التي تدعو إلى العلم وتؤكد على وجوب التعّلم والتعليم قال تعالى : (**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**)[39]. وقال تعالى : (**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**)[40].

والمتتبع للنداءات الإلهية السالفة يتضح له أن التنشئة الإسلامية تربي الإنسان وتعده ليعمر الأرض بمنهج الله في ثقة وقوة استعداداً لحياة أبقى ونعيم دائم في الحياة الآخرة، وليس معنى ذلك أنها تربية أخروية فقط، إنما هي تنشئة للحياة الدنيا والحياة الآخرة، فهي تنشئة للإنسان الذي نال شرف العبودية والتزم بمنهج الله تعالى القويم والهادي إلى الصراط المستقيم. قال تعالى: (**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**)[41].

وليس الغرض من التأمل والتفكر أن يكون أداة للوصول إلى معرفة الله فحسب، بل يجب عليه أن يستخدمها في تذليل سبل الحياة وتقليل متاعبها وتخفيف أعبائها قال تعالى: (**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)[42].

ولا يتم ذلك إلا إذا نشأ الإنسان على أن يدرك آيات الله المقروءة والمنظورة للتدبر والتفكر في كل ما يصلح لخدمته وفي توفير منافعه قال تعالى: (**وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ. أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ**)[43].

وقال تعالى : (**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**)[44].

التحديات المعاصرة التي تواجه التنشئة الدينية

المستقرئ لمراجع ومصادر التاريخ والفكر الإسلامي يتجلى له ما يقوم به خصوم الإسلام من تحديات متعددة وبأساليب متنوعة لمواجهة تعاليم الفطرة والدين وإيقاف مدها وانتشارها، وهذه التحديات استهدفت في المقام الأول إقصاء القيم والفضائل الإسلامية، وإحلال قيم وعادات أخرى لإفشائها بين أبناء الإسلام والمسلمين، بحيث تستقطب القيم البديلة مناحي حياة الأفراد والمجتمعات وتصوراتهم، وتباعد بينهم وبين مقومات الفطرة والدين، والتحديات التي تواجه الكينونة الإسلامية منها تحديات داخلية "أي نابعة من داخل الإنسان، وتحديات خارجية ، أي آتية من خارج الإنسان ومفروضة عليه، مصبوغة بالصبغة المجافية للفطرة والتوحيد.

---

[39] سورة التوبة : الآية 122.
[40] سورة السجدة : الآية 24.
[41] سورة الملك : الآية 14.
[42] سورة الجاثية : الآية 13.
[43] سورة سبأ : الآية 11.
[44] سورة الحديد : الآية 25.

* أما التحديات الداخلية فتنطلق من حملات التشكيك والإلحاد بالدعوة إلى خلخلة العقيدة في قلوب أبناء الإسلام، وسوء فهمهم لتعاليم الشريعة والعمل بها، فإذا كان ما في قلوبهم له مشارب شتى، فكيف السبيل إلى الاجتماع والوحدة ؟ !! .

إن الأمة الإسلامية متى ضعف فيها جانب الإيمان والعمل الصالح بفساد فطرتها، انهمكت في الملاهي والشهوات وأعرضت عن الآخرة والإيمان بالغيب، فتكالب عليها الأعداء من كل جانب كما أخبر الحق تبارك وتعالى : (**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**)[45].

وفي هذا البيان الإلهي ما يدلل على أن العقيدة والسلوك الإسلامي الصحيح هو المدخل إلى بناء المجتمع القوي القادر على تزكية نفس الإنسان، وتحليته بالفضائل والسلوك. وفي المقابل فإن التحدي الأكبر أمام العالم الإسلامي هو تغييب هذه العقيدة وذلك الوعي، بل وتزييفه وبالتالي الابتعاد عن المسلك الإسلامي القائم على تطهير النفس، وهذا الغياب للعقيدة والوعي والسلوك الإسلامي الصحيح هو الذي أدى إلى التبعية الفكرية، وهو الذي أذكى نيران الخلافات والصراعات المذهبية والدينية والعرقية واللغوية والطبقية والفئوية داخل المجتمعات المسلمة، وبينها وبين بعضها البعض، وهو أيضاً الذي أفرز كل جوانب التخلف الفكري والسلوكي بما في ذلك التطرف والعنف وإهدار حقوق الإنسان باسم الدين، وهو الذي شوه صورة الإسلام والمسلمين أمام أعين المجتمعات المختلفة غرباً وشرقاً.

وليس ما نقوله دعوى بدون دليل، فالإسلام هو الذي جعل من القبائل المتنافرة أصحاب حضارة وفكر، وأن هذه الحضارة الإسلامية تقوم على الشمول والتكامل، فهي من ناحية تحقق نفسها في سيادة العقل على قوى الطبيعة المتعددة ، ومن ناحية أخرى في سيادة العقل على نوازع الإنسان.

والإسلام هو البداية الحقيقية لتنشئة الإنسان، وتاريخ ميلاد الديمقراطية الرشيدة والحوار الفكري البناء واحترام الرأي الآخر، واحترام التعددية الفكرية والاجتماعية في إطار معيارية وقيم عليا سامية تنظر إلى الإنسان كإنسان بغض النظر عن جنسه ودينه ولونه ومركزه الاجتماعي والاقتصادي، تنظر إليه على أنه بنيان الله وخليفته في الأرض[46].

فالإسلام هو الذي أعلى من قيمة الإنسان الذي هو خلق الله. كرمه ونفخ فيه من روحه وعلمه الأسماء كلها وأسجد له الملائكة وخلق له ما في الأرض جميعا، وكلفه برسالة كبرى هي العبادة بمفهومها

---

[45]سورة الأنعام : الآية 44.

[46]راجع الدكتور نبيل السمالوطي ـ بحث بمجلة الجامعة الإسلامية ـ العدد الثامن والعشرون.

الواسع الذي يتعدى الفرائض إلى عمارة الأرض (**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**)[47]. وإلى التعارف بين الشعوب والقبائل لصالح الإنسان وتحضره وتقدمه ورقيه قال تعالى (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**)[48]. فهذه التعددية التي أرادها الله بين الشعوب والقبائل والجماعات ليست مدعاة للصراع والدمار والحروب وإنما لخير الإنسان وللتعاون على البر والتقوى. ونشر الحق والعدل والإخاء والمحبة وتحرير الإنسان من العبودية بكافة أشكالها، ومن التبعية والاستعباد.

فالتحدي الأكبر داخل المجتمعات الإسلامية هو تغييب الوعي الإسلامي والابتعاد عن المنهجية الإسلامية فكرا وسلوكاً ، وهذا ما أوقع المسلمين في دائرة التخلف ودائرة التبعية، ودائرة الصراع المدمر بين بعضهم البعض وبينهم وبين الآخر أياً كان هذا الآخر.

والتشخيص العلمي التاريخي لأسباب هذا التغييب تقتضي الاستعانة بكل أصحاب التخصصات العلمية من المخلصين لدينهم، سواء من المؤرخين أو الاقتصاديين أو المشتغلين بالعلوم السياسية، وتاريخ العلم والعلماء والاجتماعيين والمتخصصين في العلوم الشرعية. وسوف نجد أن هذا التشخيص يلقي بالتبعية على عوامل داخلية، وعوامل خارجية، عوامل تربوية واقتصادية واجتماعية، ومناخ عالمي، ومصالح شخصية[49].

* وأما التحديات الخارجية :

فتتعدد بتعدد المجالات التي تطبع واقع العالم الإسلامي، والتي تظهر فيها بصمات العولمة واضحة جلية، أو تلك المجالات التي تهدف لتغطيتها على المستوى القريب أو البعيد، وهي كثيرة تغطي جميع جوانب الحياة، ويمكن رصد أهم تلك المجالات في النقاط التالية : -

أولاً : التحديات الثقافية.

ثانياً : التحديات السياسية.

ثالثاً : التحديات الاقتصادية.

رابعاً : التحديات الاجتماعية.

وتصب هذه التحديات الخارجية في نهر التحديات المعاصرة في عصر العولمة التي ولدت لتنتهي بتفريغ المواطن من وطنيته وحضارته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي بحيث لا يبقى منه إلا خادم

---

[47] سورة هود : الآية 61.
[48] سورة الحجرات : الآية 13.
[49] راجع المرجع السابق للدكتور السمالوطي .

للقوى التي تعمل في الظلام بدعوى العالمية وما هي من العالمية بشيء وإنما هي اللادينية المخالفة للفطرة والتوحيد.

* والمستقرئ لمراجع ومصادر الفكر الثقافي يقف على أن الثقافة الإسلامية الأصلية، تتعرض فيما تتعرض له إلى تحديات وأخطار نتيجة بروز العولمة المتمثلة في الثقافة الغربية المادية، والتي تسعى إلى الهيمنة والانتشار في كافة جوانب الوجود، خاصة مع ثورة الاتصالات والمعلومات وتطورها، حيث تعمل العولمة على غزو فكري لعقول المسلمين، من أجل تغير ثقافتهم وطمس معالم عقيدتهم، وتشويه تراثهم وحضارتهم، والذي يساعد على تغلغل أفكار العولمة ونشرها في جنبات العالم الإسلامي هو الواقع المتردي الذي حل ببعض أفراد الأمة .

ولذا كان الهدف من العولمة الثقافية هو نشر ثقافات أبناء الغرب والعلمانيين، والتفسخ من أجل زعزعة أبناء الأمة الإسلامية عن قيمهم وأخلاقهم[50].

* أما التحديات السياسية التي تسعى القوى الأجنبية إلى فرضها في جنبات الحياة التي تتمثل في ادعاء الديمقراطية التي تعتمد على التعددية وحرية الرأي المغلوطة والتعبير عن طريق القنوات التي اعتمدتها ونادت بها قوافل العلمانية، واعتبرت هذه الدول أن عدم تطبيق الديمقراطية ينتج عنه الاستبداد وانتهاك حقوق الإنسان ، وضياع حقوق الأقليات وغير ذلك من السلبيات ...

إن هذا النظام الجديد الذي حاول سياسياً (عولمة الديمقراطية من منظوره الخاص لحقوق الإنسان، وفهمه المغلوط للحرية، تجاهل تماماً ذاتية الشعوب الأخرى، وثوابتها وقيمها، وكانت النتيجة عولمة الفقر بالإضافة إلى عولمة السوق، واستقطاب جديد من الشمال الغني المسيطر للجنوب الفقير، وتبني القوى الدولية للقضايا التي تريد ما دامت مصلحتها تقتضي ذلك، وتتجاهل كافة القضايا الأساسية ، لعدم وجود مصلحة لها بها)[51].

* وأما التحديات الاقتصادية فتتشعب صورها بصور متعددة منها زيادة البطالة، وانخفاض الأجور، وتدهور مستويات المعيشة، ونقص الخدمات المقدمة من قبل المجتمعات وحرية السوق، وكف يد الدول عن التدخل في برامج النشاط الاقتصادي، واتساع التفاوت في توزيع الأجور والدخول"[52].

ولذا يعتبر هذا المجال من أهم مجالات العولمة، وذلك لأنها إحدى تصديرات القوى الرأسمالية[53].

---

[50] راجع الموقع الالكتروني نسيج .

[51] د/ مانع بن حماد الجهني المسلمون وتحديات العولمة بحث بالمؤتمر الإسلامي ص 12 ط 2002م.

[52] راجع : دكتور أسامة عبد الحميد العاتي بحث بالمؤتمر العالمي السادس لبديع الزمان النورسي 2002م

[53] راجع : المرجع السابق للدكتور مانع الجهيني ص 7.

* وأما التحديات الاجتماعية التي تواجه العالم الإسلامي في تنشئته فتحمل سمات متعددة ومنطلقات متوالية تغطي حياة الإنسان منذ ولادته، لأن يكون كائناً اجتماعياً وعضواً في مجتمع مناقض لثوابته وفطرته .

وهذه التحديات للتنشئة الاجتماعية تنطلق من مثلث قاعدته الأسرة، وزواياه التعليم والثقافة.

* أما الحديث عن الأسرة فهي أول مؤسسة اجتماعية تتولى هذا الإعداد ، حيث تستقبل المولود ، وتحيط به وتروضه على آداب السلوك والتنشئة الدينية التي تطلبها التنشئة الاجتماعية، وتعلمه لغة قومه وتراثهم الثقافي والاجتماعي من عادات وتقاليد وسنن اجتماعية ، وتاريخ قومي، وتأخذ بأسباب الحزم للقضاء على ما يطرأ من مقاومة لهذا التراث الديني والثقافي والاجتماعي، فينشأ عضواً صالحاً في المجتمع مرتبطاً بثوابت الأمة وخصوصياتها القائمة على عقيدتها وفطرتها التي تدعم ذاتيتها بين الأمم[54].

ولتحقيق كل هذا الإعداد أولى الإسلام عناية متفردة بالأسرة، لحمايتها من التفكك فهي العماد الأول لتنشئة المجتمع المسلم، والمحضن التربوي الذي يتخرج منه الفرد النافع، الذي تطلبه فطرته ليعبد الخالق ويعمِّر الكون، وينشر الأمن والسعادة في جوانب المجتمع الذي يحوطه ، فيكون نافعاً لنفسه وللمجتمع الذي ينشأ فيه ، وللوطن الذي يقطن فيه، وحتى لا يحدث تفسخ في هذا الاستقرار الأسري، حث الإسلام كما نادت كافة الشرائع الإلهية، على استمرار تلبية نداءات الفطرة التي فطر الله الخلق عليها، ببناء رابطة الزوجية، وكره قطعها من غير مبرر للحرمان منها، أو البعد عن نيل ثمراتها، وشرع لذلك جملة تشريعات لضبط العلاقات الأسرية، وقد رافقت تعاليم التشريع الإسلامي الأسرة في مسيرتها ورعتها منذ لحظة ميلادها مروراً بأحوالها وشئونها، مراعياً في ذلك كله قواعد العدالة والأخلاق والمثل الاجتماعية ، آخذاً بعين الاعتبار العواطف الإنسانية للكينونة ، الإنسانية في إطار من الموضوعية الشاملة، بما يؤمن للأسرة أقوى رباط وأسمى سلوك، ليشد من أزرها حتى تقوم بواجبها الاجتماعي والإنساني في نعمة الإنجاب والقدرة على التنشئة والتربية في ظل عبادة الله تعالى وشكره على نعمه"[55].

غير أن العولمة في جانبها الاجتماعي تسعى إلى تفعيل السياسات وتعميمها على الطفل والمرأة والأسرة ، وكفالة حقوقهم في الظاهر ، إلا أنها في حقيقة الأمر وواقعه تسعى إلى إفساد وتفكيك الأسرة والأفراد، واختراق وعيهم بمجافات تعاليم الفطرة والدين. مما جعلهم يواجهون عدة جبهات، أو قنوات تنشيئية، يصارعون فيها مجموعة متفرقة من التحديات الثقافية، والاجتماعية التي تعكس واقع مجتمعاتهم المعاصرة، من جراء الكم الهائل من الوسائط الاتصالية الإعلامية، التي أصبحت تحل محل المؤسسات

---

[54]أ.د/ محمد عبد الرحيم بيومي (الإشكاليات الاجتماعية للعولمة) ص 436 ط 2007م.

[55]راجع : دكتور وليد بن عثمان الرشودي ـ بحث بعنوان (التماسك الأسري في ظل العولمة) .

التقليدية، والتي تقوم على أسس من تمجيد البطولات الخارقة، والصراع والعنف والأنانية، ومخاطبة الغرائز والشهوات "[56].

في مقابلة المؤسسات التي توافقت مع تعاليم الفطرة والدين من نشر للأمن النفسي والسلوكي الذي يعمر المجتمعات الإسلامية بتحقيق السعادة للفرد والمجتمع، بخلاف ما يتلقاه الطفل اليوم في ظل منظومة العولمة القيمية، والأخلاقية، في جانبها الاجتماعي، من المؤثرات الوافدة من خلال المؤسسات التربوية والثقافية والإعلامية، التي تؤدي إلى انفصام وتشتت في كينونة الطفل ووجدانه، فتضطرب في داخله القيم والموازين، وينشأ لديه ألوان من الصراع في سلوكه الاجتماعي والسلوكي، وتقتحم القيم والموازين اللادينية من لغة وأدب، وفنون .... ومأكل ومشرب وملبس وعلاقات اجتماعية متناقضة، ثم يمضي الأمر إلى أن تصبح القيم والموازين الإسلامية غريبة في حياة الطفل، فتواكب حياة الطفل غربتين : غربة زمان، وغربة مكان، أما غربة الزمان فتتمثل في البعد عن الماضي الإيماني، وأما غربة المكان فتتمثل في البعد عن الواقع السلوكي، الذي لا يعيشه الطفل ولا ينسجم معه، بل يشعر تجاهه بشيء من الاغتراب والاضطراب، وربما بالخجل والحياء، ثم ما يلبس هذا الأمر أن يتحول إلى ظاهرة، تشمل فئة واسعة من المجتمع[57].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الانعكاسات التي فرضتها تعاليم العولمة، على نسيج الأسرة والمجتمع، بسبب ظهور وسائط جديدة تساكن حياة الإنسان الفرد والمجتمع كالتلفاز والانترنت ، التي باتت تعزز العديد من الأنماط السلوكية الخارجة عن مألوفات الأسرة وهوية المجتمع، حيث أشاعت فجوة كبيرة في صرح تدبير أمور التربية، وأفلتت مقاليد التنشئة الاجتماعية، من بين أيدي الآباء ليسقط الأبناء، بين براثن الوهم والتغريب والأحلام المصطنعة، وهكذا توالت تعاليم العولمة، ترمي بالدرجة الأولى إلى إحداث تغير في هياكل وبنى المجتمعات النامية، ومؤسساتها، وتغير منظومة القيم الدينية والاجتماعية لشعوبها[58]. وتمتد بعولمتها إلى الناحية الاجتماعية، التي تهدف من خلالها إلى تهيئة المجتمعات لا سيما الإسلامية منها، إلى تقبل مختلف أنماط التبعية للاستعمار الغربي في صورته الجديدة المعولمة، ومن ثم تعمل على تذويب الحضارات الإسلامية بعقائدها وقيمها، وعاداتها وتراثها في الحضارات الغربية الوافدة، من خلال معابر الاستعمار التقليدي، الذي يقذف من مرحلة غواية الترغيب والترهيب إلى مرحلة الاجتياح ليحقق سبل التأيد في ذوبان الحضارات غير الغربية في النموذج الحضاري الغربي، واحتلال العقل والقيم كان دائماً وأبداً

---

[56] المرجع السابق للدكتور / محمد البيومي ص 437.
[57] راجع دكتور محمد البيومي المرجع السابق وراجع : الموقع الالكتروني نيوس .
[58] المرجع السابق بتصرف ص 438.

السبيل لتأيد احتلال الأرض، ونهب الثروات، دونما حاجة إلى نفقات القوات العسكرية وتكاليف الجيوش" [59] في القيم والعادات التي تتنافى مع معتقدات وقيم الشعوب الإيمانية.

وبالإضافة إلى ما تقدم ، تقوم التحديات الاجتماعية في مواجهة الأسرة بما يلي: -

* العمل على التصدع بين أفراد الأسرة وغياب الترابط عنها بصور متعددة، يأتي في مقدمتها، حدوث النفور بين أفراد العائلة، وغياب الوئام والحرص بينهم.

وكذلك من صورها الدعوة إلى الهجرة وغياب أحد الأبوين أو تخليه عن حياة الأسرة وما أنيط به من مسؤوليات تجاه عائلته، ومن خلال هذا الغياب يحدث شرخ في تهديم بنيان الأسرة فتتسلل المفاسد والانحرافات إلى أفرادها، وينفذ المتربصون من شياطين الإنس إليها، وبسبب ذلك أيضاً يفقد الأبناء تكاملية الرقابة السليمة من الوالدين، فغياب أحد الوالدين عن أسرته لفترات طويلة يؤدي إلى الكثير من المتاعب النفسية وافتقاد الأمن، خاصة وأن الطفل في فترة نموه الوجداني والاجتماعي، يكون الإحساس بالأمان من الأمور التي تكون شخصيته وترسخ تنشئته تنشأة سوية.

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن هذا العامل يجر إلى عامل آخر من عوامل الانحراف الاجتماعي في ظل تعاليم العولمة :

* وهو إقامة الصداقات المنحرفة مع قرناء السوء . فالصداقة تعني التآلف في الرغبات، والانسجام في الطبائع، التي به تكون الثقة والتجاوب متجاذباً ومتبادلاً، بين الأصدقاء ولهذا كان الصديق أو القرين يمثل الأثر القوي في الصلاح إن كان صالحاً، وفي الفساد إن كان منحرفاً[60].

فالإنسان يعرف بأصدقائه لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالِل" [61] ، فالصداقات المنحرفة لم تكن يوماً من الأيام أخطر منها في العصر الحاضر، حيث يتيسر المال في أيدي الكثيرين، وتنوعت وسائل الإغراء وسهلت سبل الفساد، لا سيما في عصر الفضاء المفتوح وفكر العولمة.

* ومن التحديات التي تواجه الأسرة ، انقياد الآباء لأهواء الأبناء وخضوعهم لتلبية رغباتهم، فقد يكون الجو العائلي المشبع عطفاً وحناناً عامل تساهل يؤدي إلى إهمال العناية بسلوك الأبناء، مما يدفعهم للانحراف ويؤدي بهم إلى الفساد، كما أن القسوة والشدة تؤدي إلى النفور وشق عصا الطاعة التي تأخذ بيد الأبناء إلى اليأس، الذي يدفع إلى اللامبالاة، وارتكاب ما لا تحمد عقباه ...

---

[59] راجع دكتور محمد عمارة 1938م. ط : نهضة مصر. وراجع المرجع السابق للدكتور محمد البيومي.
[60] راجع دكتور محمد البيومي المرجع السابق ص 462 بتصرف مع تقديم وتأخير.
[61] رواه أبو داود والترمذي وغيرهم.

* ومنها أيضاً الفراغ والبطالة ، حيث يشترك معظم الشباب في أنهم يسيئون استخدام أوقات فراغهم من جانب، واستغلال مواهبهم وقدراتهم وإمكانياتهم المتعددة من جانب آخر، ومن ثم لا يحسنون اختيار دراساتهم أو أعمالهم فيما بعد،

لذا كان حجم البطالة بين الشباب الأمي أكثر حدة منه بين المتعلمين، فالبطالة بمثابة قنبلة موقوتة تدمر كل شيء. حيث تصل بالشباب إلى طريق الهروب وإدمان المخدرات التي تعد سبيلاً كافياً لكافة الشرور والآثام، من سرقة وقتل، وسلب ونهب، وغير ذلك مما تعايشه المجتمعات من تفشي الشرور والرذائل في ظل المد الاجتماعي لتعاليم العولمة، ولا شك أن هذا مخطط يستهدف منه الأعداء طعن الأمة في أغلى ما لديها من فلذات أكبادها[62].

* ومن تلك التحديات الاجتماعية للأسرة : تغييب القيم الخلقية والسلوكية .

نعم لقد بدأت المجتمعات الحديثة تعاني من تفشي الجرائم بأشكالها المتعددة، بما لم تعهده الشعوب والأمم في ماضيها وتاريخها، فهانت الحرمات، وانتهكت الأعراض سراً وجهراً تحت مسميات مختلفة، وشعارات براقة، وهذه بلا شك هي النتيجة الحتمية، والحصاد الطبيعي، لانطلاق الحريات السلوكية بلا حدود، والانفلات المطلق من جميع القيود التي دعت إليها كافة الرسالات الإلهية.[63].

وهذا يدفعنا إلى تناول الزاوية الأولى من زوايا مثلث التحديات التي كانت قاعدته الأسرة وزواياه :

- التعليم. - والثقافة.

* أما الحديث عن التعليم ، فيشعر كل من يطلع على ما ينشر في الصحف، وما يراه في الواقع، أن انحرافاً غريباً طرأ على الأخلاق والسلوك، وأخذ يدب في نفوس النشيء دبيب السم في جسم اللسيع، ويتسم هذا الانحراف بأنه ناشيء عن زيغ العقيدة، لا مجرد الأهواء الغالبة، فزيغ العقيدة مصدر الأخلاق المرذولة في كل حين، إلا أن الدعاية إلى التحلل وفعل الرذائل بالقياس إلى ما مضى لم تبلغ علانيتها ما بلغته اليوم، من تمزيق لرداء العفاف والحياء، وخداع النشيء باسم الحرية أو الفن الراقي، ولكن لا جمال إلا مع الفضيلة، ولا حرية إلا لمن يلقي النَّاس على دوائر الاستقامة بالخُلُق والسلوك.

والمستقرئ لقنوات التعليم والتعلم، يدرك أنه لم يتفشى زيغ العقيدة فيما سلف كتفشيه اليوم، لظهور معطيات ساعدت على سريان الأوبئة والأمراض التي لم توجد من قبل، وأمهات هذه المعطيات (الوسائل) ثلاثة أمور :

---

[62]راجع الأستاذة مها صبري عرفات نقلاً عن المرجع السابق بتصرف.
[63]المرجع السابق للدكتور محمد البيومي بتصرف ص 476.

أحدها : هذه المدارس التي يفتحها أرباب العولمة اللادينية باسم العلم، ويغفل بعض المسلمين عن حقيقتها، والغاية التي أعدت من أجلها، فتأخذهم بمظاهرها، حتى يُسَلِّموا أطفالهم وهم على الفطرة، إلى من يصبغ هذه الفطرة بسواد، وينزع منها روح الآداب والفضائل التي تبني على الحياء، إلى المفاسد والشرور التي تقام على التحلل والفجور[64].

ولذلك كانت مؤسسات التعليم اللاديني، ولا تزال أهم الطرق والوسائل التي نشرها العلمانيون، لتمكين تعاليم العلمانية (اللادينية) في نفوس النشيء الصاعد، والشباب الحاضر[65].

وثانيها : تهاون بعض الآباء بواجب أبنائهم، إذ يرسلون الناشيء إلى معاهد العلم بأوربا (والدول اللادينية) قبل أن يتلقى من علوم الدين ما يجعل عقيدته مطمئنة، فيلاقي في أثناء الدراسة هنالك أو في بعض المحادثات شبهاً، لا يجد في نفسه من الحجج ما يدفعها، وإذا تواردت الشبه على الناشيء، ورانت على قلبه، أصبح يبصر وجه الحق أسوداً قاتماً .

ويعود السبب في هذا إلى أن هذه المؤسسات العلمانية تأخذ الطفل منذ نعومة أظافره عجينة لينة طيعة، فتصوغه كما تريد، وتنشئه كما تهوى وتبعده عن تعاليم الفطرة والدين، بقدر ما تقربه من تعاليم العلمانية وتحببه في المفاهيم اللادينية، بقدر ما تُبَغِّضَهُ في فطرته التي فطره خالقه عليها، بهدف تحويلهم أولياء لعشيرتهم نصحاء لأمتهم[66].

ثالثها : إن كثيراً من المؤسسات التعليمية ، ضعف فيها روح الاعتزاز بالدين الذي تعبد الله به العالمين، فاستباح واضعوا برامج التعليم العام في مدارسها ألا يضربوا لعلوم الدين بسهم. وحتى من يضرب لها بسهم، لا يُغني من تقصير وجهل، والتعليم الذي يُهضم فيه جانب العلوم الدينية لا يرجى منه تهيئة نشيء، تتساقط عليهم الشبه فيطردونها أو توسوس إليهم الشياطين، فيستعيذون منها[67].

وعندما ابتليت الأمة الإسلامية بالهزيمة النفسية، وانبهرت بالحضارة الغربية لا سيما في ظل العولمة، وما سهلته تقنياتها من الإطلاع على ما عند الآخر، أهملت في النشيء جانب التربية الدينية، والاهتمام بالجوانب الخُلقية، فجنت نتائجها انحرافاً في الأخلاق والسلوك، وبعداً عن الجادة، وسهل بعد هذا غزو المتربصين لأبناء المجتمعات الإسلامية، وطعنهم للأمة في إغراء نشئها بالانزلاق في مهاوي

---

[64]راجع فضيلة الشيخ الخضر حسين (رسائل الإصلاح) ج1 ص 23 ط دار الإصلاح بالدمام 1977م.
[65]راجع دكتورة إلهام محمد شاهين (العلمانية في مصر وأشهر معاركها) ج1 ص 64 ط 2001م.
[66]المرجع السابق .
[67]المرجع السابق للشيخ الخضر حسين ص 24.

الرذيلة، والانحدار إلى مستنقعات الفساد، والانهيار الاجتماعي، حتى أصبح انحراف النشيء يمثل ظاهرة طارئة على نسيج الأسر والمجتمعات[68].

والأمة في حاجة إلى نشيء ترتبط قلوبهم بالتعاطف، وتمتلئ صدورهم بنور الإيمان، للحفاظ على أداء الحقوق والواجبات وتلبية نداء الفطرة والدين، ولو كان التعليم الديني آخذاً حقه في جميع مؤسسات التعليم، لم ير الناس ما يرونه من التجافي بين أفراد نشأوا في مؤسسات تتناول مناهجها قدراً من الدين الإلهي، وآخرين نشأوا في مؤسسات ليس لمناهجهم فيها نصيب من الدين، ولا منشأ لهذا التجافي إلا بعد النشأتين[69].

* وأما الحديث عن الثقافة ، فيتضح من كونها تُعد عنصراً أساسياً في حياة كل فرد وكل مجتمع وكل أمة، فهي تشمل القيم والأخلاق والتقاليد، وأنماط الحياة المختلفة، فهي الخبرات العملية التي يكتسبها الإنسان ثم يحدد على ضوئها طريقة تفكيره، ومنهج سلوكه في الحياة، فهي تعبر عن هوية وخصائص كل أمة.

وعلى الرغم من إقرار المجتمعات الإنسانية قديماً بوجود تمايز ثقافي بينها، فإن ثمة اتجاه يدعو إلى إنكار هذا التمايز، على اعتبار أن التدفق في الثورة المعلوماتية والأدوات التقنية، قادرة على فرض الثقافة اللادينية، التي هي نتاج أيدلوجية الرأسمالية الغربية، فهي ثقافة لا تؤمن إلا بالمادة، وتقوم فلسفتها على الأنانية النفعية، والتمتع بالملذات دون ضابط أخلاقي، أو رادع ديني، فعبادة الهوى هي السائدة [70]، وصدق الله حين قال : (**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا**)[71].

وقال تعالى : (**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**).[72]

وإذا كانت الثقافة المادية، ترى القوة نقطة الاستناد في الحياة ، وتهدف إلى المنفعة في كل شيء، وتتخذ الصراع" دستوراً للحياة، وتلتزم بـ "العنصرية" والقومية السلبية رابطة للجماعات، وأن ثمرتها في إشباع رغبات الأهواء والميول النفسية المجافية للفطرة لتأجيج جموح النفس وإثارة الهوى، فمن المعلوم أن قوة هذا شأنها تمثل "الاعتداء" وشأن المنفعة هو "التزاحم" إذ لا تفي لتغطية حاجات الجميع وتلبية رغباتهم.

وشأن الصراع هو "النزاع والجدل" وشأن العنصرية هو الاعتداء للتوسع على حساب العناصر الأخرى.

---

[68] المرجع السابق للدكتور محمد البيومي ص 482.
[69] المرجع السابق للشيخ الخضر حسين ص 26.
[70] راجع الدكتور أحمد علوان (رسالة المسلم في حقبة العولمة) ص 596 بتصرف. ط قطر 2003م.
[71] سورة الفرقان : الآية 42.
[72] سورة الجاثية : الآية 23.

ومن هنا نلمس لم سلبت سعادة البشرية في ظل الثقافة المادية من جراء اللهاث وراء هذه الرؤية العنصرية في عصر العولمة .

أما دستور الثقافة الإسلامية فيدعو إلى تقبل الحق نقطة استناد في الحياة بدلاً من "القوة" وتجعل رضي الله تعالى ونيل الفضائل هو الغاية بدلاً من "المنفعة" ويتخذ دستور "التعاون" أساساً في الحياة بدلاً من دستور "الصراع" ويلزم برابطة "الدين" التي تشمل كافة الأفراد ، لربط فئات المجتمع بدلاً من العنصرية والقومية والسلبية، ويجعل غايتها الحد من تجاوز النفس الأمارة ، ودفع الروح إلى معالي الأمور، وإشباع مشاعرها السامية لهداية الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية، التي توالت عليها دعوة كافة الرسل والأنبياء .

إن شأن الحق هو "الاتفاق" وشأن الفضيلة هو "التساند" وشأن دستور "التعاون" هو إغاثة كل للآخر، وشأن الدين هو الأخوة والتكاتف ... شأن إلجام النفس وكبح جماحها، وتوازن الروح وحقها نحو الكمال هو "سعادة الدارين"[73].

وكل هذه المعطيات توقفنا على أهمية البناء الثقافي الذي قدمه القرآن الكريم للإنسان في كل زمان ومكان كثقافة أشرق بها نور التوحيد، ولم تكن قاصرة على المسلمين وحدهم، وإنما كانت وستبقى من أجل الإنسانية جميعاً.

وبتجلية هذه الحقيقة كما هي في نصوص القرآن الكريم دستور الثقافة الإسلامية يدعونا الأمل إلى أن تتحرك الهمم، وتنهض العزائم من جديد لاستئناف الدور المنوط بالدين الذي رضيه الله للنَّاس أجمعين في ساحة الثقافة الحديثة، والعلم الحديث، فيعود العلم في ظل هداية القرآن لهداية الإنسان، الذي من أجله كان القرآن كما كان في صدر الإسلام[74].

خطورة العولمة والآثار التي تواجه التنشئة الدينية

بمراجعة التحديات التي دعت إليها تعاليم العولمة يتضح لنا العديد من الآثار السلبية والخطيرة للعولمة، سواء على تنشئة الأسرة المسلمة أو على النظام الاجتماعي في المجتمعات المسلمة عموماً، ومن هذه الآثار :

(1) التشكيك في عقائد الإسلام، وتشويه ماضيه وحاضره، بإثارة الشبهات حول نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية المطهرة.

---

[73] راجع : العلامة بديع الزمان سعيد النورسي (مجموعة رسائل النور) مجلد الكلمات ج1 ص 146 ط :
[74] راجع : دكتور سامي عفيفي حجازي. بالاشتراك 2005م.

(2) تفريق المسلمين بتذويب الوحدة الإسلامية والدعوة إلى القوميات المتعددة والمتنوعة، وتوسيع الهوة بين اتجاهات الفرق الإسلامية.

(3) الجهل بالإسلام وعقائده وأحكامه، وانتشار البدع والخرافات، والمذاهب المتعددة الباطلة كالقاديانية والبهائية، وانتشار الأفكار اللادينية المتطرفة، مما أدى إلى قصور الوعي الديني لدى الشباب، نتيجة لغياب التوجيه العملي السليم داخل نسيج الأسرة الواحدة، ومعظم المؤسسات التربوية كالمدارس، والترفيهية كالنوادي مما ترتب على هذا وذاك إشاعة التطرف والعنف والانحراف.

(4) تعرض النشء للهزيمة النفسية، واهتزاز الثوابت لديهم نتيجة للتغريب الإعلامي الذي يلاحقهم في كافة مصادر الأجهزة الإعلامية، المقروءة والمسموعة والمنظورة، المحلية منها والعالمية، مما أدى إلى نشوء طبقات من المستغربين، المنبهرين بالمادية وثقافتهم اللادينية.

(5) مهاجمة اللغة العربية بأساليب العلمانية والعمل على انتشار اللهجات المحلية، وإظهار اللغة العربية بصورة اللغة التي لا تواكب العصر ولا تصلح للعلم، بحيث لا تقع عين الطفل الناشيء على مكتوب باللغة العربية المهملة، إلا وتجده مقروناً باللغة الأوربية المعظمة، بل إنهم يجعلون من اللغة العربية لغة ثقيلة على النفس بتدني مستوى القائمين عليها وتسطيح البرامج الداعمة لها[75].

(6) إفساد مناهج التعليم، وإضعاف التعليم الإسلامي ومدارس القرآن الكريم، والمناداة بعلمنة التعليم، والدعوة إلى إقامة مؤسسات التعليم المختلط، فضلاً عن إبعاد مادة التربية الدينية، عن درجات الامتحان بحيث لا تُعَدُ مادة نجاح أو رسوب، وإنما هي مادة من حيث الشكل والمظهر العام، ومما يدلل على عدم الوعي أن يتم هذا تحت دعوى أن تهميش المادة الدينية واقصائها عن المناهج العلمية والتعليمية، يشد من أزر الطلاب ويشجعهم على الاهتمام بها، والإقبال عليها. !!!

ونقول لهؤلاء وهؤلاء : فلماذا لا يكون ذلك سمة تعاملهم مع بقية المواد الدراسية حتى يقبل الطلاب عليها ؟ !!! [76].

(7) تمزق الأنسجة الاجتماعية وما يتصل بها ، من قصور الأداء في التنشئة الإسلامية داخل الأسرة، نتيجة انشغال الأبوين بالعمل خارج المنزل، وتفكك الأسرة، وتردي علاقة الآباء بالأبناء، وضعف الوازع الديني والوعي التربوي لدى الآباء، وانصرافهم عن دورهم المنوط بهم والاعتماد شبه

[75] راجع دكتورة إلهام محمد شاهين (العلمانية في مصر وأشهر معاركها) ج1 ص 70 ط 2001م.
[76] انظر المرجع السابق بتصرف.

الكلي على المؤسسات التربوية، مما يهدد تعاليم الرسالات السماوية بطمس معالم الأخلاق والسلوك.

(8) انتشار بطالة الخريجين، وعدم توظيف طاقات الشباب الصاعدة، في بناء المجتمع وتنميته، وتركه نهباً للصراعات، التي تدفع إلى وقوعهم فريسة للأخطار والاتجاهات المضللة، وصور الانحراف الخلقي والتطرف المذهبي[77].

(9) ضعف إمكانات الشباب وقصورها عن بناء الأسرة مما يؤدي إلى عزوف الشباب عن الزواج، وما يترتب على ذلك من مشكلات أخلاقية وقيمية ونفسية واجتماعية بجانب مشكلات سوء الاختيار في أمر النكاح[78].

(10) إفساد مفاهيم التحضر عند المرأة واستهدافها لعملية التغريب نتيجة لتعرضها للإعلام اللاديني المحشو بالمفاسد والمخالفات لمفهوم تحرير المرأة وحقوق المرأة التي يعملون على إشاعتها ونشرها لإخراجها من عفافها وكرامتها ...... الذي كفلته لها كافة الرسالات الإلهية وتعاليم الشريعة الإسلامية.

السبل الداعمة لتنشئة دينية صحيحة (العلاج)

تعد الأسرة في تعاليم الإسلام، أساس المجتمع، واللبنة الأولى في بناء الأمة، والصرح الذي يقام عليه المجتمع الإسلامي، وهي محوطة بسياج من الفضائل والأخلاق، تحيا داخل المبادئ القويمة التي تهدف إلى التحلي بمكارم الأخلاق، والابتعاد عن مواطن الخلاف والشقاق، لذا اهتم الإسلام بتنشئة الأسرة، وتربية النشيء ، وتعهدهم بالتهذيب والتأديب، والتربية والتقويم بكافة السبل الداعمة للتنشئة الدينية الصحيحة، حيث تدفع تعاليم الإسلام إلى إيجاد مجتمع فاضل، تسوده المبادئ، وتظلله القيم الرفيعة، ويحوطه الأمن والاستقرار.

وفي هذا بيان لدور التنشئة الدينية في مواجهة التحديات المعاصرة في عصر العولمة.

والمستقرئ لسمات التنشئة الدينية وأهدافها، والتحديات التي فرضتها العولمة وآثارها المتعددة، ومدى خطورتها على طمس منبهات الفطرة، التي فطر الخالق الخلق عليها، والدين الذي تَعَبَّد الله به العالمين، وفي هذا وذاك ما يدفع إلى أهمية التصدي لآثار العولمة، والسبل الداعمة لرفضها والتخلي عنها، وقد يقول قائل: كيف السبيل لمواجهة العولمة، نقول: لكي نواجه العولمة ينبغي أن نعمل أولاً على تفعيل

---

[77]راجع دكتور نبيل السمالوطي بحث عن (التحديات الاجتماعية).

[78]راجع المرجع السابق بتصرف.

ضوابط التشريع الإسلامي والاحتكام إليه في دنيا الناس، وفي هذا كشف للتحديات الفاسدة السابق ذكرها، ومحاصرتها ، بالاعتصام بتربية النشيء من خلال تفعيل أهداف التنشئة الدينية في مكافحتها ومواجهتها والتصدي للأفكار التي قامت عليها، وفي سبيل الوصول إلى هذه الغاية سلك الإسلام بما فيه من عقيدة وشريعة وسائل عديدة، وأساليب قيمية حكيمة تتجه نحو الأسس والجذور، وتركز على البدايات والأصول، فالاعتناء بالبدايات يضمن صلاح النهايات وسلامتها، وتنقية الأجواء كفيل أن يشيع جو الطهر والنقاء .

ولكي نواجه العولمة علينا التصدي للأفكار التي تقوم عليها بالطرق التالية : ـ

(1) الحفاظ على الهوية الإسلامية، واستعادة روح المسؤولية والتمسك بها ونشرها بين الأفراد والجماعات.

(2) تربية النشء وتأسيس المجتمعات الإسلامية على منهج الله تعالى[79]. للحفاظ على الهوية الإسلامية، واستعادة روح المسؤولية ونشرها بين الأجيال.

(3) تأصيل المناهج التعليمية وإحكام النظم التربوية على ما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم- لاكتساب النشء القيم الخلقية، المستمدة من ركائز المسؤولية بصورها المتعددة والجزاء بجانبيه الدنيوي والأخروي.

(4) العمل على إيجاد نظام ثقافي إسلامي يعمل على تنشئة أفراد المجتمع في ضوء الثوابت الإيمانية التي حملتها الشريعة الإسلامية، والتي تتمتع بالنضج العقلي والأفق المتفتح، ونبذ الخلافات المذهبية والأفكار العقيمة التي تؤدي إلى تشتت الوحدة الإسلامية، كما ينبغي على المؤسسات التعليمية أن تتجه نحو التعليم الذي يلبي احتياجات الفطرة من جانب وتعاليم الدين من جانب آخر ، وذلك لأن الثقافة الإسلامية هي الثقافة الوحيدة التي تحقق التوازن بين متطلبات الجسد والروح، ولا يمكن قيام حضارة إنسانية رفيعة إلا في وسط ديني وخلقي، وعقلي، وجسدي حتى تدفع بالإنسان أن يبلغ كماله الإنساني"[80].

(5) تعزيز مكانة اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) في نفوس أبناء الأمة، إذ تعد اللغة العربية من العناصر الأساسية في استمرارية الثقافة العربية، فهي حصن لتراث الأمة الإسلامية، وهي الطابع المميز لهوية أبناء الأمة الجامعة لكلمتهم ، وهي لغة القرآن الكريم، الذي أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين.

---

[79]مجلة منار الإسلام (الثقافة الإسلامية بين الواقع والأمل) للدكتور/ حسن أحمد كبي العدد الرابع 1996م.

[80] أحمد معاذ علوان بعنوان (المسلمون وتحديات العولمة الثقافية) برسالة المسلم في حقبة العولمة قطر 2003م.

(6) وحدة الأمة الإسلامية ، فالوحدة الإسلامية عطاء من عطاءات الدين، وطريق من طرائق التمكين له، وسيادة أحكامه، وشمولها على كافة شؤون الحياة[81]. ولذا كان من فضل الله سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية أن يسر لها طريق الوحدة الكاملة، والرابطة القوية بما أرسل لها من رسول رؤف رحيم، وبما أعطاها الله تعالى من كتاب كريم اشتمل على التكاليف الإيمانية (عقيدة) والتكاليف العملية (شريعة) فكانت أخوة المسلمين على رحم الإيمان رباطا يجمعهم وغاية تدفعهم إلى العبادة الداعمة لوحدة الهدف، فجعلتهم أمة واحدة لها شأنها واعتبارها.

ووحدة الأمة الإسلامية تقوم على أصول وركائز منها :

أولاً : وحدة الأصل الإنساني :

فالنَّاس جميعاً يرجعون إلى أصل واحد، فأبوهم آدم وأمهم حواء، وقد بينت نصوص القرآن الكريم للمسلمين هذه الحقيقة في آيات متعـددة منها قول الله تعالى : (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة)[82].

ثانياً : وحدة العقيدة :

فالعقيدة هي المعتقد النفسي الذي تطمئن إليه النفس ويمتلئ بها القلب، أي تجتمع عليها قلوبهم، وتحفظها عقولهم، وتستيقنها نفوسهم، بكل أبعادها واتساعها من جانب، وبكل ما تحمله وتفرضه من جانب آخر، هي مركز تجميع المسلمين، وملتقى وحدتهم، ينطلقون منها من أجل الحفاظ على عطاءاتها، التي تمد الفطرة بالوجبات الإيمانية الدافعة إلى التطهير والتزكية، ويعودون إليها لتكون أساس تصرفاتهم وأقضيتهم التي تحقق لهم الاستقامة بالسعادة في الدنيا والنعيم في الآخرة .

ومن هنا كانت العقيدة الإسلامية، أبوة روحية ترجع إليها كافة النفوس المؤمنة، وذلك لأن المؤمن حين يستشعر وحدة العقيدة التي تملأ النفس بالإيمان إلى جانب وحدة الشريعة التي تنشر جانب التصديق والتطبيق بالامتثال لأوامر (الشريعة) يتحقق للإنسان الأمن بصوره المتعددة في المجتمع الذي تحقق له التنشئة فيه السعادة في الدنيا والآخرة.

---

[81]راجع الأستاذ عبد العظيم منصور (واجبات العبودية لله) ص 144 ط 1971م.
[82]سورة الأعراف : الآية 27.

ثالثاً : وحدة مصدر التشريع :

ووحدة مصدر التشريع تمثل مركز وحدة المسلمين، حيث تقوم تعاليم الشريعة من أفراد الأمة مقام الروح من الخلق، فهي مناط الحياة فيه. قال تعالى: (**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ . وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ**)[83].

فالشريعة الإسلامية هي الشريعة الخاتمة، وأحكامها المتمثلة في خطاب المشرع الحكيم لسائر البشر أمراً أو نهياً أو خبراً ، فهي الكفيلة بمواجهة متطلبات البشرية ووفاء أحكام الشريعة لمتطلبات الخلق مرجعه إلى حقيقة تلبية احتياجات كل نفس صحت فطرتها واستقام سلوكها[84].

ومن هنا كانت شريعة الإسلام هي شريعة سائر الأنبياء، ولما كانت قواعد التشريع وأصوله هما مناط عظمته وخلوده، نزل تشريع الإسلام عاماً، خالد القواعد والأصول، ومن ثم توافرت فيه عناصر الخلود والعطاء واجتمعت إليه أسباب الدوام والبقاء ، فهي شريعة ربانية، ومن ثم فهي شاملة لكل أمور الخلق الدينية والدنيوية لتحقيق الاستقامة في أمور المعاش وأمور المعاد. قال تعالى : (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**)[85].

رابعاً : وحدة العبادات :

إن مفهوم العبادة في الإسلام يمثل جانباً من جوانب التنشئة الشاملة للدين التي تغطي الجوانب المتعددة للنفس الإنسانية في جانبي: التكاليف الإيمانية والتكاليف العملية، ففي الإسلام وحده يملك الإنسان أن يعيش لتحقيق عوامل السعادة في الدنيا، وتحقيق الجزاء الأوفى في الحياة الآخرة، وأن يعمل للامتثال لأمر الله ، وفي نفس الوقت يعمل لتعمير الحياة الدنيا، وأن يحقق كماله الإنساني في مزاولة نشاطه اليومي في الخلافة في الأرض، وفي تدبير أمر الرزق، ولا يتطلب منه هذا غير إخلاص العبادة لله في إقامة الشعائر

---

[83]سورة الشورى : الآية 14.
[84]إبراهيم عوضين (الإسلام والإنسان) : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة التعريف بالإسلام 1965م.
[85] سورة المائدة : الآية 3.

التعبدية وفي حياته المعيشية على السواء لإشباع نداءات الفطرة التي فطره الله عليها، ولذا كان لإقامة العبادات شأن واضح، فيما ينعكس من آثارها على الكينونة الإنسانية في جانبيها المادي والروحي[86].

ومن هنا تبدو أهمية وحدة المسلمين وتنشئتهم حول عقيدتهم باعتبارها وحدة تجمعهم ومركز انطلاقهم، تتعارف على أساسها أرواحهم، وتأتلف عليها قلوبهم ، وتختفي نوازع الهوى من أنفسهم، فيُمسكون بالزمام والقياد، ليصبحوا خير أمة أخرجت للناس كما أراد الله لها أن تكون، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله[87].

وخلاصة القول : فإن التنشئة عملية شمولية ، تتدخل فيها عدة عوامل في تفاعلها ، وتحديد مسارها، وإن عدم أخذ السبل الداعمة لها بعين الاعتبار، يؤدي حتماً إلى الإخلال بالتوازن بين التنشئة وخصائص المجتمع، كما أن إهمال الجانب العقدي في التربية والتنشئة يؤدي إلى الإضرار بفاعلية المنظومة التربوية، واستمراريتها كما يؤدي إلى بتر أهم مقومات الهوية الإسلامية، وهو ما يؤدي إلى حرمان الإنسانية جمعاء من الطابع الإنساني الشمولي والأخلاقي للإسلام[88].

الخاتمة

وتتلخص في النقاط التالية :

أولاً : أن التنشئة الدينية بنيت على تعاليم الوحي الإلهي الذي توالت عليه الرسل والرسالات الإلهية، لإعداد الفرد بجميع جوانبه وقواه المتعددة في النفس الإنسانية، لإقامة التوازن بين العقل والوحي، وبين المادية والروح ، وبين الحقوق والواجبات، وبين الفرد والمجتمع، وبين الثوابت والمنطلقات، كما قدمت العديد من القيم والفضائل الكلية لضبط سبل التعايش البشري والتعارف الإنساني للإنسان في كل زمان ومكان، كما دللت على ذلك سمات التنشئة الدينية التي نادت بها تعاليم الشريعة الإيمانية وكما جاءت في البيان النبوي " اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن" منذ نعومة أظافرهم ، حتى يستقر ذلك في نفوسهم ويشبوا عليه.

ثانياً : إن التنشئة الدينية تقع في المقام الأول على عاتق الأب والأم، فالأسرة هي المحضن الأول، والمدرسة الأولى في حياة النشء ، وذلك بمعنى أن المسؤولية في هذه السن المبكرة تقع على عاتق الأبوين

---

[86] راجع : الأستاذ / إبراهيم عوضين (الإسلام والإنسان) ص 278 بتصرف ط 1965م.
[87] المرجع السابق ـ للأستاذ/ عبد العظيم منصور ص 145 بتصرف.
[88] بوفلجة غيات (انعكاسات التربية الغربية على الشعوب الإسلامية) بتصرف ص 108 ط 1991م.

في تنمية فطرة الإنسان ، وأن يغرسا في عقله العقيدة الدينية الصحيحة التي فطر عليها، بالتصديق والتطبيق ليتخلق بالأخلاق التي تملأ عليه السعادة في الدنيا والآخرة .

ثالثاً : إن التنشئة الدينية في مفهومها هي الكيان الحي للأمة حيث يبنى عليها قوام وجودها، فهي التي تحدد ملامح شخصيتها، وقوام وجودها، وفي نفس الوقت هي التي تضبط سيرها في الحياة، وتحدد اتجاهها فيه، وما كل ذلك إلا لأنها تبنى على العقيدة التي هي المعتقد النفسي التي تؤمن بها، وأسسها التي تحرص عليها، وفضائلها التي تعمل على الالتزام بها، وتراثها الذي تحرص عليه من الاندثار ، وذاتيتها التي تود لها الذيوع والانتشار.

ومن خلال هذه المعطيات يتضح أن التنشئة الدينية تجمع بين الغاية والوسيلة، وبين العلم والإيمان.

رابعاً : أقامت التنشئة الدينية التأكيد على أهمية الترابط الإنساني من جانب، ورفض عمليات إسقاط المفاهيم على واقع مختلف التضاريس من جانب آخر، وفوق هذا وذاك رفض تعليب القيم الجاهزة ، لأن الأخلاق والسلوك ليس نباتاً مزروعاً خارج النفس الإنسانية، وإنما تنبع هذه الأخلاق وذاك السلوك المستقيم من داخل النفس الإنسانية التي قامت التنشئة على تلبية معطياتها من الفطرة والدين .

خامساً : تبدو أهمية التنشئة الدينية كمنهج للتربية في ظل التحديات المعاصرة في عصر العولمة لفرض مفاهيم جاهزة تحت شعارات متعددة لتعاليم العولمة وتحرير رؤية التحديات التي لا تتفق وطبيعة الثوابت الإيمانية والتراث الحضاري للأمة وذلك لأن بناء الفرد المؤمن وتنشئته تنشئة إيمانية صحيحة هو أساس كل إصلاح، إذ لا إصلاح بلا صلاح، والكينونة الإنسانية لا يجدي فيها إصلاح فكري (نظري) دون إصلاح روحي، كما جاء في البيان النبوي في حديث المصطفى – صلى الله عليه وسلم - : " ألا إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب".

سادساً : إن تعاليم الشريعة الإيمانية أقيم بنيانها على الثوابت والمنطلقات العملية، كما قدمت العديد من القيم والمبادئ الكلية لضبط سبل التعايش البشري والتعارف الإنساني للإنسان في كل زمان ومكان.

سابعاً : إن مفهوم العولمة يبنى على أنها مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ المواطن من وطنيته وقوميته وانتمائه الديني والاجتماعي .... بحيث لا يبقى منه إلا خادم للقوى الكبرى (العلمانية) التي من آثارها مسخ إنسانية الإنسان بعيداً عن التنشئة التي تلبي احتياجات الفطرة وتتلخص في :

* التشكيك في عقائد الإسلام وتشويه ماضيه وحاضره.
* تفريق المسلمين والدعوة إلى خروج القوميات المتعددة وتوسيع الهوة بين الاتجاهات والفرق الإسلامية.
* الدعوة إلى انتشار البدع والخرافات.

* العمل على تغيب اللغة العربية لغة القرآن.
* انتشار بطالة الخريجين ، وعدم توظيف طاقات الشباب في البناء وتنمية المجتمع، وتركهم نهباً للصراعات التي تدفعهم للارتماء في أحضان الاتجاهات المضللة والتطرف المذهبي لإبعاد الإنسان عن التحقق بالإنسانية التي تحقق له التكريم والخلافة في الأرض .

ان التحديات المعاصرة تعمل على محاصره التنشئة الدينية بين غربتين:

* غربة زمان.
* غربة مكان.

الأولى : بعد دوائر التربية والتنشئة الدينية عن الماضى الإيمانى.

الثانية : بعد دوائر التربية والتنشئة الدينية عن الواقع الشمولى للأمة.

* ومن هنا كان اهتمام الإسلام بتنشئة الأسرة وتربية النشء وتعهدهم بالتهذيب والتأديب والتقويم بكافة السبل الداعمة للتنشئة الدينية الصحيحة ، حيث تدفع تعاليم الرسالات الإلهية إلى إيجاد مجتمع فاضل تسوده المبادئ وتظلله القيم الخلقية الرفيعة ، ويحوطه الأمن والاستقرار ليتحقق للإنسان السعادة في الدنيا والآخرة .

البيان الختامي

أ.د. إبراهيم صالح النعيمي

اجتمع أكثر من 220 مشاركا وممثلا للأديان السماوية الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام) من قرابة 60 دولة فى مؤتمر الدوحة الثامن لحوار الأديان المنعقدة فى العاصمة القطرية : الدوحة فى الفترة من 19 إلى 21 أكتوبر 2010. تحت عنوان " دور الأديان فى تنشئة الأجيال "

افتتح المؤتمر سعادة السيد / حسن بن عبد الله الغانم وزير العدل بدولة قطر ، الذى رحب بالمشاركين و أكد على الحاجة الملحة للخروج بتوصيات تؤكد على أهمية الدين فى إعداد الأجيال القادمة .

وناقش المؤتمر هذا الموضوع من خلال ثلاثة محاور : دور الأسرة ، ودور المؤسسات التعليمية والاجتماعية ، وتأثير الإعلام على النشء ، و تأثير الإعلام على النشء ، وأثر دور العبادة فى تنشئة الأجيال .

1. **دور الأسرة فى تنشئة الجيل الجديد**

إن على الأسرة مسؤولية خاصة ، كما أن لديها فرصة كبيرة لتوفير تربية تشجع على التسامح واحترام الجار ولآخر . و مع أن وجود الأسرة بركة عظيمة ، فقد عبر المشاركون عن قلقهم حن احتمال ضياع كثير من الأطفال الذين يفتقدون مساندة الأسرة . إن هناك حاجة ملحة لجعل الأطفال ينظرون إلى ما وراء حاجاتهم الخاصة و يستبدلون الرأفة بالآخر فى منافساتهم الذاتية على المنافسة . والأطفال مثاليون بفطرتهم ، يثيرهم العنف ، سياسيا كان أو أسريا.

ويدعو المؤتمر جميع المجتمعات الدينية لتحمل مسؤولياتها نحو الأسرة ، و تعزيزها وحدةً أساسية للمجتمع و مكانا يتعلم فيه الأطفال أولاً ممارسة الحوار والتعاون.

2. **دور المؤسسات التعليمية والإجتماعية والإعلامية فى تنشئة الأجيال**

يمكن للمدارس والاعلام والمؤسسات الاجتماعية أن تلعب دوراً محورياً في إعداد الشباب لتحمل مسؤوليات محليا و عالميا. و يجب مواجهة أي شكل من أشكال التمييز والمواقف النمطية .

لقد عانت المجتمعات اليهودية والمسيحية والإسلامية من الاضطهاد و سوء الفهم ، وعليه فإن من المهم التغلب على الجهل ، واحترام الاختلافات . و يدعو المؤتمر المدارس والمؤسسات الإعلامية إلى أن تمكّن الشباب من البحث عن الحقيقة والاختيار الخاص.

ومع التقدم التكنولوجي الهائل في مجال الاعلام تأتي فرص عظيمة لنشر القيم ، كما يظهر أيضا خطر الاستخدام السيء للإعلام .

ويدعو المؤتمر جميع المجتمعات الدينية إلى تشجيع المدارس و المؤسسات الاجتماعية والإعلامية على تطوير مناهج ، ومشروعات اجتماعية وبرامج إعلامية ترسخ ورح الاحترام للأديان والثقافات الأخرى .

3. أثر دور العبادة على تنشئة أجيال المستقبل

إن أماكن العبادة – مثلها مثل المدارس والأسرة والمؤسسات الاجتماعية والإعلامية –يمكن أن تؤثر يأثيراً بالغاً فى تنشئة الأطفال والشباب . و من الممكن في الوقت نفسه أن تستغل دور العبادة لنشر ثقافة العنف والإقصاء ، وقد ناقش المؤتمر فى جلساته قضايا مثل **" التنشئة الدينية والتحديات المعاصرة في عصر العولمة ، و " كيف نعيد لدور العبادة الدور الفعال في تربية الأجيال " ، و أثر دور العبادة في ترسيخ المبادئ الدينية السليمة " .**

ويناشد المؤتمر جميع المجتمعات الدينية على تشجيع دور العبادة لإعادة الشباب لتحمل مسؤولية غرس قيم المودة والرحمة والتعاون محليا و عالماً.

لقد أثرى إسهام مجموعة من الطلبة من قطر وهولندا " رؤية الشباب لحوار الأديان ودور الدين في تنشئة الأجيال " ، و حقق هذا الإسهام رغبة شديدة في ضرورة الاستماع إلى تجارب الشباب – الإيجابية منها والسلبية – عبر عنها كثير من المشاركين في المؤتمر أثناء جلساته المختلفة .

وختاما قدم المؤتمرون الشكر الجزيل لسمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر و دولة قطر حكوكة وشعباً كرم الضيافة . كما وجهوا شكرهم لمنظمى المؤتمر: مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان ، و وزارة الخارجية بدولة قطر ، و جامعة قطر .

إعلان مؤتمر الدوحة الدولي الثامن لحوار الأديان

التقى أكثر من 220 مشاركا، من 58 دولة، من اليهود والمسيحيين والمسلمين، خلال مؤتمر الدوحة الثامن لحوار الأديان. وأثنى الحضور على حسن الضيافة الذي لمسوه، وتقدموا بالشكر لسمو الشيخ حمد بين خليفة آل ثاني ودولة وشعب قطر، وأعربوا عن امتنانهم لمنظمي المؤتمر: مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، ووزارة الخارجية، وجامعة قطر. وفي بداية المؤتمر رحب السيد حسن بن عبد الله الغانم، وزير العدل، بالمشاركين، ودعا إلى الحاجة إلى توصيات محددة من المؤتمر تمتد من عنوان المؤتمر: "تنشئة الجيل الجديد على أسس القيم والتقاليد: رؤى دينية."

وركز المؤتمر على ثلاثة مناح رئيسة: دور الأسرة؛ دور المدرسة والإعلام؛ دور أماكن العبادة.

1. **الأسرة: جوهر تنشئة والحفاظ على الجيل القادم**

للأسرة مسؤولية خاصة – وتحظى أيضا بفرصة فريدة – في توفير تعليم للأطفال يشجع على قبول واحترام الجيران والغرباء. ورغم أن وجود ودعم الأسرة نعمة كبيرة، فإن الكثير من المشاركين أعربوا عن قلقهم من المخاطر التي يتعرض لها الأطفال الذين لا يحظون بدعم أسري. وثمة حاجة ماسة لتدريب الأطفال على تجاوز السعي لإشباع حاجاتهم واستبدال المنافسة الأنانية برحمة على الآخرين والرفق بهم. ومما قد يجعل هذا المسعى أيسر أن الأطفال بطبعهم مثاليون وكارهون للعنف، الأسري والسياسي على حد سواء.

<u>ويدعو المؤتمر المجتمعات الدينية إلى دعم الأسرة باعتبارها الوحدة الجوهرية في البناء المجتمعي وباعتبارها أول ما يتعلم فيه الأطفال ممارسة التحاور والتعاون.</u>

2. **دور المؤسسات التعليمية والاجتماعية والإعلامية**

تستطيع المدرسة والمؤسسات الاجتماعية ووسائل الإعلام لعب دور حيوي في إعداد الأجيال الشابة للاضطلاع بالمسؤوليات الهامة، على المستويين المحلي والدولي على السواء. ولابد في هذا السياق من مكافحة كل صورة من صور التمييز أو التحيز. وإذ أن المجتمعات الدينية الثلاثة، اليهودية والمسيحية والإسلامية، قد تعرضت للتمييز والتهوين في مراحل تاريخية مختلفة، فإن من الأهمية بمكان مكافحة الجهل واحترام الاختلافات. ويجب أن تسمح المؤسسات التعليمية والإعلامية للأجيال الشابة بالبحث عن الحقيقة وبلوغ خياراتهم بأنفسهم. ومع التطور الكبير الحادث في وسائل الاتصال والإعلام، ثمة فرصة سانحة لنشر القيم أيضا. ولكن هناك

المخاطر المتمثلة في إساءة استخدام وسائل الإعلام، وهو ما قد يؤثر بالسلب على حيوات أو سلوك الأجيال الشابة.
يدعو المؤتمر المجتمعات الدينية لتشجيع المدارس والمؤسسات الاجتماعية ووسائل الإعلام على تطوير مقررات دراسية ومشرعات وبرامج إعلامية واتصالية تعزز احترام وتقدير الأديان والثقافات الأخرى، وتحترم الاختلافات.

3. **أماكن العبادة: دعم والتأثير على الجيل التالي**

فضلا عن الأدوار الهامة التي يمكن أن تلعبها الأسرة والمدرسة والمؤسسات الاجتماعية، تستطيع أماكن العبادة أن توفر تأثيرات محمودة خلال تنشئة الأطفال والأجيال الشابة. ولفت المشاركون أيضا بأن أماكن العبادة قد تتعرض لإساءة الاستخدام، ما قد يؤدي إلى زيادة الإقصاء والعداوة تجاه الآخر المختلف دينيا. وقد تناولت النقاشات الجماعية خلال جلسات المؤتمر موضوعات مثل: "التنشئة الدينية والتحديات المعاصرة في حقبة العولمة،" "كيف نستعيد الدور النشط للصلاة بين أفراد الجيل الجديد،" "دور الصلاة في غرس المبادئ الدينية."
يدعو المؤتمر المجتمعات الدينية إلى تشجيع القائمين على أماكن العبادة على إعداد الأجيال الشابة لتتحمل مسؤولياتها، محليا ودوليا، لنشر وترسيخ قيم التراحم والتعاون.

وقد أثرى الجلسة الأخيرة في المؤتمر مشاركة مجموعة من الطلبة من قطر وهولندا حول موضوع "منظور شبابي حول حوار الأديان ودور الدين في تربية الأجيال." وقد كانت مشاركة الشباب تلبية لرغبة عبّر عنها الكثيرون أثناء المؤتمر، والذين طمحوا للاستماع إلى خبرات الشباب، إيجابيها وسلبيها، خاصة وأنهم من سيحمل المسؤولية ليبني عالما أكثر عدالة وسلاما.

خلاصات المقالات الإنجليزية

(ترجمت إلى اللغة العربية)

دور المؤسسات التعليمية والاجتماعية والإعلامية في تنشئة الجيل الجديد

القس كريستوف روكو

تلقي هذه الورقة الضوء على التحديات الأساسية التي تواجهها المؤسسات التعليمية في تنشئة الجيل الجديد، خاصة فيما يتعلق برفع وعي ذلك الجيل بالأديان والثقافات خارج النطاق الجغرافي الذي نما فيه. وتصف الورقة السياق الذي ينمو فيه الجيل الجديد بأنه مجتمع تعددي ومُعَولم وتغلب عليه نزعة "العيش في اللحظة الآنية." ومن ثم توجه الورقة الانتباه إلى أهمية التعرف على المشترك بين أبناء الجيل الجديد وتقبل الاختلافات، وكذا أهمية أن ينطوي منظورنا للحظة الآنية على بعد تاريخي يساعدنا على فهم الكيفية التي بلغنا بها تلك اللحظة. وتصف الورقة نماذج على مؤسسات ومبادرات من فرنسا (مدارس وجماعات كشافة وغيرها من الجيل الجديد ذاته) سعت لتحقيق المقترحات أعلاه.

أهمية المقررات المدرسية في غرس القيم الدينية

الدكتور أبو الحسن صادق

تقول هذه الورقة بأهمية وجود توَجّه وتكامل قيميّين، وبأن القيم الدينية – وليس القيم الاجتماعية – أولى بأن تكون لب ذلك التوجه وذلك التكامل. ويمثل عمر الالتحاق بالمدرسة المرحلة المناسبة لغرس تلك القيم، وحيث يكون من اليسير تشكيل القالب القيمي للأطفال. ومن ثم توضح الورقة أهمية دمج القيم الدينية ضمن مناهج المدارس، وكيف تسهم الطقوس الإسلامية – والتي يظنها البعض، خطأ، مجرد حركات عبادة بسيطة – في غرس القيم الربانية.

دور التعليم الديني في تنمية المجتمع

هيغيومين فيليب ريابيخ

تدعو هذه الورقة إلى إعادة النظر في الأساس الإيديولوجي الذي يقوم عليه النموذج السائد في التنمية. فثمة مشروعات اجتماعية عديدة ناجحة تنبني على أساس الدافعية الدينية، وهي مشروعات تفوق عددا نظيراتها المنطلقة من دافعية دينية أيضا ولكن بأثر سلبي أو هدمي على المجتمع. ولكي يتحقق السلام، من الضروري استكشاف بديل عن النموذج التحديثي العلماني السائد. وهذا البديل المقصود يجب أن يتضمن البعد الديني. ولتنشئة الأفراد على الدافعية الدينية التي تؤتي سلوكا قويما وإيجابيا، لابد أن يتوافر مناخ

تعليمي يتلقى عبره المرء في طفولته منظومة قيميّة أخلاقية مستقاة من ديانته التي ينتمي إليها، باعتبارها السياق القيمي والأخلاقي الذي فيه يحيا وينمو.

التربية الدينية والتحديات المعاصرة في حقبة العولمة

الدكتور إيفانا هردليكوفا

تتحدث الورقة عن محاسن ومساوئ الحياة في عالم نزعته السائدة هي العولمة. وتشير الورقة للإغواءات العديدة التي ينطوي عليها هذا النمط من الحياة. وتخلص الورقة إلى أن تربية الجيل الناشئ على القيم الدينية الحل الوحيد لتلك الإغواءات السهلة التي يطرحها المجتمع المُعولَم (كالمخدرات والمواد الإباحية والكحوليات). وتشير الورقة إلى أهمية أن تُبذل المساعي لجعل الأديان أكثر جاذبية للأجيال الجديد عبر الأمثلة المقنعة والشفافية، وليس عبر محاولة فرضها.

الإعلام الموجه للأطفال بين التوجيه والإقناع: المنظور الديني في حالة كوريا

جيونغ-مين سيو

تتناول الورقة قضية الإسلام والمسلمين في كوريا. وتعرض الورقة للتنامي التاريخي للجالية المسلمة في الدولة الأسيوية، خاصة في السنوات الماضية من خلال العمالة الوافدة، كما تتناول بالتحليل الخطاب الإعلامي حول الإسلام والاهتمام المتزايد به، وإن صاحب ذلك على الوجه الآخر ارتفاعا في موجة كراهية الإسلام (الإسلاموفوبيا) في البيئة الإعلامية في كوريا. وتخلص الورقة إلى أهمية اتباع مقاربة تعليمية تساعد المرء على التعرف على دينه والديانات الأخرى.

أماكن العبادة: دعم وتوجيه الأجيال الجديدة

دكتور جون تايلور

تقول الورقة بأهمية أماكن العبادة في دعم وتوجيه الأجيال الجديدة. وليس المقصود بذلك مجرد الوجود الرمزي لديانة بعينها، وإنما يُقصد أهمية أن تتواجد جماعة فاعلة ومرحِبة للأعضاء والزوار على السواء. وينطلق ذلك من حقيقة أن مكان العبادة قد يكون بذات القدر من الأهمية للتجربة الروحية الفردية كما للخبرة الجمعية. فقد يقرر شاب مثلا أن يمنح انتماءه لديانة بعينها أو يستخلص خبرات ورؤى من ديانات مختلفة،

ولكن في كل الأحوال لا بد أن يكون الشاب سيد قراره، وألا يتعرض لضغوط فرد في أسرته أو أحد رجال الدين في محيطه.

أثر الأسرة في تنشئة الأجيال الجديدة

أوليفر ليمان

رغم أن الآباء قد لا يكونون أفضل من يدرس لأبنائهم فإنهم الأكثر الأهمية والموفر الأساس لرعاية الأبناء والحدب عليهم. ولعل مجريات الواقع تشير إلى أن الممارسات التربوية التقليدية داخل الأسر – رغم تنوعها الشديد – لا تزال قادرة على إنتاج أفراد صالحين لمجتمعاتهم. ولكن الأسرة دائما ما واجهت تحديات مختلفة. فالأسر التقليدية أكثر عرضة من نظيراتها "الحديثة" لغض النظر عن الأخطاء وتحاشي مواجهتها. أما الأسر الحديثة فتواجه العقبات في سبيل إيجاد معنىً فيما تفعل – وهي من هذا المنظور على الأقل تكتسب صفة الحداثة، وحيث تعمل في إطار من الشك والنقاش والجدل.

نقل المنظور والقيم الدينية للجيل التالي: التحديات والفرص أمام أماكن العبادة في أميركا

الحاخام خوسيه رولاندو ماتالون

يشعر شبابٌ كُثُر بالالتباس والحيرة؛ بالاغتراب والخواء والروحي، ومن ثمّ يسعون للتوجيه، للأمل ووضوح الرؤية. وتوفر هذه اللحظة فرصة هامة للأديان لتقبل التحدي، وذلك بأن تتجاوب بخطاب يسمعه ويدركه الجيل القلِق في عالم اليوم، وبما يشمل توفير إطار من الانتماء والغائية وروح المسؤولية.

تفسخ الأسرة وضعف القيم الدينية لدى الأطفال: أثر التدين على الزواج والأسرة والأطفال

أندرياس فيلاريتو

تحاول هذه الدراسة المعتمدة على استقراء الأدبيات المتعلقة بالأديان سبر آثار التدين على العلاقات الشخصية والأسرية، وكذا بين المرء وذاته. ونعرّف التدين هنا عبر مؤشرات حضور الصلوات في الكنيسة، وإقامة الصلوات، وأهم من ذلك كله عبر قدرة المرء على تمثل التوقعات الاجتماعية، المتعلقة بفهم وتقييم السلوك المتدين، لدى أقرانه في أسرته أو جماعته الدينية. وتشير نتائج دراسات عديدة للأثر الإيجابي للتدين على الحفاظ على الأزواج والزوجات والأطفال من الوقوع في براثن الجريمة والإدمان والعنف الأسري والعلاقات الجنسية خارج مظلة الزواج وغيرها. فضلا عن ذلك، تحظى الأسر المتدينة بمستويات

أعلى من الاستقرار الأسري والاستمتاع بالحياة مقارنة بنظيراتها غير المتدينة. هذا على المستوى الفردي، أما على المستوى الجمعي والثقافي، يؤدي التدين وظيفة إيجابية لمؤسسات عدة، خاصة الأسرة، إذ يترافق التدين مع معدلات أدنى من الطلاق وللأبناء غير الشرعيين، ثم أيضا للمؤسسة القضائية، التي ستتعامل مع عدد أدنى من حالات الإجرام وقضايا الأحداث مع شيوع التدين.

علموا أولادكم!

الحاخام بيرتن ل. فيسوتزكي

ليس ممكنا فصل دور المؤسسات التعليمية والاجتماعية والإعلامية عن طبيعة القيم والتقاليد التي تنقلها وتبثها تلك المؤسسات. ومن ثمّ يوجه المؤلف نظره إلى خمس مساحات اهتمام مشتركة بين الجاليات المسلمة واليهودية في الولايات المتحدة فيما يتعلق بتنشئة الأجيال الجديدة ضمن بيئة تشكلها القيم المسيحية و/أو العلمانية: أ) جذورنا: تاريخ وجود المسلمين واليهود في أميركا؛ ب) التماهي والأصالة: التحديات أمام الإسلام واليهودية كمكون في المجتمع الأميركي؛ ج) النص والتأويل؛ د) تفسير القانون؛ ه) نظرة للمستقبل: تدريب الجيل القادم. سيتم تناول تلك النقاط، جنبا إلى جنب مع جلسة حول الرؤية المسيحية للأقليات الدينية، وذلك في ورشة عمل تتضمن مفكرين مسلمين ويهود تنظمها كلية الدراسات اللاهوتية اليهودية والجمعية الإسلامية في أميركا الشمالية، في 25-26 أكتوبر 2010.

تنشئة الجيل الجديد على القيم والتقاليد: المنظور الديني

كارول رايش

أقر "مجلس أوروبا" (Council of Europe) في العام 2008 أربع مبادرات هامة في مجال حوار الثقافات:

إقرار دراسة حول حوار الثقافات شملت معايير لإدارة التنوع الثقافي والديني، وحوت أيضا إجابات لأسئلة لبعض الأسئلة الصعبة التي تواجهها أوروبا بتنوعها الثقافي الحالي.

تدشين حملة "ارفع صوتك ضد التمييز،" والتي تمثل ترجمة لدراسة حوار الثقافات. وترمي الحملة لتحقيق ثلاثة أهداف: تدريب الصحافيين؛ توكيد التنوع فيما يشاهد ويسمع ويقرأ المتلقون عبر وسائل الإعلام المختلفة؛ وكذا إعداد وبث المواد التي تكافح التمييز عبر وسائل الإعلام.

توصيات للدول الأعضاء حول الأبعاد الدينية وغير الدينية ضمن التربية على حوار الثقافات.

تدشين الحوار السنوي حول البعد الديني لحوار الثقافات.

أهمية المقررات المدرسية في غرس القيم الدينية

ديفيد ج. مايكلز

في هذه الورقة يقدم المؤلف تحليلا لهدف جوهري وإجماعي – وهو يقوم بذلك من منظوره كمهني في مجال العمل الاجتماعي، وكممثل لجيل الشباب، وكمواطن أميركي، وكيهودي متدين، وكذا كشخص ملتزم بالسعي لتعزيز التفاهم والتعايش والتعاون بين الجماعات المتنوعة، ومنها على وجه التحديد المسلمون واليهود. ويقدم مايكلز – مستقرئا مدى واسعا من الدراسات الاجتماعية والتعليمية، خاصة من الفكر والنصوص اليهودية – رأيه بأن المقررات التعليمية للأجيال الجديدة بالغة الأهمية في إرساء وتنمية القيم، مثل العمل على رضا الرب ورعاية البشر والرفق بهم، وهي قيم مشتركة بين كل المجتمعات المتدينة.

دور المدارس في تنشئة الأطفال وقبول الآخر

دكتور أرماندو برناارديني

سأقدم في مداخلتي عرضا مختصرا لمنطق ومبادئ تربية الأطفال على قبول الآخر. كما أعرض النتائج التي يؤدي إليها هذا المنطق، وهي نتائج تحتاج في إنجازها إلى برنامج تربوي كفوء حول الثقافات والأديان. وتناقش الورقة بعض الأدبيات التي أنتجتها الديانات المختلفة خلال الماضي القريب والتي يجب أن تصير جزءا من المقررات التي تحظى بالدراسة والنقاش. وهي أدبيات تساعد على تعزيز التصالح والاحترام بين الأديان. بيد أن حداثة وابتكارية بعض هذه الأدبيات ربما ساهم في عدم الانتباه إليها أو الاستفادة منها. وتطرح الورقة أيضا بعض المشكلات التي تواجه القائمين على تدريس تلك الأدبيات، وكذا كيفية تحويل العقبات إلى فرص تسهم في تحقيق قبول الآخر. وتعرض الورقة نماذج للممارسات الناجحة في هذا المجال.

منظور مفكرين دينيين لدور المؤسسات التعليمية والاجتماعية في تنشئة الأجيال الجديدة

الحاخام ريوفن فايرستون

تهتم الأديان ببعدين من الخبرة الإنسانية: البعد المحدود المتعلق بأعضاء أو تجمعات كل ديانة على حدة، والبعد الشامل المختص بشؤون الإنسانية عامة. وليس ثمة ما يدعو إلى الصدام بين هذين البعدين. ولكن

واقع الحال، لسوء الحظ، وحسب ما تشير دراسات حديثة، أن التعليم الديني في كثير من الدول يصب اتجاه النيل من الديات الأخرى وإضعافها. وهذه مشكلة جوهرية لأنها تؤدي إلى الرفض ثم إلى العنف تجاه الأديان الأخرى. ويبدأ علاج هذه المشكلة بتقديم مناهج دراسية تعيد النظر في تلك الطرق القديمة والخطرة في تدريس الأديان. ولتحقيق مراجعة ناجعة، لابد أن تشمل مجالس مراجعة مقررات الأديان متخصصين من الأديان الأخرى.

المحتوى الديني في ضمن الانسياب المعلوماتي والثورة التقنية: هم اختاروا الوسط؛ ونحن نختار الرسالة

جُشوا ستانثُن

تشكل الوسائط المعلوماتية الرسائل المنقولة عبرها. ويملك رجال الدين والمؤسسات الدينية الفرصة لنشر رسالتهم على نطاق أوسع عبر تجذيرها في القيم التقليدية ولكن مع مراعاة الدينامية المستحدثة في التوصل التي بزغت مع الإنترنت. ومن حيث المبدأ، تحظى التجمعات الدينية بميزة في عصر الإنترنت، وهي قدرتها على تفسير القيم التقليدية وتخليق الأفكار الجديدة للأفراد وبما يوفر لهم معنى يصادف تطلعاتهم الدينية والروحية. ورغم أن التواصل اللحظي الذي تتيحه الإنترنت قد يحدث أحيانا جدلا أو يقدم بيئة لسوء الفهم، فإن وجود قيادة حكيمة ومتبصرة سيجعل تجاوز حالات الجدل وسوء التفاهم في تواصلهم على الإنترنت أمرا ممكنا ويسيرا. والمقصود أن فوائد الاندماج في وسائل الإعلام الحديثة، وبما يساعد على تلبية الحاجات الدينية والروحية للأفراد، تبزّ المخاطر والتحديات.

الإعلام الموجه للأطفال/الشباب بين التوجيه والإقناع: منظور ديني

كرستِن بايسترَب

سأناقش هذه المسألة عبر عرض أمثلة من الإصدارات الحديثة من الإنجيل والموجهة لشريحة الأطفال الصغار. ولدينا في الدنمارك تقليد نشر الإنجيل في إصدارات متنوعة تُصاغ خصيصا للشرائح السنية المختلفة. ومن ثم يمكن القول إن الإنجيل صار جزءا من الأدب الموجه للأطفال، خاصة مع حرص دور نشر عديدة على توفيره في صياغات مختلفة، ومصحوبا برسوم جذابة. ومما يثير الانتباه أن هذا الاهتمام الكبير بالإنجيل وبرواية قصصه بصياغات مختلفة إنما يحدث في مجتمع علماني مثل الدنمارك. وتأتي محاولتي إلقاء الضوء على هذا الجانب من التعليم الديني من خلال خبرتي بسوق النشر في الدنمارك عبر

عملي كمكتبيّة متخصصة. وسأركز في مداخلتي على "الصور،" وذلك لسببين اثنين. أولاهما أن للصور أهمية خاصة في رواية قصص الإنجيل للشرائح السنية الصغيرة. فعند السن الصغيرة قد لا يستطيع الطفل قراءة النصوص، لكنه قادر على إدراك مغزى الصور. وثاني السببين أن لدي اهتماما وخبرة في مجال الكتب المصورة والكتب المزودة برسوم. والسؤال الذي أركز عليه تحديدا في مداخلتي هو كيف تروي الإصدارات المصورة الحديثة من الإنجيل (والموجهة بالأساس للأطفال) قصتي "سفينة نوح" و"السومري الصالح"؟

التعاليم الدينية وأثرها على الصلوات فيما يخص تنشئة الأجيال الجديدة

الدكتور جان-بيير لافوج

في هذه المحاضرة ثمة تذكير، أولا، بمغزى السؤال: "كيف نستعيد الدور الفعال للصلاة في تنشئة الأجيال الجديدة؟" بعدها أحدد السؤال في العلاقة بين التعاليم الدينية وأثرها على الصلوات فيما يخص تنشئة الأجيال الجديدة. وفي هذا السياق أطرح بعض التهديدات التي تتعرض لها الحقائق الدينية في أيامنا على كل الجبهات، من الحركة العقلانية وحركة النسبية الثقافية، والعاطفانية، والاستهلاكية وغيرها. ورغم ذلك نرى بصورة جلية تعطش الأجيال الجديدة لأسلوب مختلف يساعدهم على التغلب على حيرتهم وبلوغ اليقين، وذلك كما أظهرت دراسات استبيانية عديدة. ويساعدنا هذا الإدراك على تحديد تعريف مستحدث للظروف المثلى للصلاة والشعائر وبما يعكس البعد الإيماني في أعمق تجليّاته ويؤثر كذلك على وعي الأجيال الشابة بقوة تفوق الخطب والعظات.

أثر الأسرة في تنشئة الجيل التالي

السيد القس ماثيو حسن كوكه

ثمة حاجة ماسة لشعور تضامني بين الأجيال. فالأجيال القادمة يجب أن لا تعاني من تبعات استهلاكنا للموارد البيئية. "لقد حصلنا على إرث من الأجيال السابقة، واستفدنا من جهد معاصرينا؛ ومن ثم فإن علينا التزاما وواجبا تجاه الجميع، ولا محيص عن إيلاء الاهتمام لمصلحة هؤلاء الذين سيأتون بعدنا، حتى يستمر تعمير الأرض بالعائلة الإنسانية الكبيرة."

دور الإعلام في بناء شخصية الطفل وتنشئته دينيا وثقافيا واجتماعيا

نيكو واتيمينا

باعتبار الدور المتنامي الذي يلعبه الإعلام في حيوات الأطفال في شتى أنحاء العالم، يخشى الآباء والسلطات على السواء أن يتعرض الأبناء لمحتوى إعلامي يؤثر سلبا على نموهم، التزامهم الديني، قيمهم الثقافية، أو توجهاتهم الاجتماعية. فمثلا، صارت الهواتف النقالة اليوم من التطور بحيث يستطيع المرء أن يستخدمها لتصفح الإنترنت ومشاهدة البث التليفزيوني والتحدث مع الرفاق والانخراط في ألعاب الفيديو والقراءة وغيرها. بيد أن هذا المدى من الإمكانات التي يتيحها الهاتف قد يكون مصدر إزعاج وقلق للآباء، إذ على عواتقهم وليس غيرهم تقع مسؤولية تنشئة الأبناء. فتصفح الإنترنت عبر مواقع من ثقافات أجنبية ذات قيم أخلاقية مختلفة قد يربك أو يضلل الأجيال الناشئة. وبينما يطلب آباءٌ كثُر من أبنائهم أن يحملوا هواتفهم معهم دوما فإنهم قد يفاجأون لو علموا ما يفعل أبناؤهم بتلك الهواتف. ونتيجة لذلك ثمة حاجة لتدخل أحد الأبوين ليتابع بانتباه كل ما يراه أو يسمعه الطفل، وإن بدا ذلك كنوع من الرقابة إن تطلب الأمر. وأعرض في مداخلتي مثالا من أندونيسيا التي انتبهت لحقيقة الانفجار الإعلامي المعلوماتي الذي يتعرض له الأطفال وكيف يمكن للمجتمع وللأسرة أن تتدخل كوسيط بين ذلك المحتوى غير المنقى والمتلقين حديثي السن. وهذا الدور مسؤوليتنا لأن أطفال وشباب اليوم هم قادة المستقبل، وتوجيه نموهم العقلي والروحي أمر بالغ الأهمية. ومقياس نجاحنا في هذه المهمة إنما يكون بالنظر إلى مدى اتساق وتوازن شخصيات الأبناء خلال نموهم، وكيف ينعكس ذلك بدوره على ذكائهم ونشاطهم وتحصيلهم. والمقصود أن التحدي أمامنا يتلخص في كيفية الحفاظ على القيم الدينية والأخلاقية في بيئة سمتها الرئيسة التغلغل الإعلامي الكثيف.

دور المدارس في تنشئة الأطفال وقبول الآخر

الدكتور إدينا فيجو

تطمح هذه الورقة أن تطور مقاربة حديثة وكفوءة لفهم المدارس ودورها في تعليم النشء ومن ثم الجماعة التي يعمل خلالها هؤلاء الأفراد ويُنتظر أن يتبوأوا فيها مراكز صنع القرار في المستقبل. أقدم في بداية الورقة شرحا مفاهيميا لعمل قسم المناهج التربوية الاجتماعية، والذي أترأسه – وهو أمر نادر في السياق الأكاديمي الأوروبي – وحيث ندمج التعاليم والأسس القيميّة الإسلامية مع النماذج العلمية الحديثة. ومن ثمّ تطور الورقة المفهوم التربوي الاجتماعي للمدارس موضّحة أهمية العلاقة التفاعلية بين ما يحدث داخل المدرسة والبيئة المحيطة بها. وفي ظننا أن علم التنشئة الاجتماعي (social pedagogy) يحتاج لتطوير منهجية لدراسة المدارس وتوفير نماذج وبرامج تُعين المشاركين في العملية التعليمية، من مدرسين

وأكاديميين، على تحقيق أهدافهم. ونسوق في المداخلة مثالين على ما نعتقد أنهما دراستان عمليتان حول دور المدارس نوضح من خلالهما منظورا مختلفا حول ما يستحق الانتباه في الدراسات العلمية حول المدارس. وتتناول هاتان الدراستان أمورا مثل دور الأقران في المدارس وكذا الجوانب العملية والفرص المتصلة بمناقشة الشؤون الدينية في المدارس. وأقترح في ختام الورقة نماذج على البرامج التي يمكن إقرارها باعتبار أن الدور المحوري للمدارس هو توفير السياق الذي نحسن فيه فرص نمو النشء بصورة تنعكس عليهم إيجابا وكذا على المجتمعات التي تعمل فيها تلك المدارس.

جَسر الاختلافات: مدرسة جُشوا هيشل نموذجا

الحاخام آن إيبرزمان

من الأهداف الرئيسة لمدرسة جُشوا هيشل الدينية اليهودية في مدينة نيويورك "بناء الجسور بين القطاعات المختلفة للمجتمع اليهودي، وبين جماعة اليهود وغيرها من الجماعات، وذلك كانعكاس لقيمنا الدينية الجوهرية التي توحد البشر جميعا معا عبر قيم العدالة والإنسانية المشتركة والاحترام المتبادل." وتتضمن تلك الاستراتيجيات: 1) أن نقدم لطلابنا نماذج ملهمة من الأفراد الذين كرسوا حيواتهم لبناء مثل تلك الجسور، مثل الحاخام أبراهام جُشوا جيشل الذين تحمل مدرستنا اسمه؛ 2) التوكيد عبر مقررات الدراسة كلها على أهمية تعلم كيفية إدراك وإقرار رؤى مختلفة عما أَلِف المرء؛ 3) إعطاء طلابنا فرصا مناسبة لأعمارهم لاتخاذ خطوات رصينة باتجاه بناء الجسور بأنفسهم، داخل المجتمع اليهودي كما خارجه مع الجماعات الأخرى.

عن التنقّل والحداثة وتناقل القيم الإيمانية الجوهرية

الحاخام بوب كابلان

خلقت أنماط الهجرة في القرن الحادي والعشرين فرصا وتحديات جمة للمجتمعات التقليدية، خاصة فيما يتصل بتناقل القيم الإيمانية وضمان استمراريتها واستمرارية اللُّحمة الاجتماعية التي تمثل ركنا أصيلا من أركان المجتمعات الدينية. وقد أدى الانتقال من المجتمعات التقليدية وثقافات المنشأ للمجتمعات الغربية إلى بزوغ نوع من المنافسة على انتباه الأجيال الجديدة. وإذ تتلاقى تلك المجتمعات التقليدية مع الحداثة الغربية، تتجلى الأهمية المحورية للتعليم النظامي وغير النظامي في إتاحة الفرصة للقيم التقليدية لكي تنتقل للجيل

التالي. ويوفر لنا تاريخ المجتمع اليهودي في كل من أوروبا والولايات المتحدة نماذج يمكن دراستها حول سبل الحفاظ على استمرارية القيم الجوهرية لمجتمع ديني قيد التنقل.

الصلاة تقود للتّنسُّك

الحاخام شلومو كوفيس

يخشى الأفراد الوقوع في المراءاة، ومن ثم فإنهم يشعرون أن تحاشيهم للتعبّد الديني مُبَرّر عندما يقول أحدهم "إني لم أبلغ بعد المستوى الإيماني المناسب للانخراط في الصلوات" أو "إن إيماني ليس قويا بما يكفي." ومن ثم يبزغ سؤالان. أيهما يحظى بأهمية أعلى: الانغماس شعوريا في حالة دينية أم التصرف وفق متطلبات الدين، وبما يُترجم في الصلوات والعبادات؟ وما جدوى العبادات الدينية إذا لم تنبني على إيمان وتَنَسّك؟ من بين التعاليم الجوهرية في اليهودية أن ثمة قبسا ربانيا مخبوءا في صدر كل منا. ولإعلاء هذا القبس إلى درجة الوعي به لا بد من جهد جسدي. ومن ثم فإن ممارسة العبادات والصلوات بحد ذاتها، وإن كان ذلك بغير تنسك، ليس نوعا من المراءاة أو النفاق. وإنما فعل التعبّد ذاته يؤدي إلى التنسك ويقويه. وأما البعد الهام الآخر للعبادات فهو أنها قد تؤدي إلى تغيير العالم. فقبل خلق الإنسان لم يكن العالم واعيا بخالقه. وكان خلق الإنسان هو ما أتاح الوعي بالوجود الإلهي. فنحن وليس غيرنا من الكائنات نستطيع أن نُعلي وجودنا المادي، وكذا الأشياء المادية حولنا، إلى بعد آخر وذلك ببساطة بإعمال حرية الاختيار والفعل المعهودة إلينا.

بناء شراكة التراحم والحب بين الأجيال

الحاخام سوتندروب

في كلمته، يتحدث الحاخام أوراهام سوتندروب عن ضرورة استكشاف استخدامات مبتكرة للإنترنت بما يسهم في بناء شراكة تراحمية بين الأجيال والأمم والأديان – شراكة تغزل في نسيج واحد الحكمة والخبرة والتعاليم الأخلاقية والروحية لدى جيل الكبار وكذا الرؤى الجريئة لدى الأجيال الأصغر.

عن الأسر والتفاهم وتقبل الآخر

د. ريتشارد ويلكنز

نحن نعيش في عالم تتصادم فيه القيم والرؤى. ويؤدي هذا الصراع إلى مخاطر جمة، بعضها يقف عند حد الصراعات الشخصية المحدودة، وبعضها قد يبلغ حد الهجمات إرهابية تزهق مئات أو آلاف الأرواح.

ولكبح تلك المخاطر يجب أن يتحلى الأفراد بقيمتين متلازمتين: التفاهم ورحابة الصدر للآخر وقبوله. ومن نِتاج هاتين القيمتين أنهما لا تثمران فقط الشعور بالسلام لأفراد يناضلون في عالم متوتر، وإنما أيضا أنهما تعززان الحلول السلمية للمسائل الجدلية. ويبدأ إنماء هاتين الفضيلتين في سياق الأسرة، وحيث يجدان أيضا أفضل الفرص غالبا للترسخ والازدهار. ويعكس الإعلان الدولي لحقوق الإنسان تلك الحقيقة الجوهرية حول كون الأسرة "الوحدة المكونة الطبيعية والأساسية للمجتمع" (مادة 16). وتمثل الأسرة، حسب ما ذهب صائغو إعلان حقوق الإنسان، تقف كوجاء ضد التمييز الممنهج والتسلط. وتقر الأديان الكبرى كافة، أيضا، بدور الأسرة المحوري في تعزيز ثقافة التفاهم وقبول الآخر. ومن ثم فإن تعزيز دور الأسرة أساسي في ترسيخ ثقافة قبول الآخر ورحابة الصدر تجاه الاختلافات.

دور الإعلام في بناء شخصية الطفل وتنشئته دينيا وثقافيا واجتماعيا

سناء بيترسن

شهد القرن الحادي والعشرون تطورا متسارعا في التقنيات الحديثة، خاصة تقنيات الاتصال، ما أدى إلى تقليص المسافات بين الأفراد والجماعات، ومفسحا المجال لبزوغ "القرية الافتراضية العالمية." وفي بعض الأحايين يُعد وجود تلك القرية ضرورية تواصلية تساعدنا في أداء وظائف معينة مثل تناقل وتبادل الأخبار اليومية والمعلومات حول الطقس والمؤشرات المالية وغيرها. وفي أحايين أخرى ينتقدها البعض باعتبار ها وسيطا قد ييسر انتهاك خصوصية الأفراد. ويذهب البعض إلى أن الإعلام ووسائله التقنية ربما يشكل العالم كله على شاكلة واحدة متجانسة قد تدمر هوية جماعات الأقليات الدينية أو الثقافية.

حماية الأطفال من الآثار الضارة للإعلام: استقراء للأدبيات ومقترح حول كيفية التعامل مع الأمر

إعداد معهد الدوحة الدولي لدراسات الأسرة والتنمية

د. ريتشارد ويلكنز؛ د. حسن حمود؛ د. ماريا ريد

تستقرئ هذه الورقة الدراسات التي تناقش الآثار الضارة المحتملة لوسائل الإعلام الحديثة على الأطفال (وبما يشمل القنوات الفضائية والتليفزيون وألعاب الحواسيب وشبكة الإنترنت وغيرها). وتتوزع الورقة على ثلاثة أقسام. يلخص أولُها نتائج دراسات هامة من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة تتعلق باستخدام الأطفال للتليفزيون وألعاب الفيديو وكذا الإنترنت. ويوفر القسم الأول أيضا استبيانا لجهود جهات مختلفة، حكومية وغير حكومية، تهدف لحماية الأطفال من التعرض للمواد الجنسية والعُنْفِيّة غير المقبولة وكذا موقف القضاء السلبي (للأسف) مما يُعد "قوانين رقابة" تتناقض مع حرية التعبير. ويتناول القسم الثاني الدراسات المشابهة، حول الإعلام والأطفال، ولكن من العالم العربي، وبما يتضمن "وثيقة الإعلامي العربي" التي صدرت أخيرا وردود الفعل السلبية تجاهها. أما القسم الثالث فيقترح مقاربات جديدة ومبتكرة لحماية الأطفال من الأثار الضارة للإعلام.

ويظهر القسمان الأول والثاني الحاجة المتعاظمة لتدخل حكومي (وغير حكومي) لحماية الأطفال من التبعات السلبية للموجة المتنامية من المواد الجنسية والعُنْفِيّة في وسائل الإعلام. فثمة تزايد في الوقت الذي يقضيه الأطفال في مشاهدة التليفزيون أو ألعاب الفيديو أو تصفح الإنترنت، وأغلب هذا الوقت يُقضى بغير إشراف أي من الأبوين. وبسبب ذلك يتعرض الأطفال لمواد جنسية وعنفية عند مراحل سنية مبكرة، ما يؤدي إلى آثار سلبية (موثقة عبر دراسات) على نمو الأطفال وسلوكياتهم. وحتى الآن كانت المحاولات لتنظيم أو تقليل تعرض الأطفال لتلك المواد غير كفوءة، أو واجهت عرقلة من القضاء في الدول الغربية. ومن ثم فإن الحاجة ماسة لمقاربات جديدة. ويقترح القسم الثالث مقاربات جديدة، منها مثلا تطوير استراتيجيات حكومية وغير حكومية لتوعية الآباء والأبناء بالمخاطر المحتملة للتعرض لمواد جنسية وعنفية. ومنها أيضا إنتاج مواد إعلامية إيجابية، وكذا "فصل" المواد غير المرغوبة، بحيث لا يتعرض لها الأطفال، بدلا من منعها وهو ما قد يعترض عليه البعض باعتباره إجراءا رقابيا. وعلى غير ما يحدث في "نظم تنقية المحتوى" (filtering systems) التي يستطيع كثير من الأطفال التحايل عليها وتجاوزها، أو نُظم الحجب الحكومية (التي يراها البعض بمنظور سلبي باعتبارها رقابة)، يتيح أسلوب "الفصل" تحديد كل المواد الموجهة للبالغين من قبل قنوات البث وشركات خدمة الإنترنت، وبحيث يكون بإمكان الأسر أن تختار القنوات والمواقع التي تخلو من المواد الجنسية والعنفية.

التنشئة الدينية والتحديات المعاصرة في حقبة العولمة

القس دونالد ريفز

تلقي الورقة الضوء على الحاجة لتطوير منهج جوهري في التضامن والتكافل مع هؤلاء الأقليات الدينية التي تتعرض للاضطهاد والتمييز؛ كما تلفت النظر إلى الصعوبات التي تواجهها الشخصيات الدينية البارزة في مجتمعاتها لدى الاستجابة للصراعات الداخلية في جماعاتهم. وقد فقد لفظ "الحوار" معناه من كثرة التداول، ومن ثم فإني أقترح تعبيرا آخر: التواصل بين المجتمعات الدينية المختلفة كـ "نوع خاص من المحادثة والتباحث." ولا يُستثنى أحد من المشاركة – سواءا هؤلاء الذين يصرون على اليقين الكامل فيما يفعلون وبه يؤمنون، أو هؤلاء، خاصة في الغرب، الذين يسعون بصعوبة لفهم إيمانهم وتطبيقه في سياق علماني. وتقدم الورقة أيضا أفكارا حول أزمة السلطة الدينية، وطريقة قراءة النصوص المقدسة، واستعادة المِخْيال، وكذا مشكلة الفصل والدمج فيما يتعلق بالمجتمعات الدينية. وتطرح الورقة، بخطوط عريضة، مسألة التحدي الكبير الذي يفرضه توغل وتغول منهج السوق في حيز الأديان. وتختم الورقة بدعوة لهؤلاء المنضوين حديثا في مجال حوار الأديان ليستفيدوا من الفرص والخبرات والمهارات المتاحة.

مريم: أيقونة للجامعات الكاثوليكية اليسوعية بالفلبين

د. ريناتا أوليڤاروس

إن البرامج البين-دينية والبين-ثقافية، الرامية إلى التقريب بين الديانات والثقافات، إنما تستمدُّ قوتها وفاعليتها – في هذه الجامعات الكاثوليكية اليسوعية – من الأوامر القرآنية والإنجيلية التي تفرض التحلّي بقيمة التسامح. ذلك أنَّ "التسامح"، تلك الرسالة التي ضمَّنها الله في كتابه المقدس، هو القوة الأخلاقية التي تشكّل الطابع التعليمي الخاص بـ "علامات الأزمنة". فإذا كان المسيح قد ترك لنا "التطويبات" (متَّى [5: 3-12]، ولوقا [6: 20-22])، وأخبرنا عن قصة "السامِريِّ الصالح" (لوقا [10: 25-37])، وضرب بهما مثلين للتسامح؛ فإن نبيَّ الله مُحمَّدًا قد كتب بنفسه دستورًا عام 628 م، سُمِّي بالصَّحيفة، وأقرَّ وثيقةً تحفظ حقوق المسيحيين، فيما بات يعرف بين المسلمين "بالوثيقة النبوية"، بسانت كاترين. ولأن التسامح معدودٌ من القيم الجوهرية التي تتبنَّاها الجامعات اليسوعية الكائنة بجزيرة مندناو الفلبينية، فإن طلاب هذه الجامعات من المسلمين والمسيحيين قادرون على مواجهة تحديات العصر الحديث، والوفاء بمتطلباته. فمن القضايا التي تستحوذ على تفكيرهم، وتقع في محور اهتماماتهم، قضيةُ الاحترار العالمي؛ تلك الظاهرة التي جلبت صنوف الدمار والخراب – لاسيما الفيضان – على العديد من المناطق الفلبينية، وبخاصة في مندناو. وعندما

عَمدتُ إلى البحث عن أرضية مشتركة من شأنها أن تُلهم وتُقوِّي طُلابي – من المسلمين والمسيحيين على السواء – في النهوض بمهمة عظيمة، كمُداواة الخلائق، والعمل في شفائهم؛ وجدتُ بُغيتي في السيدة مريم: في "رَحِم مريم: ميلاد الرُّوحانية البيئية" (Mary's Womb: The Birth of Eco-Spirituality). ما أحوج الطلاب إلى التشبُّث بالقيم الرُّوحانية لدى خُلفاء الله (جمع "خليفة"، وهو القائم على تدبير أمر الخلائق)، ليستلهموا منه ما يعينهم على حثِّ الخُطى وبذل الجهود في المجال الإيكولوجي/البيئي. إننا واجدون هذه الرُّوحانية البيئيَّة في "مريم": الأيقونة السرمدية لقيُّوميَّة الله على خلقه